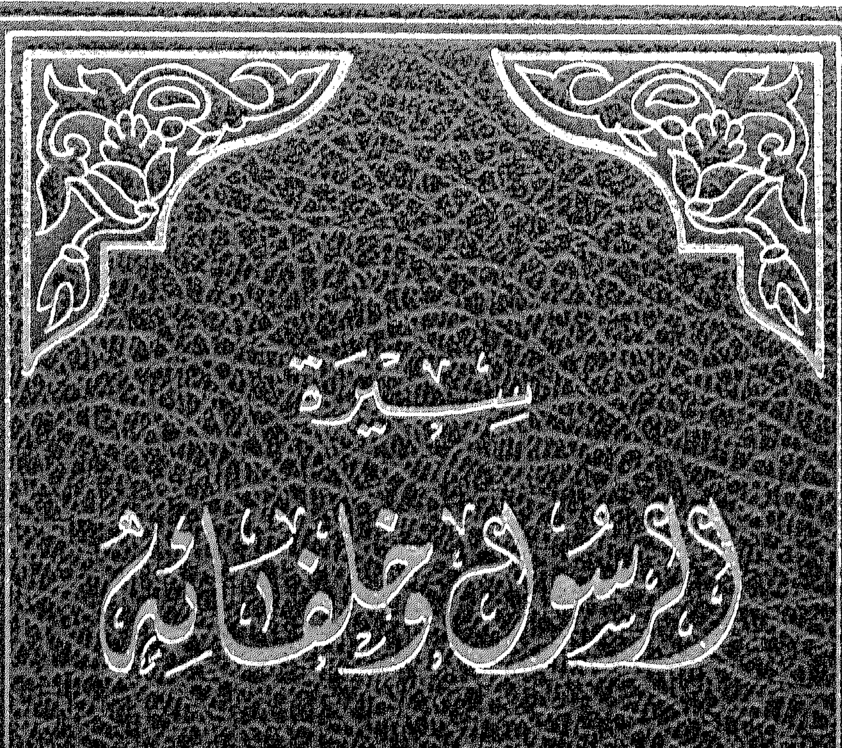
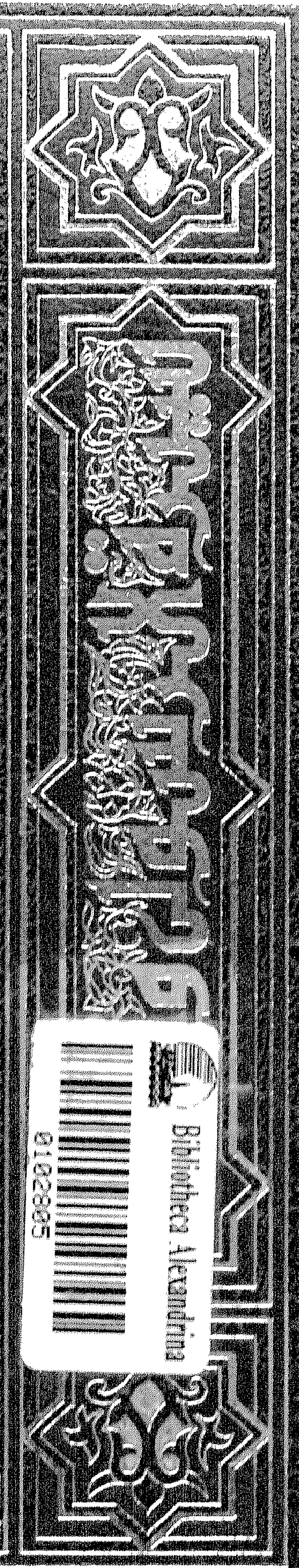


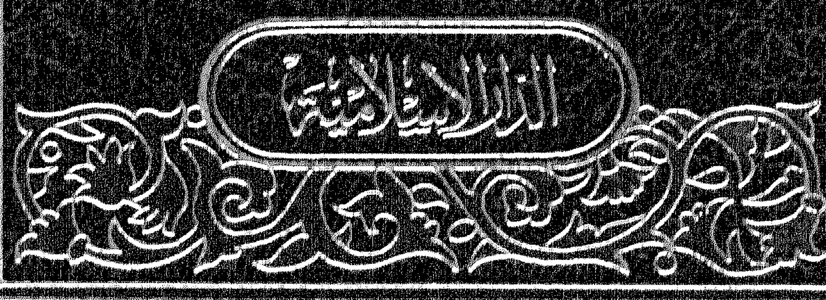
سيرة الرسول وخلفائه

سماحة العلامة

السيد علي فضل الله الحسني

الجزء السابع





الدار الإسلامية



سيرة

الرسول وخلفائه

٧



سيرة

الرسول وخلفائه

سماحة العلامة

السيد علي فضل الله الحسني

الجزء السابع

الدار الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر الطابق الثاني
هاتف: 816627. ص ب: 14/5680
المكاتب والمستودعات - حارة حريك شارع دكاش
هاتف: 820704 - 835670. ص ب: 25/209



الفَصْل
الثالث والستون



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حرب صفين

لا بد لنا قبل الخوض في تفاصيل قصة معركة ـ صفين ـ من القاء نظرة عابرة على الأسباب التي دعت إلى هذه الحرب بين أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من جهة ومعاوية المتمرد بالشام من جهة أخرى . . .

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يعلم بأن الدين الإسلامي لا يقوم على غزو البقاع باحتلالها بالقهر والقوة . . وشراء ضمائر الناس بالهبات والأموال . . وإنما الإسلام هو غزو الأنفس بامتلاك الأسباب التي تتشرب تعاليم الإسلام السامية . . وهذه صفات المؤمنين المخلصين الذين باعوا أنفسهم لله .

كان علي (عليه السلام) يعلم بأن الإيمان بالله هو وحده السلاح القاطع الذي يستطيع المسلمون به بسط سلطانهم على أهل الدنيا الضالين . . لأن الإيمان بالله سلاح لا يضاهيه سلاح . . .

فالإيمان الذي غرس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نواته في قلوب ثلة من المستضعفين . . المظلومين أثمر قوة عظيمة ذات بأس شديد، مؤلفة من رجال مؤمنين مشوا في قدم ثابتة، وبإيمان عظيم، وعقيدة راسخة مشي الأعصار المدمر، فأطاحوا بالجبابرة، والطواغيت من أصحاب العروش والصوالج، من فرس وروم . . أمثال كسرى وقيصر .

كانت هذه الثلة من المؤمنين الصالحين وعلى رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام) تعمل جاهدة ما بوسعها لتركيز دعائم الدين، وليبقى علم الإسلام مرتفعاً على ساريته حيثما سارت، وكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله تتردد عالياً بمعانيها القدسية.

لكن أعداء الإسلام من أهل الأهواء والأغراض ومن أهل الأطماع، قعدوا لأمير المؤمنين في كل مرصد، وأخذت مكائدهم تعمل لتطويق سلطانه لتنوشه من كل ناحية بالمكر والحيلة تارة.. والغدر تارة أخرى، لعله (عليه السلام) يستسلم لرغباتهم فينالوا ما يطمحون إليه...

أما أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فإنه بروحه العالية، وسجاياه الفاضلة، وأخلاقه الكريمة، وإيمانه العظيم لا يقر معاوية بن أبي سفيان وأمثاله على الباطل وسلوك الطرق الملتوية لاحتلاب الدنيا...

وحاشا ابن أبي طالب ربيب الرسول.. وزوج البتول.. وسيف الله المسلول أن يقر الظالمين على ظلمهم أو يرضى أن يكون أمراء البلاد من عماله أهل الجور والفساد.

فأهل الأطماع ومحبي الجاه والسلطان في جانب.. وعلي بن أبي طالب في جانب آخر.

وعلى هذا نجد أن الإمام علي (عليه السلام) لم يكن يريد الحرب حباً بالحرب، أو يريد الحرب للجاه أو السلطان بل كانت جميع مواقفه وحروبه لتطبيق شريعة الله في الأرض على أساس العدل والمساواة... وإلا لكان (عليه السلام) أبقى على ولاة عثمان بن عفان أمثال معاوية بن أبي سفيان خاصة بعدما أشار عليه المغيرة بن شعبة وغيره بالإبقاء على معاوية على عمله بالشام حتى يبايع، ويستتب الأمر له (عليه السلام). وبعد ذلك يعزل من يشاء ويبقي من يشاء. حتى أنه يروى عن ابن عباس كان يرى أن يثبت أمير المؤمنين (عليه السلام) بعض العمال على أعمالهم وخاصة معاوية حتى تأتيه بيعتهم فيعزل بعدها من يشاء لعل رأي

ابن عباس في هذا هو سكوت علي حتى يستتب له الأمر وينفسح الوقت للحسم ولقاء الأمور بغير هوادة. .

لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) بإيمانه العظيم في الله وشدة تمسكه بالحق من شأنه أن لا يدع حاكماً جائراً مهما كانت الظروف صعبة، فالحق حق، والباطل باطل، ولا يمكنه (عليه السلام) أن يقر الباطل ولو لفترة قصيرة. . .

فشأنه (عليه السلام) مع معاوية وغيره اقامة الحق والعدل. . لا مداهنة. . ولا مهادنة. . ولا مدارات، بل كان يخيره بين البيعة. . أو الحرب فكان (عليه السلام) يراسل معاوية المرة بعد المرة وما كان ذلك إلا حرصاً على دماء المسلمين.

وليس خافياً على أحد أنه (عليه السلام) من أول يوم بويع فيه بالخلافة بالمدينة المنورة كان يسعى جاهداً إلى لم شتات المسلمين والعمل على جمع كلمتهم وعدم تفرقهم، وجعلهم كتلة واحدة على من خالفهم من أعداء الله ورسوله.

فإنه (عليه السلام) نجده بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحرك ساكناً لأجل توليه الخلافة من بعده مع علمه بأنه أحق بها من كل أحد من المسلمين، لقرابته من الرسول وسابقته في الإسلام وجهاده العظيم ولوصية رسول الله له بالخلافة يوم غدير خم مرجعه من حجة الوداع. . الخ.

ومع هذا كله فقد سكت عنه حقه بالخلافة طيلة أيام أبي بكر وعمر وحتى أيام عثمان بن عفان. . وما كان سكوته (عليه السلام) إلا حفاظاً على الإسلام، وعلى جمع كلمة المسلمين. وهذا واضح من كلامه وخطبه في عدة مناسبات. حتى أنه (عليه السلام) لأجل جمع كلمة المسلمين قال لمن أرادوه على البيعة له بالخلافة بعد مقتل عثمان بما معناه ـ لأن أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً.

لكن (عليه السلام) بعد الالحاح عليه بقبول الخلافة في المدينة المنورة من الأكثرية الساحقة من قادة المسلمين وثقاتهم. لم يجد بداً من قبولها للسعي إلى احياء شعائر الله والسير بالعدل والمساواة بين طبقات المسلمين. . .

هذا العدل وتلك المساواة هي التي أغضبت الطامعين بالدنيا الذين قدموا دنياهم على آخرتهم. ومن جملتهم طلحة والزبير اللذين نكثا بيعة أمير المؤمنين علي بعد أن بايعاه طائعين. . وسعيا إلى حربه بقيادة أم المؤمنين السيدة عائشة وخرجا إلى البصرة، فكانت حرب الجمل، وكان ما كان فيها من اهراق الدماء كما ذكرنا سابقاً.

زيادة على أن وقعة الجمل فتحت باب الفتن على مصراعيه بين المسلمين. . . أغرت معاوية بن أبي سفيان بأن يطل برأسه للطلب بدم عثمان كذباً منه وزوراً وبهتاناً. . أخذ يعلن العصيان والتمرد على خليفة زمانه أمير المؤمنين علي وليس له بالحقيقة من مأرب سوى طمعه في الملك وحقده الدفين على علي بن أبي طالب وبني هاشم . . .

ذلك الحقد القديم الذي كبتته الأيام رغماً عنه.

وعلى كل حال أقول: أنه بعد مقتل عثمان، وحرب الجمل رأى معاوية أن الفرصة قد سنحت له وواتته الظروف ليشعلها حرباً شعواء على غريمه أمير المؤمنين علي. . .

فما كان من أمير المؤمنين علي إلا أن أرسل إليه مع جرير بن عبدالله البجلي كتاباً يدعوه فيه إلى البيعة هو وأهل الشام، حتى لا تكون فتنة وإلا اضطره لمحاربته. . . لئلا ينزع معاوية إلى الشقاق، والنفاق. . وخصوصاً بعد أن استمال أهل بلاد الشام بشراء ضمائرهم بالهبات والعطاء وأغدق عليهم الأموال مدة تزيد على عشرين سنة. . . فقد وطأ له ذلك من سبق علياً من الخلفاء إذ جعلوا بلاد الشام تحت أمرته حتى كبر الصغير وشاب الكبير. . . وشبع فتيان وشيوخ أهل الشام من عطاياه حتى التخمة. . فصاروا في قبضته آلة صماء يسيرهم كيف يشاء. .

وسيأتي الكثير من الشواهد على ذلك.

وحينما رأى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مـراوغة معـاوية وميله للعصيان والتمرد وحبـه للملك والتسلط، ورغبته في الحـرب لم يجد بـدا من مراسلته والقاء الحجة عليه ليعذر في حـربه. مـع أنه (عليـه السلام) يعلـم بأن معاوية قد استغـواه الشيطان وأغـراه حب الدنيـا والسلطان. . لن ينصاع إليه لكنه من باب الأعذار والقاء الحجة كما أسلفنا.



دخول الأحنف بن قيس على أمير المؤمنين علي بالكوفة

ذكر نصر بن مزاحم في كتابه ـ صفين ـ أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكث بالكوفة، وكتب إلى العمال في الآفاق، وكان أهم الوجوه إليه الشام.

وقدم على أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد قدومه الكوفة الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة، وحارثة بن بدر، وزيد بن جبلة، وأعين بن ضبيعة، وعظيم الناس بنو تميم، وكان فيهم أشراف.. ولم يقدم هؤلاء على عشيرة من أهل الكوفة.

فقام الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة، وحارثة بن بدر، فتكلم الأحنف فقال:

يا أمير المؤمنين، أنه إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل.. فإنها لم تنصر عليك.. وقد عجبوا أمس ممن نصرك، وعجبوا اليوم ممن خذلك لأنهم شكوا في طلحة والزبير.. ولم يشكوا في معاوية. وعشيرتنا بالبصرة، فلو بعثنا إليهم، فقدموا إلينا، فقاتلنا بهم العدو، وانتصفنا بهم، وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس.

فقال علي (عليه السلام) لجارية بن قدامة: وكان رجل تميم بعد الأحنف:

ما تقول يا جارية..؟

قال جارية: أقول: أن هذا جمع حشره الله لك بالتقوى ولم تستكره فيه شاخصاً.. ولم تشخص فيه مقيماً... الخ.

وكان حارثة بن بدر أشد الناس رأياً عند الأحنف، وكان شاعر بني تميم وفارسهم..

فقال له علي: ما تقول يا حارثة:؟

فقال ـ حارثة ـ: يا أمير المؤمنين أنا نشوب الرجاء بالمخافة، والله لوددت أن أمرائنا رجعوا إلينا، فاستعنا بهم على عدونا ولسنا نلقى القوم بأكثر من عددهم، وليس لك إلا من كان معك. وأن لنا في قومنا عدد لا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية، ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام، وليس بالبصرة بطانة نرصدهم لها ولا عدو نعدهم له، ووافق الأحنف في رأيه.

فقال علي (عليه السلام) للأحنف: اكتب إلى قومك..

فكتب الأحنف إلى بني سعد:

أما بعد. فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم.. فقد شقيت سعد بن خرشة برأي ابن يثربي ـ وذلك يوم الجمل حيث حارب علياً ـ وشقيت بنو حنظلة برأي الحيان، وشقيت عدي برأي زرود مطر، وشقيت بنو عمرو بن تميم برأي عاصم بن الدلف، وعصمكم الله برأيي لكم، حتى نلتم ما رجوتم، وأمنتم ما خفتم، وأصبحتم منقطعين من أهل البلاء، لاحقين بأهل العافية.

وأني أخبركم أنا قدمنا على تميم الكوفة، فأخذوا علينا بفضلهم مرتين، بمسيرهم إلينا مع علي.. وميلهم إلى المسير إلى الشام.. ثم أحمسوا[1] حتى صرنا كأنا لا نعرف إلا بهم.. فأقبلوا إلينا، ولا تتكلوا

---

(١) الحماس: الشدة، والمنع والمحاربة. والحماسة: الشدة في الأمر والشجاعة. والحميس الشجاع الشديد. الأحمس: المشتد الصلب في الدين أو القتال. المنجد في اللغة.

عليهم فإن لهم أعدادنا من رؤسائهم، وحناناً أن نلحق.. فلا تبطؤا فإن من العطاء حرماناً.. ومن النصر خذلاناً...

فحرمان العطاء القلة.. وخذلان النصر الابطاء.. الخ,

وكتب معاوية بن صعصعة وهو ابن أخي الأحنف إليهم أبياتاً من الشعر يستحثهم على عدم الإبطاء والسماع للأحنف منها.

ولا تبطئوا عنه وعيشوا برأيه ... ولا تجعلوا مما يقول لكم بدا
أليس خطيب القوم في كل وفدة ... وأقربهم قرباً وأبعدهم بعدا
وأنّ علياً خير حافٍ وناعل ... فلا تمنعوه اليوم جهداً ولا جدا
ومن نزلت فيه ثلاثون آية ... تسميه فيها مؤمناً مخلصاً فردا

فلما انتهى كتاب الأحنف وشعر معاوية بن صعصعة إلى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة، فعزت بالكوفة، وكثرت. ثم قدمت عليهم ربيعة[٢].

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٢.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جرير البجلي رسول أمير المؤمنين علي إلى معاوية

من عادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن لا يبدأ أحداً بقتال حتى يعذر فيه المرة تلو المرة.. وكان هذا شأنه في جميع مواقفه وحروبه.

ففي البصرة يوم حرب الجمل وعظ المنشقين فلم يتعظوا، وحذرهم من عواقب الأمور.. فلم يحذروا. وناداهم مراراً بالرجوع عن غيهم فلم يرجعوا..

كل ذلك كان منه خوف الفتنة التي قد تجتاح المسلمين، وتغير معالم الدين.

في مثل هذا الحال كان شأن علي بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان حين استبد معاوية برأيه وأخذه الغرور وأعمته مطامعه الدنيوية.. وحين رأى علي (عليه السلام) أن معاوية لا ينصاع للحق، ولا يهمه مصلحة المسلمين.. وعلم (عليه السلام) أن معاوية سيستغل مقتل عثمان بن عفان ويثيرها فتنة بين المسلمين ويشعلها حرباً شعواء.. لعله يحظى بالملك متذرعاً في ذلك بالمطالبة بدم عثمان وهو يعلم أنها حيلة ومكيدة لتهييج اتباعه بالشام.

فما كان من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلا أن أرسل جرير بن

عبداله البجلي إلى معاوية وحمله كتاباً يدعوه فيه للبيعة ويحذره من عواقب الأمور إذا امتنع عن ذلك.

ففي كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، عن عـامر الشعبي: أن علياً حين قدم من البصرة، نزع جريراً عن همدان. فجاء - جـرير - حتى نزل الكوفة فأراد علي أن يبعث إلى معاوية رسولاً..

فقال له جرير: ابعثني إلى معـاوية، فـإنه لم يـزل لي مستنصحاً.. وأود أن آتيه فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر، ويجامعـك على الحق، على أن يكون أميراً من أمرائـك، وعامـلاً من عمالـك، ما عمـل بطاعـة الله، واتبع ما في كتاب الله. وادعو أهل الشام إلى طاعتك، وولايتـك، وجلهم قومي، وأهل بلادي، وقد رجوت أن لا يعصوني.

فقال له الأشتر: لا تبعثه.. ودعه ولا تصدقـه.. فوالله أني لأظن هواه هواهم، ونيته نيتهم.

فقال له علي (عليه السلام): دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا.

فبعثـه إلى معاويـة، وقال لـه حين أراد أن يبعثـه: أن حولي من أصحاب رسول الله من أهل الدين والرأي من قد رأيت، وقد اخترتـك عليهم.

ائت معاوية بكتـابي، فإن دخـل فيما دخـل فيه المسلمـون.. وإلا فانبذ إليه، واعلمه أني لا أرضى به أميراً...

فانطلق جرير حتى أتى إلى الشام، ونزل بمعـاوية. فـدخل عليـه، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين، وأهل المصرين، وأهـل الحجاز، وأهـل اليمن، وأهل مصر، وأهـل العروض وعُمان، وأهل البحرين واليمامـة.. فلم يبق إلا أهل هـذه الحصون التي أنت فيها، لوسال عليها سيل من أوديته غرقها.. وقد أتيتك أدعـوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل.. ودفع إليه الكتاب.. كتاب

علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فإن بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر، وعمر، وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يك للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار. فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً، كان ذلك لله رضا. فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة، ردوه إلى ما خرج منه. فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، ويصليه جهنم وساءت مصيراً.

وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إلي فيك العافية، حتى تتعرض للبلاء[1] فإن تعرضت له قاتلتك، واستعنت الله عليك..

وقد أكثرت في قتلة عثمان.. فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله.. فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن.

ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك.. لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان...

واعلم ـ يا معاوية ـ أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى...

وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبدالله وهو من أهل الإيمان والهجرة.. فبايع ولا قوة إلا بالله[2].

---

(١) وفي رواية: إلا أن تتعرض للبلاء.

(٢) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ص ٢٣ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ـ ١ ـ ص ٩٣ وشرح نهج البلاغة وغيرهم.



ما كان من أمر جرير البجلي ومعاوية

روى المؤرخون وأصحاب السير: أن جرير بن عبدالله البجلي عندما وصل إلى الشام وسلم كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان ذلك الكتاب الذي يطلب فيه أمير المؤمنين علي من معاوية البيعة منه ومن أهل الشام. . ويحذره من التعرض للبلاء يحمله على محاربته إن لم يدخل فيما دخل فيه المسلمون. . وموضحاً له من أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى. . .

ولم ينس (عليه السلام) من أن يبين لمعاوية بوضوح بأن مطالبته بدم عثمان ما هي إلا خدعة ومكيدة ـ خدعة الصبي عن اللبن ـ لا تخفى على ذوي الألباب.

روى نصر بن مزاحم من أنه لما قرأ ـ معاوية ـ الكتاب. . قام جرير بن عبدالله البجلي رسول علي (عليه السلام) إلى معاوية فخطب خطبة قال من جملتها:

أيها الناس. . أن أمر عثمان قد أعيا من شهده، فما ظنكم بمن غاب عنه! وأن الناس بايعوا علياً غير واتر ولا موتور. .

وكان طلحة والزبير ممن بايعه، ثم نكثا بيعته على غير حدث. . .

ألا وأن الـدين لا يحتمـل الفتن. . . ألا وأن العـرب لا تحتمـل السيف. . . وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة أن يشفـع البلاء بمثلهـا فلا بقاء للناس.

وقـد بايعت العـامة عليـا. . ولو ملكنـا والله أمـورنـا لم نختـر لهـا غيره. . ومن خالف هذا استعتب. .

فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس. .

فإن قلت: استعملني عثمان، ثم لم يعزلني. . فإن هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين، وكـان لكل امـرىء ما في يـديـه. . . ولكن الله لم يجعـل للآخر من الولاة حق الأول، وجعل تلك أمـوراً موطـأة، وحقوقـاً ينسخ بعضها بعضاً.

فقال معاوية: انظر وتنظر. . واستطلع رأي أهل الشام.

فلما فرغ جريـر من خطبتـه، أمر معـاوية منـاد فنادى. . الصـلاة جامعة.

فلما اجتمع الناس، صعد المنبر وخطب خطبة طويلة. . حث فيها أهل الشام، على المطالبة بدم عثمان ودعمه للأخذ بالثأر بعـد أن مدحهم وبث فيهم روح النخوة والحمية قال من جملة كلامه:

أيها الناس: قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمـر بن الخطاب، وأني خليفة عثمان بن عفان عليكم. . وأني لم أقم رجلاً منكم على خزايـة قط. . .

وأني ولي عثـمان، وقد قُتـل مظلومـاً. . والله يقـول: **﴿ومن قتـل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل أنه كان منصوراً﴾**.

وأنـا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتـل عثمان. فقـام أهـل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك. وأوثقـوا لـه عـلى أن يبـذلـوا أنفسهم، وأمـوالهم، ويـدركـوا ثـأره، أو يفني الله

أرواحهم[1].

أقول: تفنن معاوية في خطبته باستجلاب أهل الشام، وجرهم إلى حرب ليس لهم فيها بالحقيقة مصلحة أو مأرب سوى ارضاء شهواته ورغباته.

وتفنن أيضاً: في سبك الجمل البراقة، والعبارات المثيرة التي نفخت في رؤوسهم الحمية.. حمية الجاهلية.. فراحوا يعطونه مواثيقهم من دون روية.. على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم، أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم.

ولا عجب في ذلك فقد ملك معاوية ألباب أهل الشام، وهم صنيعته.. بعد أن أتخمهم بالهبات والأموال واستولى على عقولهم ـ فالإنسان عبد الإحسان ـ.

وبفضل العطايا الجزيلة التي أغدقها عليهم، والتي شب عليها الصغير، وشاب الكبير تغلغلت في نفوسهم محبته وتأييده حتى أصبحوا في يده آلة صماء يحركها كيف يشاء لا يسمعون إلا قوله... ولا يأتمرون إلا بأمره...

استغل معاوية انقياد أهل الشام له ذلك الانقياد الأعمى شنها حرباً على صوت الحق أمير المؤمنين علي (عليه السلام) واتباعه الصالحين المصلحين.

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم أيضاً: عن محمد بن عبدالله عن الجرجاني: أنه لما جن معاوية الليل وكان قد اغتم بما فيه وعنده أهل بيته قال:

تطاول ليلي واعترتني وساوسي ... لآت أتى بالترهات البسابس
أتانا جرير والحوادث جمة ... بتلك التي فيها اجتداع المعاطس

---

(١) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٥.

أكـابـده والسيف بيـني وبيـنـه ولست لأثـواب الـدني بـلابس

واستحثـه جريـر البجلي بـالبيعـة ـ لعـلي (عليـه السـلام) ـ فقـال معاوية: يا جرير أنها ليست بخلسة. . وأنـه أمر لـه ما بعـده. . فابلعني ريقي حتى انظر[1] .

(١) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٦ .

استعانة معاوية بعمرو بن العاص

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيره أنه لما نزل علي (عليه السلام) الكوفة، بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان كتاباً يدعوه إلى البيعة، مع جرير بن عبدالله البجلي. فقدم جرير على معاوية بالشام.

فلما قرأ معاوية الكتاب اغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كل مذهب وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب، حتى كلم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان، فأجابوه ووثقوا له، وأحب الزيادة في الاستظهار، فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان، فقال له: استعن بعمرو بن العاص، فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه.. وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمرك أشد اعتزالاً.. إلا أن يثمّن له دينه.. فسيبيعك، فإنه صاحب دنيا.

فكتب معاوية إلى عمرو بن العاص:

أما بعد.. فإنه كان من أمر علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط الينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة[1]. وقدم علينا جرير بن عبدالله البجلي في بيعة علي...

---

(١) في كتاب صفين لنصر بن مزاحم: في رافضة أهل البصرة.

وقد حبست نفسي عليك. . . فأقبل أذاكرك أموراً لانعدم صلاح مغبتها. .

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنيه: عبدالله بن عمرو. . ومحمد بن عمرو.

فقال لهما: ما تريان؟.

فقال عبدالله: أرى أن أبا بكر وعمر قبضا وهما عنك راضيان. . وقتل عثمان وأنت عنه غائب. فقر في منزلك فلست مجعولاً خليفة، ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية، على دنيا قليلة، أوشكتما أن تهلكا فتستويا في عقابها[1].

وقال محمد: أرى أنك شيخ قريش، وصاحب أمرها، وأن تصرم هذا الأمر وأنت فيه غافل[2] تصاغر أمرك. . .

فالحق بجماعة أهل الشام، وكن يداً من أيديها، طالباً بدم عثمان، فإنه سيقوم بذلك بنو أمية[3].

فقال عمرو: أما أنت يا عبدالله. . فأمرتني بما هو خير لي في ديني. .

وأما أنت يا محمد. . فأمرتني بما هو خير لي في دنياي. . وأنا ناظر.

فلما جنه الليل ـ تراكمت عليه الهموم وأخذته الحيرة. . ماذا يفعل وفي أي طريق يسلك. . هل يختار جادة علي وهو يعلم حق العلم أن الحق معه. . . أم يعتزل ويبقى في بيته بفلسطين وكان قد ذهب إليها لما

(١) كذا في الإمامة والسياسة. وفي بعض النسخ فتستويا وفي كتاب صفين: أوشك أن تهلك فتشقى فيها.

(٢) في صفين والإمام والسياسة: وأنت غافل.

(٣) في الإمامة والسياسة لابن قتيبة: وكتاب صفين لنصر بن مزاحم: فإنك به تستميل بني أمية.

حوصر عثمان بن عفان وكان له منزل بها.. أم يكتفي بدنيا معاوية الزائلة التي يدعوه إليها، والتي سال لعابه عليها، وأثارت في نفسه الجشع والطمع وحب الامارة.

كل هذه الأمور اجتمعت عليه في وقت واحد فاضطرب وأخذته الحيرة ولم يجد النوم إلى جفنه سبيلاً ـ رفع صوته وأهله يسمعون[1] فقال:

تطاول ليلي بالهموم الطوارق	وخوفي التي تجلو وجوه العوائق
وأن بن هند سالني أن أزوره[2]	وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جرير من علي بخصلة	أمرّت عليه العيش ذات مضائق
فإن نال مني ما يؤمل رده	وإن لم ينله ذل ذل المطابق[3]
فوالله ما أدري وما كنت هكذا	أكون ومهما قادني فهو سابقي
أخادعه أن الخداع دنية	أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة	لشيخ يخاف الموت في كل شارق
وقد قال عبدالله قولاً تعلقت	به النفس إن لم تقطتعني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمد	وأني لصلب العود عند الحقائق[4]

فقال ابنه عبدالله: رحل الشيخ.

ودعا عمرو غلامه وردان، وكان داهياً مارداً..

فقال عمرو: ارحل يا وردان...

ثم قال: أحطط يا وردان...

ثم قال: أرحل يا وردان... أحطط يا وردان.

فقال له وردان: خلط أبو عبد الله ! ؟ .. أما أنك إن شئت أنبأتك بما في قلبك.

---

(١) وفي كتاب صفين وأعيان الشيعة: وأهله ينظرون إليه.

(٢) وفي كتاب صفين وأعيان الشيعة: سائلي أن أزوره.

(٣) المطابقة: المشي في القيد.

(٤) الحقائق: ما يجب على المرء حمايته من عرض ومال.

قال عمرو: هات.. ويحك!

قال وردان: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: علي معه الآخرة في غير دنيا.. وفي الآخرة عوض من الدنيا. ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة.. وليس في الدنيا عوض من الآخرة.. وأنت واقف بينهما.

قال عمرو: قاتلك الله.. ما أخطأت ما في قلبي!.. فما ترى يا وردان؟

قال وردان: أرى أن تقيم في بيتك.. فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم - أي فضل دينهم - وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك.

قال عمرو: ألآن لما أشهرت العرب سيري إلى معاوية![1] فارتحل وهو يقول:

يا قاتل الله وردانا وقدحته[2] ... أبدى لعمرك ما في النفس وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها ... بحرص نفسي وفي الأطماع أدهان[3]

نفس تعف، وأخرى الحرص يغلبها ... والمرء يأكل تبناً وهو غرثان[4]

أما علي فدين ليس يشركه ... دنيا، وذاك له دنيا وسلطان

فاخترت من طمع دنيا على بصر ... وما معي بالذي اختار برهان

أني لأعرف ما فيها وأبصره ... وفيَّ أيضاً لما أهواه ألوان

لكن نفسي تحب العيش في شرف ... وليس يرضى بذل العيش إنسان

فسار عمرو حتى قدم على معاوية، وعرف حاجة معاوية إليه. فباعده من نفسه، وكايد كل واحد منهما صاحبه[5].

---

(١) في الإمامة والسياسة: الآن حين شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية. وفي كتاب صفين: الآن لما شهدت العرب مسيري إلى معاوية - وفي أعيان الشيعة: بمسيري.

(٢) وفي كتاب صفين: وفطنته. وفي أعيان الشيعة: وقرحته - أي قريحته..

(٣) الإدهان: المصانعة.

(٤) غرثان: غرث - غرثا: جاع فهو غرثان. المنجد في اللغة.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ٢ - ص ٦١ - ٦٢ ط. دار احياء التراث العربي - بيروت.

عمرو بن العاص عند معاوية

خرج عمرو بن العاص من منزله في فلسطين متوجهاً نحو الشام لمقابلة معاوية بن أبي سفيان وفي نفس عمرو تعتلج عوامل كثيرة. . حب الدنيا وشهواتها. . والطمع بالامارة والولاية وعلى الأخص ولاية مصر إذ أنه مكث فيها زماناً من أيام ولايته عليها.

فحب مصر غلب على عقل عمرو وسمعه وكانت ولايتها معقد آماله، ونبع أحلامه التي ما زالت منذ غادرها تتراءى له وتتهادى في خياله، حتى لم يعد يهمه إلا الجلوس على عرش ولايتها بأي ثمن. .

ولم يعد عمرو يفكر بشيء بسوى أطماعه الدنيوية حتى الآخرة والعمل لها. . لم يفكر بها ولم تخطر له على بال مع أنه أصبح الشيخ المسن، ومن حقه أن يمشي في طريق الصواب ولا ينحرف ويسلك الطرق الملتوية. .

لكن حب الدنيا والولاية قد أغشيا بصره وبصيرته فهو والحالة هذه عقله عند معاوية وكيف يدبر الأمر ويتحالف معه لينصبا حبائل مكرهما وخداعهما معاً. . وكيف يحصل على ولاية بلاد النيل. .

وتتقاذفه الأفكار وهو يطوي الفيافي والقفار. . قاطعا الصحراء نحو الشام. . ويمر أمام مخيلته شريط من الأيام الماضية. . فعثمان بن

عفان الخليفة الأموي عزله بالأمس عن ولاية مصر وحرمه منها. . وها هو الآن يراوغ معاوية بن أبي سفيان الأموي الذي طلب استعانته ليردها عليه. . واتته الفرصة فليغتنمها أموي حرمه ولاية مصر. . . وأموي سيردها عليه. . .

فلا يضيره بعد أن يرد معاوية عليه ولاية مصر أن يتحالف معه ويدبر المكائد والمؤامرات لمحاربة صوت الحق علي بن أبي طالب. . .

فليس من عجب أن تكون مصر ثمن الآخرة لعمرو بن العاص.

ففي كتاب صفين لنصر بن مزاحم: سار عمرو بن العاص حتى قدم إلى معاوية، وعرف حاجة معاوية إليه، فباعد وكايد كل واحد منهما صاحبه.

فلما دخل عليه قال ـ معاوية ـ: أبا عبدالله طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار، ليس فيها ورد ولا صدر.

قال عمرو: وما ذاك؟

قال معاوية: ذاك أن محمد ابن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر، فخرج هو وأصحابه. . .

ومنها ـ: أن قيصر زحف بجماعة الروم إليَّ ليغلب على الشام.

ومنها ـ: أن علياً نزل الكوفة، متهيئاً للسير إلينا. .

قال عمرو: ليس كل ما ذكرت عظيماً. .

أما ابن أبي حذيفة[1] فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن

(١) محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ولد بأرض الحبشة، وكان أبوه من السابقين الأولين وأمه سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية.

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني ما ملخصه: أن عثمان بن عفان أرسله. بعد استخلافه إلى مصر فكان ـ محمد ـ من أشد الناس تأليباً على عثمان. ولما قتل عثمان بن عفان بايع أهل مصر محمد بن أبي حذيفة بالامارة، إلا عصابة منهم معاوية بن=

تبعث إليه خيلاً تقتله، أو تأتيك به. وإن فاتك لا يضرك. . .

وأما قيصر فاهد له من وصفاء الروم، ووصائفها، وآنية الذهب والفضة، وسله الموادعة، فإنه إليها سريع.

وأما علي بن أبي طالب. . فلا والله يا معاوية ما تسوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء. وأن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش، وأنه لصاحب ما هو فيه. . إلا أن تظلمه[1].

وفي تاريخ اليعقوبي: قدم عمرو على معاوية، فذاكره أمره، فقال له: أما علي فوالله لا تساوي العرب بينك وبينه، إلى قوله: إلا أن تظلمه.

فقال له معاوية: صدقت. . ولكنا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه قتل عثمان.

قال عمرو: واسوأتاه. . أن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت. .

قال معاوية: ولمَ ويحك؟! قال عمرو: أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام، حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار إليه، وأما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين[2].

= خديج، وبسر بن أرطأة. ولما أراد معاوية بن أبي سفيان المسير إلى صفين رأى أن لا يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة خلفه. فسار إليهم في عسكر كثيف، فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر، فمنعوه من دخول الفسطاط.

وفي الإصابة أيضاً: قال أبو أحمد الحاكم: خدع معاوية بن أبي سفيان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى العريش في ثلاثين نفساً، فحاصره معاوية، ونصب عليه المنجنيق، حتى نزل ـ محمد بن حذيفة ـ على صلح. فغدر به معاوية. . فحبس ثم قتل.

وفي الإصابة أيضاً: ذكر خليفة بن خياط في تاريخه: أن علياً (عليه السلام) لما ولي الخلافة أقر محمد بن أبي حذيفة على امارة مصر. ثم ولاها محمد بن أبي بكر.

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ـ ٢ ـ ص ١٧٥.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المساومة.. بين معاوية وعمرو

التقى معاوية بن أبي سفيان بعمرو بن العاص، فتراوغا فترة، وكايد كل واحد منهما صاحبه..

لقاء غريب.. لم يأمن فيه أحدهما لصاحبه.. ولم يركن له..

لقاء تقيمه الأنانية وحدها.. ولا يربط بأي ثقة بين الاثنين..

وصولي بني سهم عمرو بن العاص.. ووصولي الأمويين معاوية..

وإذا تأملنا قليلاً نجد أن رحلة ابن العاص إلى الشام لم تكن حباً بمعاوية وشوقاً إليه، بل كانت للمساومة، والمراوغة، والانتفاع.

كذلك دعوة معاوية بن أبي سفيان لم تكن حباً واخلاصاً لعمرو، بل للاستعانة به لعله يبادر الأمور بالحيلة والخداع، ويحسمها.

فمعاوية يعلم أن عمرو قد جاء دون ريب للانتفاع.. وبذل من دينه وآخرته.. وأراق من ضميره القدر الكافي بقدر الخطى التي قطعتها قافلته طوال طريقها من فلسطين إلى الشام.

التقى معاوية بعمرو فلم يكن ابن العاص بالمخدوع لتغشه كلمات صاحبه معاوية التي غلفها بطلب المشورة.. وبطنها بالنخوة والمطالبة بدم عثمان.

لـذلك نجـد عمـرو بن العـاص يخـرج من التلميـح بـطلبتـه إلى التصريح السافر عندما أعياه تجاهل معاوية ومراوغته ، كما سيأتي .

ذكر المؤرخون مسـاومة عمـرو بن العاص ومعـاوية واتفـاقهما عـلى الباطل . . وهو حرب علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ونحن توخياً للفائدة ننقل ما ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين لأنه من أهم المصادر الموثوقة المعتمد عليها .

عن نصر بن مزاحم : أنه قـال معاويـة لعمرو بن العـاص : يا أبـا عبـدالله أني أدعـوك إلى جهـاد هـذا الـرجـل الـذي عصى ربـه ، وقتـل الخليفة ، وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة ، وقطع الرحم .

قال عمرو : إلى جهاد من؟!

قال معاوية : إلى جهاد علي . .

فقـال عمرو : والله يـا معاويـة مـا أنت وعـلي بعكمي[1] بعـير . . مالك هجـرته ، ولا سـابقته ، ولا صحبتـه ، ولا جهاده ، ولا فقهـه ، ولا علمه . والله أن له مع ذلك حـداً ، وحدوداً ، وحـظاً وحظوة ، وبـلاء من الله حسناً . . فما تجعل لي أن شايعتـك على حـربه وأنت تعلم مـا فيه من الغرر والخطر؟

قال معاوية : حكمك . .

قال عمرو : مصر طعمة[2] . . .

فتلكأ عليه معاوية . . .

وفي رواية : قال له معاوية : أني أكره لـك أبا عبـدالله أن يتحدث

---

(١) العكم بالكسر : العدل ما دام فيه المتاع ، والعكمان : العدلان . وما انتما بعكمي بعير : أي لستما متساويين .

(٢) في شرح النهج عن أبي عثمان الجـاحظ : كانت مصر في نفس عمـرو بن العاص ، لأنـه هـو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر ، فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره ، وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا ، لا يستعظم أن يجعلها ثمنـاً من دينه .

العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا..

قال عمرو: دعني منك...

قال معاوية: إني لو شئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت.

قال عمرو: لا لعمر والله ما مثلي يخدع، لأنا أكيس من ذلك.

قال له معاوية: ادن مني برأسك أسارك..

فدنا منه عمرو يساره.. فعض معاوية أذنه وقال: هذه خدعة.. هل ترى في بيتي أحداً غيري وغيرك؟ فانشأ عمرو يقول:

معاوية لا أعطيك ديني ولم أنل ... بذلك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فاربح بصفقة ... أخذت بها شيخاً يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء وأنني ... لآخذ ما تعطي ورأسي مقنع
ولكنني أغضي الجفون وأنني ... لأخدع نفسي والمخادع يخدع
وأعطيك أمراً فيه للملك قوة ... وأني به إن زلت النعل أصرع

قال معاوية: أبا عبدالله ألم تعلم أن مصر مثل العراق؟!

قال عمرو: بلى.. ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك، وإنما تكون لك إذا غلبت علياً على العراق، وقد كان أهلها بعثوا بطاعتهم إلى علي..

فدخل عتبة بن أبي سفيان، فقال لمعاوية: أما ترضى أن نشتري عمراً بمصر إن هي صفت لك.. فليتك لا تغلب على الشام.

فقال معاوية: يا عتبة بت عندنا الليلة.

فلما جن الليل على عتبة رفع صوته ليسمع معاوية، وقال من أبيات:

أعط عمراً إن عمراً تارك ... دينه اليوم لدنيا لم تحز
أعطه مصراً وزده مثلها ... إنما مصر لمن عز وبز
إن مصراً لعلي أو لنا ... يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو وأعطاها إياه.

كتاب معاوية لعمرو بن العاص بمصر

سبق منا الكلام ما كان من أمر معاوية وارساله لعمرو بن العاص للحضور إليه للإستعانة به في محاربة أمير المؤمنين علي . . . وإن عمرو بن العاص ساومه وطلب منه ولاية مصر . وعندما تلكأ معاوية شجعه عتبة بن أبي سفيان على إرضاء عمرو واستمالته .

سمع معاوية نصيحة عتبة فبعث إلى عمرو فأعطاه مصر طعمة وكتب له كتاباً بذلك .

جاء في الإمامة والسياسة لابن قتيبة قوله: لما كتب معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص بمصر، كتب في أسفل الكتاب: ولا ينقض شرط طاعة . .

وكتب عمرو: ولا تنقض طاعة شرطاً[1] . . وكايد كل واحد منهما صاحبه .

---

(١) ذكر صاحب شرح النهج في تفسير ذلك: أن معاوية قال للكاتب: «اكتب على ألا ينقض شرط طاعة»، يريد أخذ اقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة غير مشروطة بشيء، وهذه مكايدة له، لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع في اعطائه مصر، ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته، ويحتج عليه برجوعه عن اعطائه مصر. لأن مقتضى المشارطة المذكورة، أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً، سواء أكانت في مصر مسلمة إليه أم لا . فلما انتبه عمرو إلى هذه المكيدة منع الكاتب من أن =

وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له، جاءه من مصر، فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً به، عجب ابن أخيه من سروره!..

فقال: يا عمرو ألا تخبرني بأي رأي تعيش في قريش.. وقد أعطيت دينك غيرك؟!

أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعلي حي؟!

أو تراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذك بالجدل الذي قدمه؟

فقال عمرو: يابن أخي.. لو كنت مع علي وسعني بيتي، ولكني مع معاوية..

فقال الفتى: أنك لم ترد معاوية، ولكنك تريد دنياه، ويريد دينك وبلغ معاوية قول الفتى، فطلبه فهرب[1].

وذكر صاحب شرح النهج أنه حينما كتب معاوية لعمرو بن العاص كتابه الذي أعطاه فيه مصر خرج من عنده مسروراً كما ذكر حديث المحاورة الذي جرى بين عمرو وابن أخيه.

وقد أورد هذا الحديث أيضاً نصر بن مزاحم في كتاب صفين. وأن الفتى ابن أخ عمرو لما رأى عمرو بن العاص لا يسمع نصيحة ناصح وأنه مصمم على المضي في طريقه المعوج وهو السير في ركاب معاوية بن أبي سفيان قال الفتى شعراً يؤنبه فيه ويلومه على فعلته ومن جملته قوله:

ألا يا عمرو ما أحرزت مصراً	وما ملت الغداة إلى الرشاد
وبعت الدين بالدنيا خساراً	فأنت بذاك من شر العباد
وفدت إلى معاوية بن حرب	فكنت بها كوافد قوم عاد

= يكتب ذلك، وقال: بل اكتب: «على ألا تنقض طاعة شرطاً»، يريد أخذ اقرار معاوية له بأنه إذا كان أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه. وهذا أيضاً: مكايدة من عمرو لمعاوية، ومنه له من أن يغدر بما أعطاه من مصر.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج - ١ - ص ٩٧.

وأعـطيت الـذي أعـطيت منـه ... بـطرس فيـه نضـح من مـداد
ألم تـعـرف أبـا حـسـن عـليـاً ... ومـا نـالت يـداه من الأعـادي
عـدلت بـه معـاويـة بن حـرب ... فيـا بعـد البيـاض من السـواد
ويـا بعـد الأصـابـع من سهيـل ... ويـا بعـد الصـلاح من الفسـاد

وفي شرح النهج أن عمرو بن العاص لما خرج من عند معاوية قال له ابناه: ما صنعت؟

قال عمرو: أعطانا مصر طعمة.

قالا: وما مصر في ملك العرب؟!

قال: لا أشبع والله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.

وفي شرح النهج أيضاً: أن مروان بن الحكم غضب ـ حين علم بما انتهت إليه المساومة ـ فقال: ما بالي لا أشترى كما اشترى عمرو!

فقال معاوية: إنما يشترى الرجال لك.



ما كان من أمر معاوية مع شرحبيل وتضليله

في كتاب صفين عن الجرجاني قال: لما بات عمرو عند معاوية وأصبح أعطاه مصر طعمة وكتب له بها كتاباً، وقال: ما ترى في علي؟

قال عمرو أرى فيه خيراً، أتاك في هذه البيعة خير أهل العراق، ومن عند خير الناس في أنفس الناس، ودعواك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطر شديد.. ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي هو عدو لجرير المرسل إليك. فأرسل إليه ووطن له ثقاتك فليفشوا في الناس أن علياً قتل عثمان، وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل. فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب. وأن تعلق بقلبه لم يخرجه شيء أبداً.

فكتب معاوية إلى شرحبيل أن جرير بن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر فظيع، فاقدم..

ودعا معاوية يزيد بن أسد، وبسر بن أرطأة، وعمرو بن سفيان، ومخارق بن الحرث الزبيدي، وحمزة بن مالك، وجايس بن سعد الطائي، وهؤلائي رؤوس قحطان واليمن، وكانوا ثقات معاوية، وخاصته، وبني عم شرحبيل بن السمط، فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان.

فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل وهو بحمص، استشار أهل

اليمن، فاختلفوا عليه، فقام إليه عبدالرحمن بن غنم الأزدي وهو صاحب معاذ بن جبل وختنه وكان أفقه أهل الشام، فقال:

يا شرحبيل بن السمط. . أن الله لم يزل يزيدك خيراً مذ هاجرت إلى اليوم وأنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. أنه قد ألقي إلينا قتل عثمان، وأن علياً قتل عثمان[1] فإن يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكام على الناس. وإن لم يكن قتله، فعلامَ تصدق معاوية عليه؟!

لا تهلكن نفسك وقومك، فإن كرهت أن يذهب بحظها جرير، فسر إلى علي فبايعه على شامك وقومك.

فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية. فبعث إليه عياض اليماني وكان ناسكاً. . بأبيات منها:

يا شرح أن الشام شامك ما بها	سواك فدع قول المضلل من فهر
فإن ابن حرب ناصب لك خدعة	تكون علينا مثل راغية البكر[2]
فإن نال ما يرجو بنا كان ملكنا	هنيئاً له والحرب قاصمة الظهر
وأن علياً خير من وطىء الحصا	من الهاشميين المدارك للوتر
له في رقاب الناس عهد وذمة	كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر
فبايع ولا ترجع على العقب كافراً	أعيذك بالله العزيز من الكفر
ولا تسمعن قول الطغاة فإنهم	يريدون أن يلقوك في لجة البحر

وعن الجرجاني أيضاً في كتاب صفين قال: لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فاعظموه ودخل على معاوية، فتكلم معاوية فقال: يا شرحبيل أن جرير بن عبدالله يدعونا إلى بيعة علي. . وعلي خير الناس

---

(١) وفي رواية شرح النهج: أنه قد ألقي إلى معاوية أن علياً قتل عثمان ولهذا يريدك.

(٢) راغية البكر: يشير إلى ما كان من رغاء بكر ثمود ـ ناقة ثمود ـ رغا فيهم فاهلكوا، فضربته العرب مثلاً في الشؤم، وأكثرت فيه ـ انظر الكامل للمبرد ـ وشرح النهج ـ الحاشية ـ.

لولا أنه قتل عثمان بن عفان، وحبست نفسي عليك، وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا، وأكره ما كرهوا. .

فقال شرحبيل: أخرج فانظر. .

فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطّئون له فكلهم أخبره بأن علياً قتل عثمان بن عفان. .

فرجع ـ شرحبيل ـ مغضباً إلى معاوية، فقال: يا معاوية أبى الناس إلا أن علياً قتل عثمان، ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. .

قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلا رجل من أهل الشام.

قال ـ شرحبيل فرد هذا الرجل ـ جرير ـ إلى صاحبه إذن. . . فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، وأن الشام كله مع شرحبيل.

وبعث معاوية إلى شرحبيل أنه قد كان من اجابتك. . وقبله عنك الناس ما علمت وأن هذا الأمر الذي قد عرفته لا يتم إلا برضا العامة فسر في مدائن الشام، وناد فيهم بأن علياً قتل عثمان، وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه.

وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها. فبعث إليه النجاشي بن الحرث وكان صديقاً له أبياتاً أولها:

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا ... ولكن لبغض المالكي جرير



كتاب أمير المؤمنين علي إلى جرير وجواب معاوية إلى علي

انتظر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) رجوع جرير بن عبدالله البجلي من الشام، وجواب معاوية... مع أن علياً يعلم أن معاوية سيراوغ ويخادع حتى يجتمع بزمرته من أهل المكر والخداع للاتفاق على خطة تؤمن لهم سلطانهم ولو بضرب الإسلام ومحاربة صوت الحق.

لكنه (عليه السلام) انطلاقاً من إيمانه العظيم ومحافظته على حقوق المسلمين وحقن دمائهم لا يتعدى خطته المعروفة.. لا يبدأ قوماً بحرب أو قتال حتى يبدؤه... كما فعل يوم الجمل في البصرة. فإنه حذر القوم من الفتنة وأنذرهم.. وحتى إذا ما رأى بعد الأعذار والإنذار إلا الحرب سارع إليه... آخر الدواء الكي...

لذلك نجده (عليه السلام) لما رأى تأخير جرير عن العودة إليه بجواب كتابه الذي أرسله معه لمعاوية، أدرك أن معاوية إنما أخر جريراً بالشام وماطله حتى يجتمع إليه أهلها ويتسنى له حقن نفوسهم على بغضه وعداوته وحملهم على حربه بتحميله دم عثمان.

جاء في تاريخ الطبري: أن علي بن أبي طالب بعث جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية وبعث معه كتاباً يدعوه فيه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته. شخص جرير إلى الشام فلما

قدم على معاوية ماطله واستنظره ، ودعا عمرو بن العاص فاستشاره . . . فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم . ففعل ذلك معاوية .

وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قُتل فيه مخضباً بدمه وبأصابع نائله زوجته. وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد، وثاب إليه الناس، وبكوا سنة وهو على المنبر، وآلى الرجال من أهل الشام أن لا يمسهم الماء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم[1] .

روى نصر بن مزاحم عن صالح بن صدقة: قال: أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس. وقال علي (عليه السلام): وقّت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً . . وأبطأ جرير على علي حتى آيس منه فكتب إليه :

«أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا، فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم محظية .

فإن اختار الحرب فانبذ له . . وإن اختار السلم فخذ بيعته» .

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فاقرأه الكتاب، فقال: يا معاوية أنه لا يطبع على قلب إلا بذنب، ولا ينشرح إلا بتوبة، ولا أظن قلبك إلا مطبوعاً، أراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئاً هو في يدي غيرك .

فقال معاوية: ألقاك بالفيصل أول مجلس . .

فلما بايع معاوية أهل الشام . . وذاقهم . . قال: يا جرير إلحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب[2] .

---

(١) تاريخ الطبري: ج - ٣ - ص ٥٦١ .

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٤٣ .

وفي أعيان الشيعة: قال المبرد في الكامل: وكتب إليه مع جرير جواب كتابه المتقدم:

ـ من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب.. أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر، وعمر، وعثمان. ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان. فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين.. ولعمري ليس حججك علي لحججك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك، ولم أبايعك.. وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام.

فأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وموضعك من قريش فلست أدفعه.

وكتب في أسفل الكتاب أبيات كعب بن جعيل أولها:

أرى الشام تكره ملك العراق   وأهل العراق لهم كارهونا



جواب أمير المؤمنين علي على كتاب معاوية

قال المبرر في الكامل: أجاب علي (عليه السلام) عن كتاب معاوية بقوله:

«ـ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر بن حرب.

أما بعد.. فإنه أتاني منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده. دعاه الهوى فأجابه.. وقاده الضلال فاتبعه.. زعمت إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا. وما كان الله ليجمعهم على الضلال ولا يضربهم بالعمى..

وبعد.. فما أنت وعثمان؟! إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بذلك منك. فإن زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم، فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على المحجة»[1].

وفي رواية نصر بن مزاحم: «وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر.. ولا قتلت فيجب علي قصاص.

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ـ ١ ـ ص ٤٧٠ ـ ٤٧١.

وأما قولـك أن أهل الشـام هم الحكام عـلى أهل الحجـاز، فهات رجلاً من قريش الشام يُقبل في الشورى أو تحل له الخلافـة. فإن زعمت لك. . كذبك المهاجرون والأنصار. وإلا أتيتك به من قريش الحجاز.

وأما قولـك ادفع إلينـا قتلة عثمان. . فـما أنت وعثمان؟! إنمـا أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بذلك منك. . الخ.

وأما تمييزك بين الشام والبصرة، وبين طلحة والزبير، فلعمـري ما الأمـر فيما هنـاك إلا واحـد، لأنها بيعـة عـامـة لا يثني فيهـا النـظر، ولا يستأنف فيها الخيار.

وأما ولوعك لي في أمر عثمان، فما قلت ذلك عن حق العيان، ولا بعين الخبر.

وأمـا فضلي في الإسـلام وقـرابتي من النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وشرفي في قـريش. . فلعمري لـو استطعت دفـع ذلك لـدفعته.

وأمر النجاشي فأجابه في الشعر فقال أبياتاً أولها:

دعن يـا معـاويـة مـا لن يكـونـا فقـد حقق الله مـا تحـذرونـا[1]

أقـول: لم يغب عن علي (عليـه السلام) غش جـريـر بن عبـدالله البجـلي، ولم يترك عليـه السلام نصيحـة الأشتر بعـدم ارسال جـريـر إلى الشام عندمـا قال الأشـتر: يا أمـير المؤمنين لا تبعثـه ودعه ولا تصـدقه، فوالله أني لأظن هواه هواهم. . الخ.

لم يترك (عليه السلام) نصيحة الأشتر عن سوء نيـة منه في مـوقف الأشتر، إذ كان أمر لا بد منـه، فلا بـد من الارسال إلى معـاوية لإلقـاء الحجة عليه سواء في ذلك كان الرسـول إلى معاويـة من المخلصين لـه أو من غـير المخلصين لأنـه يعلم (عليه السـلام) ما سيكـون من أمـر جرير المملوءة بطنه من خـيرات همدان التي ولاه عليهـا عثمان بن عفـان قريب معاوية.

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٤٤.

وعلي (عليه السلام) أيضاً: يعلم أنه لا بد من جواب معاوية بعدم الطاعة والتمرد، سواء كان المرسل إلى معاوية جرير البجلي أو غيره... النتيجة واحدة فمعاوية سليل أمية الموتور من بني هاشم ومن سيف علي على الأخص يوم بدر، ومقتل أسياده من عتاة قريش وما جرى عليهم في ذلك اليوم أمر لا ينساه. وها هو يرى أنه قد لاح في الأفق بريق الأمل للأخذ بالثأر وقد سنحت الفرصة لمحاربة أمير المؤمنين علي فليغتنمها... خصوصاً لما رأى أهل الشام أصحابه المضللين المملوءة بطونهم من عطاياه، وهباته.. المغسولة أدمغتهم بكيده وتضليله يأتمرون بأمره. يوالون من يوالي ويحاربون من يحارب. لا يفرقون بين الحق والباطل.

وعلى هذا فمعاوية لا يخضع لعلي وهو يرى أن علياً لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يراعي في دينه أحداً ولا يقر الظالمين على ظلمهم. وسوف تكون النتيجة خلعه عن ولاية الشام.

معاوية لم يردعه وازع عن التماس أي أسلوب لمحاربة علي بن أبي طالب ولا يردعه أي رادع للغدر به، ولا يهمه الادعاء بالباطل كمطالبته بدم عثمان وكل ما وصلت به طرائقه الملتوية من التشويه والطعن لمحاربة خصمه علي سائغة... همه في ذلك أن يفوز بالسلطان وإن وطئت قدمه الملوثة قداسة الحق وقيم الأخلاق. بكيده، ومكره، وفجوره.

معاوية يستسهل في سبيل سلطانه كل المنكرات ويستسيغها.. كل حرمة مباحة.. وكل ضلال هدى.. وكل حرام حلال.. والكيد والغدر هما من صفاته المميزة.. هذه الصفاة التي كان بعض الناس من الضالين والجهلاء يرونها دهاء وحنكة. وسياسة ومرونة. وقد كشف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن هذا بقوله:

«والله ما معاوية بأدهى مني» ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس...».



بين الأشتر وجرير بعد رجوعه من الشام

عن نصر بن مزاحم أنه لما رجع جرير بن عبدالله البجلي إلى علي (عليه السلام)، كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية. . .

فاجتمع جرير والأشتر عند علي، فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى من خناقه وأقام حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلا فتحه، أو يخاف غمه إلا سده.

فقال جرير: والله لو أتيتهم لقتلوك، وخوفه بعمرو، وذي الكلاع، وحوشب ذي ظليم، وقد زعموا أنك من قتلة عثمان.

فقال الأشتر: لو أتيته والله يا جرير لم يعيني جوابها، ولم تثقل علي محملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر.

قال جرير: فآتهم إذن. . .

قال الأشتر: ألآن وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر.

وفي رواية: اجتمع جرير والأشتر عند علي، فقال الأشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً وأخبرتك بعداوته وغشه. . .

وأقبل الأشتر إلى جرير يشتمه ويقول: يا أخا بجيلة أن عثمان

اشترى منك دينك بهمدان. . والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً. إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم. ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم. . وأنت والله منهم ولا أرى سعيك إلا لهم. ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسنك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستبين هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين.

قال جرير: وددت والله أنك كنت مكاني بعثت إذاً والله لم ترجع. .

فلما سمع جرير بذلك لحق بقرقيسا، ولحق به أناس من قيس من قومه، ولم يشهد صفين من قيس غير تسعة عشر الخ[1].

وفي البداية والنهاية لابن كثير: رجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا ـ أي معاوية، وعمرو بن العاص، واتباعهما من أهل الشام ـ

فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين ألم أنهك أن تبعث جريراً؟! فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلّا أغلقته.

فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان.

فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يعيني جواب معاوية ولا عجلنه عن الفكرة، ولو أطاعني قبل لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة.

فقام جرير مغضباً، وأقام بقرقيسيا.
وكتب جرير إلى معاوية يخبره بما قال. . وما قيل له:

فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[2].

وفي رواية نصر بن مزاحم: أن الأشتر عندما خوفه جرير البجلي بعد عودته من الشام بعمرو، وصاحبه معاوية، وذي الكلاع، وحوشب ذي ظليم قال الأشتر من الشعر أبياتاً منها:

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٤٦.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج ـ ٧ ـ ص ٢٥٣.

لعمرك يا جرير لقول عمرو		وصاحبه معاوية الشآمي
وذي كلع وحوشب ذي ظليم		أخف علي من زف النعام
فلست بخائف ما خوفوني		وكيف أخاف أحلام النيام



كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي وجواب علي له

توالت الكتب بين أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان وكان القصد من ذلك وعظ معاوية وارشاده وحثه على التبصر بعواقب الأمور، ونهيه عن اشعال الفتنة وشق عصا المسلمين، وما ستخلفه الفتنة من حروب وويلات، وإراقة دماء.

لكن معاوية كان قد أخذ الشيطان منه مأخذه فجرى منه مجرى الدم في العروق فتآمر مع زمرته الضالة كعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومن كان على شاكلتهما لمحاربة أمير المؤمنين علي.. همهم الوحيد الحصول على سلطان المسلمين بأي ثمن.

وها نحن نذكر بعض كتب معاوية إلى أمير المؤمنين علي وجواب علي له ليكون عبرة لمن تأمل ونظر بعين الحقيقة والواقع.. وكيف أن معاوية استعمل حججاً لا وجود، لها... وكيف اخترع الحجج المضللة التي بواسطتها وجد أعواناً له لمحاربة صوت الحق علي (عليه السلام). فكان في ذلك كمن يحتج على الليل بأنه نهار.. وعلى أن العلقم أحلى من العسل.. وكيف أن طغام أهل الشام من أصحابه قبلوا ذلك منه، وقد عميت بصائرهم عن الحقيقة التي هي كالشمس في رابعة النهار. إذ أصبحوا في بيداء الضلالة حيارى وفي أيدي الأبالسة سكارى. ﴿**وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾[1].

---

(١) سورة التوبة: آية ـ ٨٧.

استطاع معاوية بواسطة أصحابه وتابعيه المضللين بأن يمحوا فضائل علي (عليه السلام) وينكروا حقه في الخلافة وسابقته في الإسلام، وجهاده في سبيل الله وإرساء قواعد الدين ومحاربته للمشركين. وحملوه دم عثمان بن عفان ليكون ذريعة لحربه ظلماً منهم له وعدواناً. وعلى سبيل المثال نذكر ما جاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم: أن أبا مسلم الخولاني قام إلى معاوية في أناس من قراء أهل الشام، فقالوا: يا معاوية على ما تقاتل علياً؟! وليس لك مثل صحبته، ولا قرابته، ولا سابقته.

قال لهم معاوية: ما أقاتل علياً وأنا أدعي أن لي في الإسلام مثل صحبته، ولا هجرته، ولا قرابته، ولا سابقته. ولكن خبروني عنكم: ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً؟.

قالوا: بلى...

قال معاوية: فليدع إلينا قتلة عثمان فنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه.

قالوا: فاكتب كتاباً يأتيه بعضنا به.

فكتب معاوية إلى علي مع أبي مسلم الخولاني.. كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، واجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام. فكان أفضلهم الخليفة من بعده وخليفة خليفته، والثالث الخليفة المظلوم عثمان. فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وقولك الهجر وتنفسك الصعداء، وابطائك عن الخلفاء، تقاد

إلى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش[1] حتى تبايع وأنت كاره. ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمك عثمان فقطعت رحمه وألبت الناس عليه، فقتل معك في المحلة. وأنت تسمع في داره الهائعة ولا تردع الظن والتهمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل فاقسم صادقاً أن لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً. وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين، إيوائك قتلة عثمان. وقد ذكر لي أنك تتنصل من دمه.. فإن كنت صادقاً فامكنا من قتلته نقتلهم به، ونحن أسرع إليك، وإلا فليس لك ولا لأصحابك إلا السيف.. والذي لا إله إلا هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى يقتلهم الله أو لتلحقن أرواحنا بالله والسلام[2].

فقدم أبو مسلم الخولاني بكتاب معاوية على علي (عليه السلام). فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإنك ـ يا علي ـ قد قمت بأمر وتوليته، والله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك. أن عثمان قُتل مسلماً محرماً مظلوماً، فادفع إلينا قتلته، وأنت أميرنا، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة، وألسنتنا لك شاهدة.

فقال له علي: أغد علي غداً فخذ جواب كتابك.

فانصرف ـ أبو مسلم الخولاني ـ ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه، فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملؤا المسجد وأخذوا ينادون: كلنا قتلة ابن عفان...

وأذن لأبي مسلم فدخل على أمير المؤمنين، فدفع إليه جواب كتاب معاوية، فقال له أبو مسلم: قد رأيت قوماً مالك معهم أمر.

---

(١) البعير المخشوش: هو الذي يجعل في أنفه الخشاش. والخشاش عويد يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون لانقياده. لسان العرب لابن منظور.

(٢) كتاب صفين: لنصر بن مزاحم: ج ـ ١ ـ ص ٦٢.

قال: وما ذاك؟!

قال: بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح، وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان.

فقال علي (عليه السلام): والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينيه، ما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك، ولا إلى غيرك. . . وأعطاه جواب كتاب معاوية.

فخرج ـ أبو مسلم ـ بالكتاب وهو يقول: ألآن طاب الضراب[1]: وكان كتاب علي (عليه السلام) إلى معاوية.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنعم تعالى في نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفينا. فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر، والداعي مسدده إلى النضال، وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام. . الخ.

فلعمر الله إني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام، ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر. . أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد، كنا أهل البيت أول من آمن به، فلبثنا أحوالاً محرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا. فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أهلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل. فمنعونا الميرة، وأمسكوا عنا العذب، واحلسونا الخوف[2]، وجعلوا علينا الأرصاد، والعيون، واضطرونا إلى

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ج ـ ١ ـ ص ٦١.

(٢) أحلسونا الخوف: ألزمونا إياه. أحلس فلان الخوف: ألزمه إياه فلم يأمن. المنجد في اللغة.

جبـل وعـر، وأوقـدوا لنـا نـار الحـرب، وكتبـوا علينـا بينهم كتـاباً، لا يواكلونا، ولا يشاربونا، ولا يناكحونا، ولا يبايعونا، ولا نأمن فيهم حتى نـدفع إليهم النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فيقتلوه ويمثلوا بـه. فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم..

فعـزم الله لنا عـلى منعه، والـذب عن حوزتـه، والـرمي من وراء حرمته[1] والقيام بأسيافنا دونه. فأما من أسلم من قريش بعـد فإنهم مما نحن فيه أخلياء، فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه.

وكـان رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) إذا أحمـر البـأس، وأحجم النـاس، أقام أهـل بيته فـاستقـدمـوا فـوقى بهم أصحـابـه حـر السيوف والأسنة، فقتل عبيدة يـوم بدر، وحمـزة يوم أحـد، وجعفر يـوم مؤتـة، وأراد من لو شئت ذكـر اسمه مثـل الذي أرادوا من الشهـادة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير مرة، إلا أن آجالهم عجلت ومنيته أخرت...

وأمـا ما ذكـرت من أمر عثـمان، فإنـه عمل مـا بلغـك.. فصنـع الناس به ما قد رأيت...

وأمـا ما ذكـرت من أمر قتلة عثـمان، فـإني نـظرت في هـذا الأمـر وضربت أنفه وعينيه، فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك...

ولعمـري لئن لم تنزع عن غيـك وشقـاقـك لتعـرفنهم عن قليـل، يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل.

وقد كان أبوك أتاني حـين ولى الناس أبـا بكر، فقـال: أنت أحق بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلـك على من خالف عليـك، أبسط يدك أبـايعك. فلم أفعـل وأنت تعلم أن أبـاك قد كـان قال ذلـك وأراده حتى كنت أنا الـذي أبيت لقـرب عهـد

---

(١) في شرح النهج لابن الحديد: من وراء حومته.

الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الإسلام. فأبوك كان أعرف بحقي منك، فإن تعرف من حقي ما كان يعرف أبوك تصب رشدك وإن لم تفعل فسيغني الله عنك والسلام[1].

(١) ذكر هذا الكتاب لأمير المؤمنين نصر بن مزاحم في كتابه صفين ج ـ ١ ـ ص ٦٣ ـ ٦٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١٤ ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ـ ١ ـ ص ٤٧٣ وغيرهم من المؤرخين مع بعض الزيادات واختلاف بسيط في العبارات.

وقفة تأمل في كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي

سبق منا القول أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أرسل إلى معاوية بن أبي سفيان المتمرد بالشام كتباً يحذره الفتنة ويبصره بعواقب الأمور.

لكن معاوية كانت أجوبته كلها تعنت وتهجم وادعاءات كاذبة.

ونحن حرصاً منا على الاختصار وخوفاً من الملل نقتصر على مناقشة بعض الفقرات من كتاب معاوية بن أبي سفيان الذي أرسله مع أبي مسلم الخولاني لأمير المؤمنين علي (عليه السلام). ليتضح للقارىء المنصف موقف معاوية المراوغ وكيف كان يعمل ما وسعه من الكيد لطمس الحقيقة بكل معنى ليصل إلى مآربه الشخصية وملذاته الدنيوية ولو أدى ذلك إلى هدم الإسلام.

كان كتاب معاوية لعلي (عليه السلام) وما فيه من الجرأة والتهجم... كتاب رجل أحمق ليس في كلامه شيء من الصحة.. كتاب افتراء وادعاء، نجد هذا من خلال سطوره، ومجمل عباراته إذ يتضح لنا إلى أي مدى انحدر إليه ضميره.

فما كان أعجبها من افتراءات تفتقت عنها قريحة ابن أبي سفيان عند قوله لعلي (عليه السلام): «ولكن أغريت بابن عمك ـ عثمان ـ

فقطعت رحمه وألبت الناس عليه فقُتل معك في المحلة، وأنت تسمع في داره الهائعة. . . الخ».

لنقف هنيهة عند هذه العبارة ونقول لمعاوية بمنطق الصدق، والعقل، والحقيقة التاريخية: مهلا. . مهلا. . يا بن هند. . فقد أتيت شيئاً إدّا. . وتكلمت بكلام ينم عن حقدك، وخبث سريرتك أننا نقول الحق إذا وصفناك بما وصفك فيه أمير المؤمنين علي حيث قال مجيباً لك على كتابك:

«أتاني كتاب امرىء ليس له نظر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه. . . الخ».

ليت شعري يا معاوية: ألعلي بن أبي طالب يقال: «أخذك الحسد لابن عمك فقطعت رحمه وألبت الناس عليه؟».

من أين أتيت يا بن أبي سفيان بهذا الافتراء الواضح. . وهذا البهتان المفضوح؟!

إن كتب التاريخ بأجمعها تدحض افتراءاتك وحججك التي تنضح بالزور والبهتان.

يقول ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة وغيره من المؤرخين:

بلغ علي بن أبي طالب أن عثمان يراد قتله، فقال للحسن والحسين: «اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل إليه. . . الخ».

وكان من نتيجة ذلك أن وقف الحسن والحسين يذودان عنه . . .

وقفا (عليهما السلام) على باب عثمان بن عفان يذودان عنه المحاصرين ويردان عنه ثورة المهاجمين. . البحر الهائج من المسلمين الذين توافدوا على المدينة من اقطار عدة، مستنكرين أعمال الظلم والتعسف التي يلاقونها من الولاة الذين أرسلهم إليهم الخليفة عثمان لعله يستجيب لظلامتهم ويسمع شكواهم ويرسل إليهم ولاة صالحين.

لكن عثمان لم يستمع لهم مما أدى إلى حصاره في داره وأخيراً إلى قتله بعد أن غذاهم طلحة والزبير، وأم المؤمنين عائشة بتحريضهم عليه . . .

وقف الحسنان (عليهما السلام) يذودان عن عثمان حتى أصيب الحسن وشج قنبر مولى علي (عليه السلام) كما ذكر ذلك المؤرخون.

وهنا لا بد لنا من القول: أين كنت يا معاوية في ذلك الوقت؟ ولماذا لم تحضر أنت واتباعك حين استصرخك عثمان واستغاث بك بقوله: العجل العجل يا معاوية. . وأدرك ثم أدرك. . فيا غوثاه يا غوثاه[1]. . . فلم تغثه. . لكنك يا معاوية أمرت جيشك الذي أرسلته لنجدة عثمان رياءً على أعين الناس. . أن لا يدخل المدينة إلا بأمر منك مرادك في ذلك بعد أن يكون عثمان قد قُتل حتى تطلب بدمه ويكون الطلب بدمه ذريعة لمحاربة علي (عليه السلام) والاستيلاء على سلطان المسلمين.

ـ مهلاً يا معاوية: لماذا تعاميت عن الحقيقة واتبعت هواك؟ فرحت تشنها حرباً على أمير المؤمنين علي حملك الثأر لأشياخك يوم بدر، متذرعاً في ذلك بالمطالبة بدم عثمان. . وأنت تعلم أن علي بن أبي طالب أبرأ الناس من دم عثمان. .

ـ أليس علي بن أبي طالب دافع عن عثمان مراراً، وأتاه إلى بيته وحذره؟!

ـ أليس علي بن أبي طالب هو الذي رد الناس عنه حينما حُوصر واخرج المحاصرين على أن يقلع عثمان عن سيرته من ايثاره الأمويين بالسلطة ويستبدل بهم ولاة صالحين.؟! ثم يعود عثمان عن رأيه باشارة من وزيره مروان بن الحكم الذي كان السبب في قتله.

ـ أليس علي بن أبي طالب هو الذي أخرج طلحة من بيت المال

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ٣٦ وقد ذكر هذا جميع المؤرخين.

حينما استولى طلحة على بيت المال في المدينة نكاية بعثمان عندما كان محاصراً.

فدخل عليه ونصحه وقال له: «أخرج إلى الناس وتكلم بكلام يسمعه الجميع منك ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والأمانة، فإن البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن أن يجيء ركب آخر من الكوفة أو البصرة فتقول: يا علي اركب إليهم... فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك... الخ».

فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة، ورضي الناس بذلك.

لكن عثمان رجع عن رأيه من النزوع والتوبة برأي من مروان وفتيان بني أمية. وقد ذكرنا هذا مفصلاً عند مقتل عثمان.

ألم تقل نائلة بنت الفرافصة لزوجها عثمان عندما سمعت علياً يقول له: «ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وأيم الله يوردك ولا يصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك.. أذهبت شرفك وغُلبت على أمرك».

فلما خرج علي دخلت نائلة على عثمان فقالت له: قد سمعت قول علي لك وليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء.

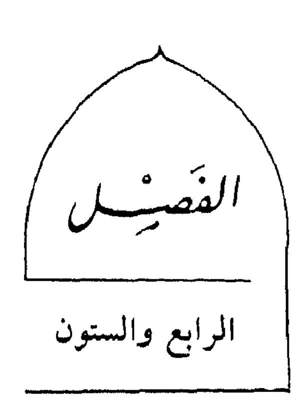
لقد دافع أمير المؤمنين علي عن عثمان قدر الإمكان وأرسل ولديه الحسن والحسين سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يذودان عنه حتى أصيب الحسن وشج قنبر...

ومع هذا نجد معاوية يدعي مفترياً بقوله لعلي: قطعت رحم ابن عمك ـ عثمان ـ وألبت الناس عليه...

وبعد هذه الالتفاتة والجولة القصيرة في منعطف التاريخ لا يمكننا إلا القول:

سلام الله عليك يا أبا الحسن أي تضحية أكبر من ارسال فلذتي كبدك ولديك للدفاع عن عثمان نصرة له وحفاظاً عليه همك في ذلك جمع كلمة المسلمين ووحدتهم فما كفاك من التضحية في سبيل الإسلام وجمع كلمة المسلمين سكوتك عن حقك المسلوب حتى أرسلت ريحانتي رسول الله الحسن والحسين (عليهما السلام) للحفاظ على عثمان وصد المهاجمين عليه. وعرضتهما لأخطار السهام المتساقطة على دار عثمان المحاصرة وأنت الظنين بهما والحريص عليهما.. لأنهما بقية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


الفَصْل
الرابع والستون



المسير إلى صفين

انتهت وقعة الجمل في البصرة وانتهى الحال بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى أن تكون الكوفة مقراً له ومسكناً، بعد أن اجتمع جل أهل الكوفة وما والاها على نصرته والبيعة له، عدا ثلة قليلة من المنافقين، وعملاء الأمويين. . .

ومن الكوفة أخذ (عليه السلام) يدير دفة الحكم. . وأمور الدولة طبق الشريعة الإسلامية فعزل من عزل من الولاة الفاسدين الذين عاثوا في الأرض فساداً مدة حكمهم وأشبعوا العباد ظلماً وطغياناً . . .

استتب الأمر لأمير المؤمنين علي في جميع الأقطار الإسلامية عدا الديار الشامية المتمرد بها سليل أمية معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذ من دم عثمان بن عفان ذريعة لحرب علي والثأر منه. . وللوصول إلى السلطان كما أسلفنا.

لم يكن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ليستعجل الحرب، بل كتب لمعاوية مراراً وحذره الفتنة وعواقب الأمور لعله مع اتباعه من أهل الشام عادوا إلى رشدهم ورجعوا عن غيهم وذلك لحقن دماء المسلمين.

لكن معاوية أخذ يعمل الحيل والمكائد لاستعجال الحرب حتى لا تفوته فرصة المطالبة بدم عثمان. . فما كان منه إلا أن عبأ أصحابه الموالين

له وعقد الألوية وسار إلى حرب علي كما ذكر ذلك المؤرخون.

في الإمامة والسياسة لابن قتيبة: أنه لما عزم معاوية على المسير إلى صفين[1] عبأ أهل الشام، فجعل على مقدمته أبا الأعور السلمي، وعلى ساقته بسر بن أرطأة، وعلى الخيل عبيدالله بن عمر - الذي لجأ إلى معاوية مخافة أن يقتله علي (عليه السلام) بقتله الهرمزان -، ودفع معاوية اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وجعل على الميمنة يزيد العبسي، وعلى الميسرة عبدالله بن عمرو بن العاص. ثم سار في ثلاثة آلاف وثمانين ألفاً، حتى نزل بصفين وذلك في نصف محرم، وسبق إلى سهولة الأرض، وسعة المناخ، وقرب الفرات، وكتب إلى علي يخبره بمسيره.

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة أيضاً: أن علياً لما بلغه تأهب معاوية قال:

«أيها الناس، إنما بايع معاوية أهل الشام، وليس له غيرهم ولي ولا نصير. وأنكم أهل الحجاز، وأهل العراق، وأهل اليمن، وأهل مصر، وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله، وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة.. وقد وادع القوم الروم، فإن غلبتموهم استعانوا بهم، ولحقوا بأرضهم، وإن غلبوكم فالغاية الموت، والمفر إلى الله العزيز الحكيم.

وقد زعم معاوية أن أهل الشام أهل جر ونصر.. ولعمري لأنتم

(١) صفين بكسرتين وتشديد الفاء: موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين أمير المؤمنين علي ومعاوية في سنة ٣٧ في غرة صفر، واختلف في عدة أصحاب كل من الفريقين، فقيل كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً وكان علي في تسعين ألفاً، وقيل: كان علي في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً وهذا أصح، وقتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً منهم من أصحاب علي (عليه السلام) خمسة وعشرون ألفاً، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وقُتل مع علي خمسة وعشرون صحابياً بدرياً، وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة: معجم البلدان لياقوت الحموي.

أولى بذلك منهم، لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، وإنما الصبر اليوم، والنصر غداً . .

فجد الناس ونشطوا وتأهبوا. فسار علي بالناس من الكوفة في مئة ألف وتسعين ألفاً، فجعل على المقدمة الأشتر النخعي، وعلى ساقته شريح بن هاني، وعلى المهاجرين والأنصار محمد بن أبي بكر، وعلى أهل البصرة عبدالله بن عباس، وعلى الكوفة عبدالله بن جعفر، وعلى جماعة الخيل عمار ابن ياسر، وعلى القلب الحسن بن علي وسار علي حتى نزل صفين، وقد سبقه معاوية إلى سهوله الأرض، وسعة المناخ، وقرب الفرات[1].

وفي مروج الذهب للمسعودي: أنه كان سير علي من الكوفة إلى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الأنصاري، فاجتاز في مسيره بالمدائن، ثم أتى الأنبار، وسار حتى نزل الرقة، فعقد له هنالك جسر، فعبر إلى جانب الشام.

وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش، فمكثر ومقلل، والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً.

وسار معاوية من الشام، وقد تنوزع في مقدار من كان معه أيضاً: فمكثر ومقلل، والمتفق من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً. فسبق علياً إلى صفين وعسكر في موضع سهل أفيح اختاره قبل قدوم علي، على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها اخراق عاليه، ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً، وبات علي وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء[2].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج - ١ - ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج - ٢ - ص ٣٨٤.

وفي تـاريخ اليعقـوبي: سار عـلي في المهاجـرين والأنصار حتى أتى المدائن ، فلقيه الدهاقون بالهدايا فردّها عليهم، فقالوا : لما تردّ علينـا يا أمـير المؤمنـين؟! قـال: نحن أغنى منكم بحق، وأحـق بـأن نفـيض عليكم . .

ثم سـار إلى الجزيـرة فلقيه بـطون تغلب، والنمر بن قـاسط فسار منهم معه خلق عظيم[1] .

(١) تاريخ اليعقوبي ـج ـ ٢ ـ ص ١٧٦ .

من أخبار أمير المؤمنين علي وهو في طريقه إلى صفين

في كتاب صفين لنصر بن مزاحم: أنه مر علي بالأنبار فاستقبله بنو خشنوشكِ دهاقنتها[1] فلما استقبلوه نزلوا، ثم جاءوا يشتدون معه، قال أمير المؤمنين علي: «ما هذه الدواب التي معكم.. وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟!».

قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء.. وأما هذه البراذين فهدية لك.. وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً، وهيأنا لدوابكم علفاً كثيراً..

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء.. فوالله ما ينفع هذا الأمراء.. وأنكم لتشقون به على أنفسكم، وأبدانكم، فلا تعودوا له.

وأما دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم، فنحسبها من خراجكم.. أخذناها منكم..

وأما طعامكم الذي صنعتم لنا، فإنا نكره أن نأكل من أموالكم شيئاً إلا بثمن...».

---

(١) بنو خشنوشك: معناها بنو الطيب الراضي والكلمة فارسية. الدهاقنة كلمة فارسية والدهقان: رئيس الاقليم. والدهقنة رئاسة الاقليم.

قالوا: يا أمير المؤمنين نحن نقومه ثم نقبل ثمنه..

قال (عليه السلام): «إذاً لا تقومونه قيمته، نحن نكتفي بما هو دونه».

قالوا: يا أمير المؤمنين فإن لنا من العرب موالي، ومعارف، فتمنعنا أن نهدي لهم وتمنعهم أن يقبلوا منا!

قال (عليه السلام): «كل العرب لكم موال وليس ينبغي لأحد من السملمين أن يقبل هديتكم.. وإن غصبكم أحدنا أعلمونا..».

قالوا: يا أمير المؤمنين إنا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا.

قال لهم (عليه السلام): «ويحكم نحن أغنى منكم..».

ثم تركهم وسار.

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم أيضاً: قال أبو سعيد التميمي: كنا مع علي في مسيره إلى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء. فانطلق بنا علي (عليه السلام) حتى أتانا على صخرة ضرس من الأرض، كأنها ربضة عنز، فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا ماء.. فشرب الناس منه وأرتووا... ثم أمرنا فاكفأناها عليه..

وسار الناس حتى إذا مضينا قليلاً.. قال علي (عليه السلام): هل منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟..

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين.

قال أبو سعيد التميمي: فانطلقوا إليه.. فانطلق منا رجال ركباناً ومشاة، فاقتصصنا الطريق، حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه، فطلبناها، فلم نقدر على شيء حتى إذا عيل علينا، انطلقنا إلى دير قريب منا، فسألناهم: أين الماء الذي هو عندكم؟

قالوا: ما قربنا ماء.

قالوا: بلى إنا شربنا منه..

قالوا: أنتم شربتم منه؟!

قلنا: نعم..

قالوا: ما بني هذا الدير إلا لذلك الماء، وما استخرجه إلا نبي أو وصي نبي[1].

ومن أخبار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو في طريقه إلى صفين ما ذكره اليعقوبي في تاريخه أنه عندما سار علي إلى الجزيرة لقيه بطون تغلب والنمر بن قاسط، فسار معه منهم خلق عظيم.

ثم سار إلى الرقة وجل أهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة إلى معاوية، فغلقوا أبوابها وتحصنوا.. وكان أميرهم سماك بن مخرمة الأسدي.. فسار إليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي، فقال:

والله لتفتحن أو لأضعن فيكم السيف..

ففتحوا.. وأقام بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يومه، ثم عبر إلى الجانب الشرقي من الفرات حتى صار إلى صفين[2].

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ١٠٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج - ٢ - ص ١٧٧.



قصة الراهب الذي جاء إلى أمير المؤمنين علي وهو في طريقه إلى صفين

في البداية والنهاية لابن كثير: أنه سار علي (رضي الله عنه) بمن معه من الجنود من النخيلة[1] قاصداً أرض الشام.

قال أبو إسرائيل عن الحكم ابن عيينة: وكان في جيش علي بن أبي طالب ثمانون بدرياً، ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة، رواه ابن ديزيل.

وقد اجتاز علي بن أبي طالب في طريقه براهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديزيل في كتابه عن يحيى ابن عبدالله الكرابيسي مسلسلاً عن حبة العرني أنه قال:

لما أتى علي الرقة[2] نزل بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات. فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلي: أن عندنا كتاباً توارثناه عن

---

(١) النخيلة: تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه علي (عليه السلام)، لما بلغه ما فُعل بالأنبار من قتل عامله عليها، وخطب خطبته المشهورة ذم فيها أهل الكوفة، وقال: «اللهم أني لقد مللتهم وملوني فأرحني منهم..» فقتل بعد ذلك بأيام.

(٢) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة.

آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم (عليهما السلام)[1] . أعرضه عليك؟ . .

فقال علي: نعم . .

فقرأ الراهب الكتاب . . وفيه

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الذي قضى فيما قضى، وسطر فيما سطر، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة. . . ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله على كل شرف[2] وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره الله على كل من ناوأه . .

فإذا توفاه الله اختلفت أمته، ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم اختلفت . . . ثم يمر رجل من أمته بشاطىء هذا الفرات يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق، ولا ينكس[3] الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب ـ في يوم عصفت فيه الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف الله في السر، وينصح في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم. فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة.

ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره . . فإن القتل معه شهادة» .

ثم قال الراهب لعلي: فأنا أصاحبك ولا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك .

---

(١) وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : كتبه عيسى بن مريم .

(٢) وفي كتاب صفين : الذين يحمدون الله على كل نشز.

(٣) وفي كتاب صفين : ويقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم .

فبكى علي (عليه السلام) ثم قال: «الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار».

فمضى الراهب معه وأسلم، فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين.

فلما خرج الناس - يوم صفين - يطلبون قتلاهم، قال علي: أطلبوا الراهب.. فطلبوه، فوجدوه قتيلاً.

فلما وجدوه صلى عليه علي ودفنه، واستغفر له[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج - ٧ - ص ٢٥٤ كما ذكر ذلك نصر بن مزاحم وغيره من المؤرخين.



حديث أمير المؤمنين علي عند مروره بكربلاء في طريقه إلى صفين

جاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم في سلسلة من الأسناد عن هرثمة بن سليم أنه قال: غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفين، فلما نزلنا بكربلاء[1] صلى بنا صلاة، فلما سلم رفع إليه من تربتها، فشمها، ثم قال:

«واهاً لك أيتها التربة.. ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب».

فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته، وهي جرداء بنت سمير، وكانت شيعة لعلي، فقال لها زوجها هرثمة:

---

(١) كربلاء: بالمد: وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين ابن علي عليهما السلام، في طرف البرية عند الكوفة، وقد رُوي أن الحسين عليه السلام، لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: ما تسمى هذه القرية ؟ وأشار إلى العقر، فقال له: اسمها العقر، فقال الحسين عليه السلام: نعوذ بالله من العقر. ثم قال: فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها ؟ قالوا: كربلاء، فقال: أرض كرب وبلاء وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور في مقتله. ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فقالت:

واحسينا فلا نسيت حسيناً ... أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً ... لا سقى الغيث بعده كربلاء

معجم البلدان لياقوت.

ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن! لما نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمها، وقال: واهاً لك يا تربة ليحشروا منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب.. وما علمه بالغيب؟!!

فقالت له زوجته: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً.

فلما بعث عبيدالله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن علي وأصحابه، قال هرثمة: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم...

فلما انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزل بنا علي فيه، والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله... فكرهت مسيري .. فأقبلت على فرسي ، حتى وقفت على الحسين ، فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل.

فقال الحسين (عليه السلام): معنا أنت.. وعلينا؟!

فقلت: يا بن رسول الله لا معك ولا عليك، تركت أهلي وولدي، أخاف عليهم من ابن زياد...

فقال الحسين: فول هرباً حتى لا ترى لنا مقتلاً.. والذي نفس حسين بيده لا يرى مقتلنا اليوم بعل ـ أي رجل ـ ولا يغيثنا إلا أدخله الله النار.

قال هرثمة: فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي علي مقتله.

وعن أبي جحيفة قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع، فقال: حديث حدثنيه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟

قال: نعم.. بعثني مخنف بن سليم إلى علي، فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده، ويقول: «ههنا.. ههنا..».

فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال أمير المؤمنين: «ثقل لآل محمد ينزل ههنا، فويل لهم منكم.. وويل لكم منهم».

فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟!

قال أمير المؤمنين: ويل لهم منكم تقتلونهم.. وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم إلى النار. وفي رواية: أنه قال: فويل لكم عليهم. قال الرجل: أما ويل لنا منهم، فقد عرفت، وويل لنا عليهم ما هو؟!

فقال أمير المؤمنين: ترونهم يقتلون ولا تستطيعون نصرهم.

وعن الحسن بن كثير عن أبيه: أن علياً أتى كربلاء، فوقف بها، فقيل له: يا أمير المؤمنين هذه كربلاء...

فقال أمير المؤمنين علي: ذات كرب وبلاء... ثم أومأ بيده إلى مكان...

فقال: ههنا موضع رحالهم.. ومناخ ركابهم...
وأومأ بيده إلى موضع آخر فقال: ههنا مهراق دمائهم[1].

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ١٠٢ ـ ١٠٥.



القتال على الماء

ذكر المسعودي في مروجه: أن معاوية سبق علياً إلى صفين، وعسكر في موضع سهل أفيح، أختاره قبل قدوم علي، على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عاليه[1] ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أباالأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً، وكان على مقدمته.

وبات علي (عليه السلام) وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أن علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق، وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دعهم يشربون ونشرب.

فقال معاوية: لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان.

وخرج علي (عليه السلام) يدور في عسكره بالليل، فسمع قائلاً يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات ... وفينا علي وفينا الهدى ؟!
وفينا الصلاة وفينا الصيام ... وفينا المناجون تحت الدجى

---

(١) وفي رواية ؛ فاجواف علية.

وألقي في فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها ـ ما يثير حماسه وحميته ـ فلما قرأها الأشعث حمي. . وأتى علياً (عليه السلام)، فقال له: أخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم بهم في وسط عسكر معاوية، فتشرب وتستقي لأصحابك، أو تموتوا عن آخركم، وأنا مسير الأشتر في خيل ورجالة وراءك.

فسار الأشعث في أربعة آلاف من الخيل وهو يقول مرتجزاً:

لأوردن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا

ثم دعا علي (عليه السلام) الأشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل، والرجالة. فصار يؤم الأشعث صاحب رايته رجل من النخع وهو يرتجز ويقول:

يا أشتر الخيرات يا خير النخع وصاحب النصر إذا عم الفزع
قد جزع القوم وعُمُّوا بالفزع أن تسقنا اليوم فما هو بالبدع[1]

ثم سار علي (عليه السلام) وراء الأشتر بباقي الجيش، ومضى الأشعث فما رد وجهه أحد حتى هجم على عسكر معاوية، فأزال أبا الأعور عن الشريعة[2]. وغرَّق منهم بشراً وخيلاً، وأورد خيله الفرات.

وذلك أن الأشعث داخلته الحمية في هذا اليوم، وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول: أزحموهم مقدار هذا الرمح، فيزيلوهم عن ذلك المكان. فبلغ ذلك من فعل الأشعث علياً، فقال: «هذا اليوم نصرنا فيه الأشعث بالحمية».

وارتحل معاوية عن الموضع وورد الأشتر، وقد كشف الأشعث القوم عن الماء وأزالهم عن مواضعهم.

---

(١) وفي نسخة: قد خرج القوم وغالوا بالفزع.

(٢) الشريعة، والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها. مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون. والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء لانقطاع له.

وورد علي (عليه السلام) فنزل في الموضع الذي كان فيه معاوية .

فقال معاوية لعمرو بن العاص: يا أبا عبدالله، ما ظنك بالرجل . . أتراه يمنعنا الماء لمنعنا إياه؟ . وقد كان معاوية انحاز بأهل الشام إلى ناحية في البر نائية عن الماء .

فقال له عمرو: لا . . . أن الرجل - يعني علي بن أبي طالب - جاء لغير هذا، وأنه لا يرضى حتى تدخل في طاعته أو يقطع حبل عاتقك .

فأرسل معاوية إلى علي يستأذنه في وروده مشرعته، واستقاء الناس من طريقه، ودخول رسله في عسكره .

فأباحه علي (عليه السلام) كل ما سأل وطلب منه[1] .

وفي تاريخ اليعقوبي: لما وافى علي وأصحابه - نزلوا في صفين - لم يصلوا إلى الماء لأن معاوية قد سبقهم إليه . فتوسل الناس إلى معاوية وقالوا: لا تقتل الناس عطشاً، فيهم العبد، والأمة، والأجير.
فأبى معاوية وقال: لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه أبداً .

فوجه علي عليه السلام الأشتر، والأشعث، الأشتر في الخيل، والأشعث بن قيس في الرجالة . وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلمي ، فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات . وغلبوا على المشرعة . وكان الواقف عليها عبد الله بن الحارث أخو الأشتر ، فلما غلب علي (عليه السلام) على المشرعة قال أصحاب معاوية : أنه لا قوام لنا وقد أخذ علي الماء .

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أن علياً لا يستحل منك ومن أصحابك ما استحللت منه ومن أصحابه . .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج - ٢ - ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

فأطلق علي عليه السلام الماء. وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين[1].

وفي تاريخ ابن الأثير: أرسل علي إلى أصحابه أن خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم، فإن الله نصركم ببغيهم وظلمهم.

أقول: هذا شأن علي عليه السلام في جميع مواقفه، العفو عند المقدرة، وأن شمائله وصفاته التي يمتاز بها.. الصفح والحلم عن المسيء، والإحسان لمن اعتدى عليه وأساء إليه وهذه صفات الصفوة من البشر.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج - ٢ - ص - ١٧٧.

وقفة تأمل

ذكر المؤرخون وأصحاب السير حرب صفين، وما كان بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان في تلك الحرب من آثار ومآثر.

فمن المؤرخين من أطال وأسهب، ومنهم من اختصر وأوجز، ومنهم من مال به الهوى فعد غدر معاوية دهاء.. وظلمه فطنة وذكاء.. فكم من مرة قال علي (عليه السلام): «والله ما معاوية بأدهى مني.. ولكنه يغدر ويفجر..».

والآن لنلقي نظرة سريعة على موقف من مواقف معاوية بصفين حين سبق علياً وعسكر في موضع سهل أفيح على شاطىء الفرات وبث جنده لحراسة الماء ليمنعوا علياً وأصحابه من الوصول إليه.

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل في فعل معاوية الذي لم يتورع عن اصدار أوامره بمنع الماء عن الألوف من المسلمين ليتضح لنا أن معاوية كان لا يرى إلا إن الغاية تبرر الوسيلة وعلى هذا فموت عشرات الألوف من المسلمين عطشاً لا مانع منه.

لذلك لا يهمه أن يصل إلى غايته بأي وسيلة.. وبأي طريق.. بالحلال أو الحرام.. بالإحسان أو الإساءة.. بالظلم أو الخداع أو

المراوغة. . . المهم أن يصل إلى غايته. .

معاوية لم يكن ذلك الرجل الذي يتورع عن فعل أي شيء. . أو سلوك أي طريق. . أو اتخاذ أي وسيلة في سبيل الوصول إلى هدفه ومآربه مهما كانت تلك الوسيلة منكرة. . أو محرمة. . أو مجرمة.

معاوية بن أبي سفيان رأى بخبث سريرته أنه سبق إلى الماء. . فلماذا لا يمنع وصول الماء إلى علي وأصحابه.

معاوية بن أبي سفيان وابن هند رأى أن منع الماء عن خصومه ليموتوا عطشاً سلاحاً قاتلاً لا يوازيه سلاح. . وهذا السلاح الرهيب القاتل أصبح في يديه الآن. . فلماذا لا يستعمله للتغلب على أخصامه لعلهم يستسلموا أو يموتوا عطشاً. . فالظمأ لا يحتمله إنسان أو حيوان أو كل ذي روح. .

هكذا قرر معاوية. . وهكذا ظن من أن النصر سيكون حليفه. .

إن ضمير ابن هند آكلة الأكباد لا يردعه عن فعل جريمة بشعة وهي موت عشرات الألوف من المسلمين عطاش في تلك الصحراء الجرداء. . .

وأنى لضمير معاوية أن يشعر بفداحة هذه الجريمة أو تهتز لها مشاعره فضميره ميت ومشاعره مجندة لمصالحه الخاصة.

معاوية لم ينظر إلى المسلمين نظرة الأخوة في الدين ولا يهمه سلامة المؤمنين الصالحين لأنه طليق وابن طليق وابن المؤلفة قلوبهم والتاريخ شاهد على ذلك.

معاوية بن أبي سفيان لم يشعر قلبه بالرحمة أو الإنسانية حين أراد أن يموت جيش علي عطشاً وفيه أكابر الصحابة الأجلاء. . من بدريين وأحديين الذين حاربوا المشركين كأبيه وذويه. . .

أراد معاوية أن يقتل بسلاح العطش جيش علي الذي ضم من

أهل بدر سبعين رجلاً، وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل. هؤلاء الذين خاضوا غمار الحرب وجاهدوا في سبيل الله وفي سبيل تركيز دعائم الإسلام بأموالهم وأنفسهم . . . ولولا الإسلام لما كان معاوية أو غيره ممن سبقه أو يأتي بعده شأن يذكر.

فما كان العرب في تلك الحقبة من الزمن إلا شراذم متناحرة . . وقبائل متنافرة خاضعة لسيطرة الروم أو الفرس. شأن العرب اليوم دويلات وممالك وجمهوريات متشتتة يستعمرها ويستغلها حكام الشرق والغرب.

كان هدف معاوية بن أبي سفيان هو الانتصار على علي بن أبي طالب (عليه السلام) وانتزاع الخلافة منه بأي وسيلة. . وبأي طريقة، فلا يردعه رادع من دين أو ضمير. ولا يهمه أن يفتك بهم عطشاً. . أو يغدر بهم سماً كما فعل بمالك الأشتر وبالإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) بعد ذلك ويقتل كل من يقف في وجه ظلمه وطغيانه كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهما على ما سيأتي في باب لاحق انشاء الله.

أخذت معاوية النشوة وهزّه الفرح عندما ظن أنه سيتغلب على أمير المؤمنين علي وأصحابه بسلاح العطش. لذلك نجده لم يستمع لنصيحة حليفه ومستشاره الماكر عمرو بن العاص الذي لم يكن أتقى منه، إذ قال له:

«إن علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم . . . الخ».

معاوية لا يتمكن من مواجهة علي وأصحابه الأبطال إن اشتبك معه في معركة قتالية ـ وجهاً لوجه ـ فالنصر حتماً سيكون حليف علي صاحب المواقف المشهورة والسيف البتار.

دعا علي معاوية للمبارزة قائلاً: «علامَ يقتتل الناس. . . أبرز إلي

ودع الناس. فيكون الأمر لمن غلب. . ».

لكن معاوية راوغ وتنكر لهذه الدعوة خوفاً من الموت بسيف علي الذي حصد رؤوس أشياخه من قبل. . . وخوفاً على حياته.

معاوية بن أبي سفيان الذي جاء من الشام لحرب المسلمين الصالحين، والصحابة المجاهدين بقيادة أمير المؤمنين علي. كان يتجاهر. . ويتبجح أنه يدين بدين الإسلام. . . ونسي أن دين الإسلام يقف رافضاً حرب الإبادة بجميع أنواعها وأساليبها. . وفي الوقت ذاته يحرم الغدر والخيانة.

وما فعله معاوية من منع الماء عن جيش علي وإبادته عطشاً شبيه بما يفعله حكام هذا العصر في هذه الأيام. . وقادة الأمم في القرن العشرين للميلاد. إذ أحلوا لأنفسهم إبادة السكان الآمنين وقتلهم بالقنابل الذرية المدمرة، والمبيدة للبشرية بما فيها المحارب، والمسالم، والكبير المسن والطفل الصغير. . .

فكم من اجتماعات قمة عقدت. . واجتماع جبارين. . وهيئة أمم. . ومجلس أمن. . واتخاذ قرارات لتحريم هذا السلاح الفتاك. . وللآن لم يتخذوا قراراً حاسماً بتحريمها.

إن الإسلام قبل أربعة عشر قرناً من الزمان جاء بنظمه العادلة، وتشريعاته المقدسة فحرم قتل الأبرياء من النساء والأطفال، والشيوخ، من الأعداء. . وكل من ليس له غاية في الحرب.

ومن المعلوم أن معاوية وأحزابه كانوا يتظاهرون بشعائر الإسلام وما ذلك إلا لنيل مآربهم الدنيوية. . لكن القول والتظاهر شيء والفعل والتنفيذ شيء آخر. كما نحن في هذه الأيام. . خطب. . وندوات. . واجتماعات. . واتخاذ قرارات. . ولا ينفذ منها شيء، بل يكون مصيرها الإهمال.

أما أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة الحق وإمام الهدى

المعصوم من الزلل والذي منحه الله سبحانه وتعالى مكارم أخلاق ابن عمه محمد سيد البشر (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان (عليه السلام) على نقيض معاوية بخلقه وخُلقه وجميع تصرفاته. . .

نرى علياً (عليه السلام) أرسل إلى معاوية ينصحه ويحذره مغبة فعله من منع الماء. وأنه (عليه السلام) لم يأت إلى صفين للقتال من أجل الماء، بل جاء لأجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل وجمع شتات المسلمين الذين فرقتهم الأهواء، ومزقتهم المطامع والفتن.

ولما لم يسمع معاوية قول علي ولم يرتدع عن غيه لم ير الإمام علي مندوحة سوى قتاله على الماء لارتواء جيشه فأمر مالك الأشتر والأشعث بن قيس فأزاحوا جيش معاوية عن الفرات وأصبح الماء في أيديهم وبامكانهم أن يقطعوه عن معاوية وأصحابه كما فعلوا هم بادىء الأمر. لكن علياً (عليه السلام) أباح الماء للجميع على السواء.

وهنا ينحني التاريخ أمام عظمة علي بن أبي طالب وشخصيته الفذة التي تقف بين جميع قادة الأمم شامخة كالطود لتعطي للأجيال المتلاحقة درساً بليغاً في مكارم الأخلاق والعفو عند المقدرة.



الموادعة في صفين

استولى أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على الماء، وملكت أيديهم شريعة الفرات، وانحسر معاوية واتباعه إلى جانب من البرية في الصحراء بعد أن غلبوا على أمرهم نتيجة عنادهم وظلمهم.

لكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ديدنه الصفح عن المسيء، وشعاره العدل والمساواة أباح الماء لمن منعه إياه قبل ساعات.. فالناس عنده سواسية من حفظ الحياة يصفح عن المسيء ويعفو عن الظالم.

مكث (عليه السلام) بعد انتهاء القتال على الماء بصفين يومين متتاليين كما روى ذلك المؤرخون ولم يكن بينه وبين معاوية في تلك الفترة أي اتصال أو مراسلة.. ومضى الوقت لا سلم ولا حرب...

استدعى أمير المؤمنين علي بشير بن محصن الأنصاري أبا عمرو، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي، فقال لهم:

«إئتوا هذا الرجل - أي معاوية - وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة».

فأتوا معاوية، وكلموه، وحذروه الفتنة، لإلقاء الحجة عليه قبل الحرب وقبل إراقة دماء المسلمين.

ودار بينهم وبين معاوية جدال عنيف انتهى بجواب معاوية: انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف.

ورجعوا إلى علي (عليه السلام) وأخبروه بما دار بينهم وبين معاوية كما ذكر ذلك تفصيلاً ابن الأثير في تاريخه[1].

وفي تاريخ الطبري: دخلت سنة سبع وثلاثين فكان في أول شهر منها وهو المحرم موادعة الحرب بين علي ومعاوية، فقد توادعا على ترك الحرب طيلة المحرم إلى انقضائه طمعاً في الصلح.

وفي الطبري أيضاً: عن المحل بن خليفة الطائي: قال: لما توادع علي ومعاوية يوم صفين، اختلف فيما بينهما الرسل، رجاء الصلح.. فبعث علي عدي بن حاتم.. ويزيد بن قيس الأرحبي، وشبث بن ربعي، وزياد بن خصفة إلى معاوية..

فلما دخلوا على معاوية قام عدي بن حاتم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإنا أتيناك ـ يا معاوية ـ ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا، وأمتنا، ويحقن به الدماء، ويأمن به السبل، ويصلح به ذات البين.

إن ابن عمك ـ علي بن أبي طالب ـ سيد المسلمين، أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك...

فانته يا معاوية، لا يصبك، وأصحابك يوم مثل يوم الجمل.

فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً، ولم تأت مصلحاً..

---

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٣ ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

هيهات يا عدي بن حاتم . . كلا والله إني لابن حرب لا يقعقع لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وأنك لمن قتلته . . . الخ .

فقال له شبث بن ربعي ، وزياد بن خصفة ، وتنازعا جواباً واحداً : أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينتفع به من القول ، والفعل واجبنا فيما يعمنا وإياك نفعه .

وتكلم يزيد بن قيس ، فقال : إنا لم نأتك إلّا لنبلغك ما بعثنا به إليك ولنؤدي عنك ما سمعنا منك وأن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حجة . . . الخ .

وأجابهم معاوية بكلام كثير نتيجته الرفض لما جاءوا به من إصلاح ذات لبين وحقن دماء المسلمين .

وفي تاريخ الطبري أيضاً : ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرم أمر على مرتد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس :

ألا أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لكم : « إني قد استدمتكم[1] لتراجعوا الحق ، وتنيبوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل ، فدعوتكم إليه ، فلم تناهوا عن طغيان ، ولم تجيبوا إلى حق ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ، أن الله لا يحب الخائنين . . . » .

ففزع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم [2] .

---

(١) وفي كتاب صفين : إني قد استنبذتكم واستأنأتكم لتراجعوا الحق .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٢ ـ ٦ .



من وصايا أمير المؤمنين علي لجيشه

روى نصر بن مزاحم في كتابه صفين : إنه لما انسلخ المحرم وانتهت أيام الموادعة ـ الهدنة ـ بين الفريقين ، خرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتائب ، ويعبيان العساكر ، وأوقدوا النيران ، وجاءوا بالشموع .

وبات علي (عليه السلام) ليلته كلها يعبىء أصحابه ، ويكتب الكتائب ، ويدور في الناس ويحرضهم .

وعن عبد الله بن جندب عن أبيه : أن علياً كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه ، ويقول :

« لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة ، وتركككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم ، فإذا قاتلتموهم ، فهزمتموهم ، فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحالهم ، فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذني ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة إلا بإذني وإن شتمن أعراضكم ، وتناولن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس ، ولقد كنا وإنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات . . الخ » .

وعن نصر بن مزاحم أيضاً : عن الحضرمي أنه قال : سمعت علياً عرض في الناس في ثلاثة مواطن ، في يوم الجمل ، ويوم صفين ، ويوم النهروان فقال :

« عباد الله اتقوا الله عز وجل ، وغضوا الأبصار ، واخفضوا الأصوات ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على المنازلة ، والمجاولة والمبارزة ، والمعانقة ، والمكادمة ، واثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين .

أللهم الهمهم الصبر . . . وانزل عليهم النصر . . واعظم لهم الأجر »[1] .

وكانت علامة أهل العراق بصفين ، الصوف الأبيض قد جعلوه في رؤوسهم وعلى أكتافهم ، وشعارهم : يا ألله ، يا أحد ، يا صمد ، يا رب محمد ، يا رحمن يا رحيم .

وكانت علامة أهل الشام خرقاً بيضاء قد جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم ، وكان شعارهم : نحن عباد الله حقاً حقاً ، يا لثارات عثمان .

أقول : لو تأملنا قليلاً ونظرنا بعين الإنصاف إلى وصايا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) التي أوصى بها جيشه من الرفق واللين بأعدائهم بعد النصر عليهم وبعدم أخذ أموالهم إلا ما وجد في معسكرهم وأن لا يقتلوا مدبراً ، ولا يجهزوا على جريح ، ولا يهتكوا ستراً ولا يهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضهم . . الخ . لعلمنا بحق ما كان عليه علي بن أبي طالب من العدل والإنصاف وما تنطوي عليه جوارحه من الرفق واللين حتى بأعدائه الذين يكنون له كل غدر ومكيدة

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

وما كان عليه من المحافظة على مكـارم الأخلاق والعفـو عند المقـدرة . . لوجدنا البون الشاسع والفارق العظيم بين تصرفات علي(عليه السلام) وتصرفات معاوية من قتل الأبرياء ، وهتك الحرمـات ، ونهب الأموال ، وحبك المكائـد ، والدسـائس ، والمؤامرات لبـان لنا بكـل وضوح مـدى الفارق بين علي ومعاوية .

ولـو انصف الحكم وأعطى كـل ذي حق حقه لجعـل علياً بمكـارم أخلاقه وامتيازه بحسن تصرفاتـه . وعدلـه وتقاه فـوق كل البشر في علو المنزلة بعد الرسول الأعظـم (صلى الله عليه وآله وسلم) .



القتال بعد الهدنة

كتب أصحاب السير والمؤرخون عن معركة صفين الكثير من الحوادث ، فبعضهم ذكر حرب صفين فأطال وأسهب . . . وبعضهم اختصر وأوجز . .

والحقيقة أنها جديرة في أن تذكر في جميع مراحلها ، لأنها معركة بين الحق والباطل . بين من اتّبع منهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الموالين لعلي (عليه السلام) من جهة . . وبين أتباع معاوية بن أبي سفيان المستهترين بالإسلام من جهة ثانية .

ونحن هنا تجنباً للإطالة ـ لأن معركة صفين أُلّفت فيها مؤلفات ، وذكرت في الكتب المطولة بإسهاب ، ومن أراد التفصيل فليرجع إليها .

والذي يهمنا الآن أن نذكر موجزاً عن هذه المعركة التي لا يزال صداها يتردد في أنحاء العالم ، وإلى يوم القيامة . إذ ليس من المستحسن ونحن نكتب عن سيرة أصحاب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلّا أن نذكرها ولو بإيجاز لبيان الحقيقة والواقع .

وقد كنا ذكرنا بعضاً من مراحل مقدماتها ، وما رافقها من الأحداث حتى انقضاء الهدنة في نهاية شهر محرم سنة ٣٧ هجرية .

استغل معاوية الهدنة ـ الموادعة ـ فصار يرسل رسله خفية إلى

قادة جيش علي (عليه السلام) من أهل الأطماع وطلاب الدنيا أمثال الأشعث بن قيس الكندي وغيره لله ، يعدهم بالمناصب العالية ، والأموال الطائلة إذ هم انضموا إليه ، وتركوا معسكر الإمام علي (عليه السلام) .

لكن المخلصين من القادة أمثال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وغيره لم يكونوا لتنطلي عليهم حيل معاوية ومكره ، فكان جواب قيس له قاسياً كما روى ذلك المؤرخون .

لم يقتصر معاوية بإرساله لقادة علي ومعتمديه المخلصين له يعدهم ويمنيهم بالأمور المغرية وإذا لم يفلح في ذلك انتقل للتهديد والوعيد إخافة وإرهاباً كما فعل ذلك مع الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري .

ومهما يكن من أمر فقد ذكر اليعقوبي أن معركة صفين أقامت بين الفريقين أربعين صباحاً .

فقد كانت المعارك تشتد حيناً وتخف حيناً آخر . وكان ابتداء الحرب في أول ذي الحجة سنة ٣٦ كما قال ذلك ابن الأثير ، واستمر إلى آخره ، وترك الحرب في المحرم سنة ٣٧ واستؤنف واشتد في أول صفر إلى ١٣ منه إلى أن كانت قصة الحكمين .

وطيلة هذه المدة كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يأمل أن يرجع أهل الشام إلى رشدهم ، وتنقشع غشاوة الغي والضلال عن بصائرهم حقناً لدماء المسلمين .

ولما كانت المناوشات والمعارك المحدودة لم يحصل منها أي نتيجة ، وتلك المدة التي انقضت لم يحصل منها غير معارك جزئية أيضاً حتى ظن بعض أصحاب علي (عليه السلام) أنه لم يرد الحرب فعلاً لإمهاله معاوية وأصحابه وتغاضيه عن خدعهم ومما طلتهم كسباً للوقت . .

لكن علياً لم يكن كذلك بل كان يأمل برجوع أهل الشام إلى رشدهم ، فإنه (عليه السلام) كان يسأل الله أن يمد عدوه بالهداية ويجنبه غواية إبليس .

ولما لم ينفع الإمهال ولم يهتد القوم وملّ جيش علي المطاولة بعث (عليه السلام) إنذاراً إليهم كما ذكر ذلك المسعودي في مروجه :

« إني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ، أن الله لا يهدي كيد الخائنين » .

فلم يردوا عليه جواباً إلّا . . . السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا .

وأصبح علي يوم الأربعاء ـ وكان أول يوم من صفر ـ فعبأ الجيش ، وأخرج الأشتر أمام الناس . وأخرج إليه معاوية ، حبيب بن مسلمة الفهري ، وكان بينهم قتال شديد ، وأسفرت عن قتلى من الفريقين جميعاً .

فلما كان اليوم الخميس ـ ٢ صفر ـ أخرج علي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، المرقال[1] وأخرج إليه معاوية أبا الأعور السلمي فكانت بينهم الحرب سجالاً .

وأخرج علي يوم الجمعة ـ ٣ صفر ـ أبا اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والأنصار . وأخرج إليه معاوية عمر بن العاص في تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام فكانت بينهم

---

(١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال : وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وإنما سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب ، وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك ، وكان من شيعة علي (عليه السلام) وفي يومَ صفين أخذ هاشم المرقال الراية فهزها ، فقال له رجل من أصحابه : امكث قليلاً ولا تعجل ، فقال هاشم :

قد أكثروا لومي وما أقلا   إني شريت النفس لن اعتلا

أعور يبغي أهله محلا   لا بد أن يغل أو يغلا

أشلهم بذي الكعوب شلا   مع ابن عم أحمد المعلى

فيه الرسول بالهدى استهلا   أول من حدته وصلى

فجاهد الكفار حتى أبلى

وقد تقدمت ترجمة هاشم المرقال في موضع سابق من هذا الكتاب .

الحرب سجالاً إلى الظهر، ثم حمل عمار بن ياسر فأزال عمراً عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية . وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ، ودونهم من أهل العراق .

ـ ويوم السبت ـ ٤ صفر ـ أخرج علي ابنه محمد بن الحنفية في همدان وغيرها فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر ابن الخطاب في حمير ، ولخم ، وجذام .

فاقتتلوا في ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر في آخر النهار هرباً .

ـ ويوم الأحد ـ ٥ صفر ـ أخرج علي عبد الله بن العباس فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فاقتتلوا وأكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم ، وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوماً صعباً .

ـ ويوم الإثنين ـ ٦ صفر ـ أخرج علي سعيد بن قيس الهمداني ، وهو سيد همدان يومئذٍ . فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع .

ـ ويوم الثلاثاء ـ ٧ صفر ـ خرج الأشتر في النخع وغيرهم ، وخرج إليه حبيب بن مسلمة الفهري وتواقفوا للموت وأسفرت عن قتل والجراح في أهل الشام أعم .

ـ ويوم الأربعاء ـ ٨ صفر ـ خرج علي (عليه السلام) بنفسه في الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، وربيعة وهمدان فكان يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم في كلام طويل ختمه بقوله .

« إن الشيطان راكب صعيده ، مفترش ذراعيه قد قدّم للوثبة يداً ، وأخر للنكوص رجلاً ، فصبراً جميلاً حتى تنجلي عن وجه الحق ، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » ، وتقدم علي (عليه السلام) للحرب على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) الشهباء . وخرج معاوية في عدد أهل الشام[١] .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : تقدم علي (عليه السلام) على بغلة فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلاّ انتقض ، وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقول :

اقتلهم ولا أرى معاوية   الجاحظ العين العظيم الحاوية

ثم نادى علي معاوية فقال : « علامَ يقتل الناس بيننا ؟ هلمَّ أحاكمك إلى الله ، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور » .

فقال له عمرو : أنصفك علي . . .

فقال له معاوية : ما أنصفت ـ يا عمرو ـ أنك لتعلم أنه لم يبرز لعلي بن أبي طالب أحد إلا قتله .

فقال له عمرو : ما يحسن بك ترك مبارزته . . .

فقال له معاوية : طمعت فيها بعدي يا عمرو !؟[٢] .

أقول : لم يبرز معاوية لعلي لأنه يعلم أنه ما وقف أحد في وجه علي إلا وسقى الأرض من دمه ، ومعاوية يخشى سيف علي البتار الذي حصد رؤوس أشياخه يوم بدر . فأبقى على نفسه خوفاً من اللحاق بهم . وفي رواية : أنه صاح بعمرو : ما أحمقك ! . . . ليس مثلي يخدع عن نفسه أن تريد إلا قتلي .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج٢ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .
(٢) الكامل في التاريخ لابن لأثير : ج ٣ ١٥٨ .



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من قصة ذي الكلاع ومقتله

روى نصر بن مزاحم في كتابه صفين عن أبي نوح الكلاعي الحميري أنه قال : كنت في الخيل يوم صفين ، في خيل علي عليه السلام) وهو واقف بين جماعة من همدان وحمير ، وغيرهم من فنان قحطان ، إذ أنا برجل من أهل الشام يقول : من دل على الحميري أبي نوح ؟ .

فقلنا : هذا الحميري . . فأيهم تريد ؟ .

قال : أريد الكلاعي أبا نوح . . .

قال أبو نوح : قلت : قد وجدته ، فمن أنت ؟

قال : أنا ذو الكلاع سر إلي . . .

فقلت له : معاذ الله أن أسير إليك إلاّ في كتيبة .

قال ذو الكلاع : فسر . . . فلك ذمة الله وذمة رسوله وذمة ذي الكلاع ، حتى ترجع إلى خيلك ، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه ، فسر دون خيلك حتى أسير إليك .

فسار أبو نوح ، وسار ذو الكلاع حتى التقيا فقال ذو الكلاع : إنما دعوتك أحدثك حديثاً حدثناه عمرو بن العاص في إمارة عمر بن الخطاب .

قال أبو نوح : وما هو ؟

قال ذو الكلاع : حدثنا عمرو بن العاص أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « يلتقي أهل الشام وأهل العراق ، وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر » .

قال أبو نوح : لعمر الله إنه لفينا . . .

قال ذو الكلاع : أجاد هو في قتالنا ؟ .

قال أبو نوح : نعم . . . ورب الكعبة ، لهو أشد على قتالكم مني ، ولوددت أنكم خلق واحد ، فذبحته . وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي .

قال ذو الكلاع : ويلك علي مَ تتمنى ذلك منا ، والله ما قطعتك فيما بيني وبينك ، وإن رحمك لقريبة ، وما يسرني أني أقتلك .

قال : أبو نوح : إنّ الله قطع بالإسلام أرحاماً قريبة ، ووصل به أرحاماً متباعدة وأين منّا أنت وأصحابك ؟. نحن على الحق ، وأنتم على الباطل مقيمون مع أئمة الكفر .

فقال له ذو الكلاع : هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام ، فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص ، فيعرف منك حال عمار وجده في قتالنا هو وأصحابه ، لعله أن يكون صلحاً بين هذين الجندين .

فقال له أبو نوح: إنك رجل غادر، وأنت في قوم غدر، وإن لم تكن تريد الغدر اغدروك . . وإني إن أموت أحب إلي من أن أدخل مع معاوية .

فقال ذو الكلاع : أنا جار لك من ذلك ، أن لا تقتل ، ولا تسلب ، ولا تكره على بيعة ، ولا تحبس عن جندك ، وإنما هي كلمة تبلغها عمرو بن العاص ، لعل الله أن يصلح بذلك ويضع عنهم الحرب والسلاح . .

سار أبو نوح مع ذي الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية ، وحوله الناس وعبد الله بن عمرو يحرض على الحرب . فلما وقفا على القوم ، قال ذو الكلاع لعمرو : يا أبا عبد الله هل لك في رجل ناصح لبيب يخبرك عن عمار بن ياسر لا يكذبك .

قال عمرو : ومن هو؟

قال ذو الكلاع : ابن عمي هذا وهو من أهل الكوفة .

فقال عمرو لأبي نوح : إني لأرى عليك سيماء أبي تراب !

قال أبو نوح : علي سيماء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه ، وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون . . .

فقام أبو الأعور فسل سيفه ثم قال : لا أرى هذا الكذاب اللئيم يشاتمنا بين أظهرنا ، وعليه سيما أبي تراب .

فقال ذو الكلاع : أقسم بالله لأن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف . . ابن عمي وجاري ، عقدت له بذمتي ، جئت به إليكما ليخبركما عما تماريتم فيه . . .

قال له عمرو بن العاص أذكرك بالله يا أبا نوح إلاّ ما صدقت ، ولا تكذبنا . . أفيكم عمار بن ياسر ؟ . .

فقال له أبو نوح : ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لما تسألني عنه ، فإن معنا من أصحاب رسول الله عدة غيره ، وكلهم جاد على قتالكم .

قال عمرو : سمعت رسول الله يقول : « إن عمار تقتله الفئة الباغية ، وإنه ليس لعمار أن يفارق الحق ، ولن تأكل النار منه شيئاً » .

فقال أبو نوح : « لا إله إلاّ الله والله أكبر ، والله إنه هنا معنا جاد على قتالكم .

فقال عمرو : نعم والله الذي لا إله إلاّ هو لقد حدثني يوم الجمل أنا سنظهر عليهم ، وحدثني أمس : إن لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا

سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وإنكم على باطل وكانت قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار .

فقال له عمرو : فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه ؟ قال : نعم . . .

فلما اجتمع عمرو بن العاص وعمار بن ياسر دار بينهما حوار طويل ختمه عمار بقوله : سأخبرك يا عمرو على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك . .

أمرني رسول الله أن أقاتل الناكثين[1] وقد فعلت . .

وأمرني أن أقاتل القاسطين . . . فأنتم هم . .

وأما المارقين[2] فما أدري أأدركهم أم لا . . . ـ ثم تابع قوله : أيها الأبتر ألست تعلم أن رسول الله قال لعلي : « من كنت مولاه فعلي مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وأنا مولى الله ورسوله وعلي بعده ، وليس لك مولى . . .

قال له عمرو : لم تشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك ؟!

قال عمار : وبم تشتمني ؟ أتستطيع أن تقول أني عصيت الله ورسوله يوماً قط ؟!

قال له عمرو : إن فيك لمسبات سوى ذلك .

فقال عمار : إن الكريم من أكرمه الله ، كنت وضيعاً فرفعني الله ، ومملوكاً فأعتقني الله ، وضعيفاً فقواني الله ، وفقيراً فأغناني الله .

فقال له عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ .

قال عمار : فتح لكم باب كل سوء ، فبلغ معاوية ما كان بينهم ،

---

(١) الناكثين : مراده طلحة والزبير قاتلهم يوم الجمل .

(٢) المارقين هم الخوارج ، ولم يدركهم عمار بن ياسر رضوان الله عليه حيث قتل بصفين .

فقال : هلكت العرب أن أخذتهم فقه العبد الأسود يعني عمار بن ياسر .

وخرج عبد الله بن سويد سيد جرش إلى ذي الكلاع فقال له : لم جمعت بين الرجلين ؟ .

قال ذو الكلاع : لحديث سمعته من عمرو ذكر أنه سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية » فخرج عبد الله وكان من عباد أهل زمانه ليلاً ، فأصبح في عسكر علي فحدث الناس بقول عمرو في عمار .

فلما سمع معاوية هذا القول بعث إلى عمرو فقال : أفسدت علي أهل الشام ، أكل ما سمعت من رسول الله تقوله ؟

فقال عمرو : قلتها ولست والله أعلم الغيب . . . ولا أدري إن صفين تكون . . قلتها وعمار يومئذٍ لي ولك ، وقد رويت أنت فيه مثل الذي رويت فيه فاسأل أهل الشام .

فغضب معاوية وتنمر لعمرو ومنعه خيره فقال عمرو : لا خير لي في جوار معاوية إن تجلت هذه الحرب عنا وكان عمرو حمي الأنف فقال أبياتاً من الشعر منها :

تعاتبني إن قلت شيئاً سمعته ... وقد قلت لو انصفتني مثله قبلي

فأجابه معاوية بأبيات منها :

أالآن لما ألقت الحرب بركها ... وقام بنا الأمر الجليل على رجل
غمزت قناتي بعد سبعين حجة ... تباعاً كأني لا أمر ولا أملي

فلما أتى عمرو شعر معاوية أتاه فاعتبه وصار أمرهما واحداً .

وقد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن » . فلما رأى ذو الكلاع عماراً يحارب مع علي ويحرض الناس على حرب معاوية .

فقال لعمرو بن العاص : ويحك يا عمرو . . . ما هذا ؟!

فقال له عمرو : إنه ـ أي عمار ـ سيرجع إلينا . وذلك تضليلاً ومكيدة وانطلت أضاليل عمرو على ذي الكلاع فصدقه ـ وذلك قبل أن يصاب عمار . . .

فأصيب عمار مع علي (عليه السلام) وأصيب ذو الكلاع مع معاوية .

فقال عمرو لمعاوية : والله يا معاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً . . . بقتل عمار . . . أو بقتل ذي الكلاع . . والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار ، لمال بعامة قومه إلى علي ، ولأفسد علينا جندنا .

مقتل عمار بن ياسر

ذكر المسعودي في مروجه : إن عمار بن ياسر وقف يوم صفين فقال : إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون ، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر[1] لكنا على الحق ، وكانوا على الباطل .

تقدم عمار فقاتل ، ثم رجع إلى موضعه ، فاستسقى ، فأتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم ، بعسس فيه لبن ، فدفعته إليه ، فقال :

الله أكبر . . . الله أكبر . . اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة ، صدق الصادق ، وبذلك أخبرني الناطق ، وهو اليوم الذي وُعدت فيه . . .

ثم قال : أيها الناس ، هل من رائح إلى الله تحت العوالي ؟

---

(١) هجر : مدينة وهي قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب . قال ابن الكلبي إنما سميت عين هجر بهجر بنت المكفف وكانت من العرب المتعربة ، وكان زوجها محلم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين ـ وقيل غير ذلك ـ راجع معجم البلدان لياقوت .

والذي نفسي بيده ، لنقاتلنهم على تأويله ، كما قاتلناهم على تنزيله ، وتقدم وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فتوسط ـ عمار رضوان الله عليه ـ القوم ، واشتبكت عليه الأسنة ، فقتله أبو العادية وابن جون السكسكي[1] واختلفا في سلبه فاحتكما إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما : اخرجا عني ، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :

« ولعت قريش بعمار[2] ما لهم ولعمار ؟! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » .

وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة ، وقبره بصفين ، وصلى عليه علي (عليه السلام) ، ولم يغسله ، وكان يغير شيبه[3] .

وفي العقد الفريد عن حنظلة بن خويلد قال : إني لجالس عند معاوية ، إذا أتاه رجلان يختصمان في رأس عمار كل واحد منهما يقول : أنا قتلته .

فقال لهما عبد الله بن عمرو بن العاص : ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له : تقتلك الفئة الباغية .

وعن محمد بن عمارة قال : ما زال جدي خزيمة بن ثابت كافاً سلاحه يوم صفين حتى قُتل عمار ، فلما قتل عمار سل جدي خزيمة سيفه

---

(١) في البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٦٧ حمل عمار بن ياسر فحمل عليه ابن جون السكسكي ، وأبو العارية الفزاري . فأما أبو العادية فطعنه ، وأما ابن جون فاحتز رأسه .

(٢) وفي بعض النسخ : وبغت قريش بعمار .

(٣) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩١ .

وقال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « تقتل عماراً الفئة الباغية » فما زال يقاتل حتى قُتل .

وعن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : رأيت عماراً يوم صفين ، شيخاً آدم طوالا آخذاً الحربة بيده ، ويده ترعد ، وهو يقول :

والذي نفسي بيده ، لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مرات ، وهذه الرابعة . والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أنا على حق وأنهم على باطل ، ثم جعل يقول :

صبراً صبراً عباد الله . . . الجنة تحت ظلال السيوف[1] .

وفي وسائل الشيعة للحر العاملي؛ : عمار بن ياسر أبو اليقظان من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) . وأنه لمن الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه من شرطة الخميس وأنّه من أهل الجنة . . . إلخ .

وفي حاشية الوسائل عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : قلت ما تقول في عمار ؟ . .

قال : رحم الله عماراً - ثلاثاً - قاتل مع أمير المؤمنين . . . وقتل شهيداً .

قال : قلت في نفسي : ما تكون منزلة أعظم من هذه المنزلة . . . !

فالتفت إلي فقال : لعلك تقول : مثل الثلاثة (يعني سلمان وأبا ذر والمقداد) هيهات . . . هيهات ، قال : قلت : وما علمه أنه يقتل في ذلك اليوم ؟

قال : إنه لما رأى الحرب لا يزداد إلّا شدة ، والقتل لا يزداد إلّا

---

(١) العقد الفريد : ج ٤ ص ٣٤١ .

كثرة ، ترك الصف وجاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال :

يا أمير المؤمنين هو هو؟ [١] .

قال أمير المؤمنين : ارجع إلى صفك . . .

فقال له ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يقول له : ارجع إلى صفك فلما كان في الثالثة قال له : نعم .

فرجع إلى صفه وهو يقول : اليوم ألقى الأحبة محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وحزبه .

وعن أحمد بن حماد المروزي قال : عمار بن ياسر الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ألقته قريش في النار : « يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاما على إبراهيم . . » فلم يصبه منها مكروه . وقتلت قريش أبويه ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « صبراً آل ياسر موعدكم الجنة . . . » ما تريدون من عمار ! عمار مع الحق . . . والحق مع عمار حيث كان . عمار جلدة بين عيني وأنفي . . . تقتله الفئة الباغية . . .

وفي حاشية الوسائل عن الكشي بعد سلسلة من الأسناد عن الأشتر أنه قال : كان بين عمار بن ياسر ، وخالد بن الوليد كلام ، فشكى خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنه من يعادي عماراً يعاديه الله . . . ومن يبغض عماراً يبغضه الله . . . ومن سبه سبه الله »[٢] .

وفي العقد الفريد إنه لما قتل عمار بصفين ، وروى عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) المراد بقوله : هو هو : هو اليوم الذي وعده فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والله العالم .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

وسلم)« تقتلك الفئة الباغية » قال معاوية بن أبي سفيان : هم قتلوه لأنهم أخرجوه إلى القتل .

فلما بلغ ذلك علياً (عليه السلام) قال : « ونحن قتلنا أيضاً حمزة بن عبد المطلب لأنا أخرجناه »[1] .

أقول : من المعلوم المتفق عليه أن حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه كان بصحبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد حينما قتله وحشي غيلة بتحريض من هند أم معاوية التي أكلت من كبد حمزة حقداً ولؤماً .

وعلى افتراء معاوية وأضاليله يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي قتل حمزة وغيره من الصحابة لأنه صلوات الله عليه وآله أخرجهم لحرب المشركين . . .

وكلام معاوية عن عمار ـ بان الذين أخرجوه قتلوه . . . هراء وتضليل لا يقبله عاقل ، ولا يصدقه كل ذي بصيرة ودين .

لكن لما قتل عمار رضي الله عنه وحديث النبي لعمار « تقتلك الفئة الباغية »ما زال في الأذهان . . . اضطرب أهل الشام أصحاب معاوية الذين قتلوه . . .

عند ذلك خاف معاوية الإنقلاب عليه فاستعان بحليفه عمرو بن العاص حتى لا يفلت الأمر من يده وينحاز الناس إلى علي بن أبي طالب فخرج بهذه المكيدة المفضوحة . . . قتله الذين أخرجوه .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : أنه دخل زيد بن أرقم على معاوية ، فإذا عمرو بن العاص جالس على السرير . فلما رأى ذلك زيد ، جاء حتى رمى بنفسه بينهما ، فقال عمرو بن العاص : أما وجدت لك مجلساً إلاّ أن تقطع بيني وبين الأمير !؟

---

(١) العقد الفريد : ج ٤ ص ٣٤٣ .

فقال زيد : إنّ رسول الله غزا غـزوة وأنتما معـه فرآكـما مجتمعين ، فنظر إليكما نظراً شـديداً . ثم رآكـما اليوم الثـاني ، واليوم لثـالث ، كل ذلـك يديم النـظر إليكما ، فقـال في اليوم الثـالث : « إذا رأيتم معاويـة وعمـرو بن العـاص مجتمعـين ، ففـرقـوا بينهـما لأنهما لن يجتمعـا عـلى خير . . »[1] .

قال ابن كثير في البداية والنهاية ، بعدما روى مقتل عمار بن يـاسر مفصلاً :

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنـه مع أمـير المؤمنين عـلي بن أبي طـالب ، قتله أهل الشـام . . . وبان وظهـر بذلـك سرٌ ما أخـبر بـه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنه : تقتله الفئة الباغية .

وبأن ذلك أن علياً محق . . وأن معاوية باغ . . . ومـا في ذلك من دلائل النبوة . . . الخ .

وفي البداية والنهـاية أيضـاً : بعد سلسلة من الأسنـاد عن زيد بن وهب الجهني : أن عماراً قال يومئذٍ :

من يبتغي رضوان ربه . . . ولا يلوي إلى مال ولا ولد . . . ؟

قال الجهني : فاتته عصابة من الناس . . .

فقـال عمار : أيهـا الناس اقصـدوا بنا نحـو هؤلاء القوم ، الذين يبتغون دم عثمان ، ويزعمون أنه قتل مظلوماً . .

والله مـا قصدهـم الأخـذ بدمـه . . . ولا الأخذ بثـأره . . . ولكن القـوم ذاقوا الـدنيا فـاستحلوها ـ أي وجـدوها حلوة ـ واستمـروا الآخرة ـ أي وجدوها مرة ـ فقلوها . . . وعلمـوا أن الحق إذا لزمهم حـال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، وملذاتهم . . .

ولم يكن للقـوم سابقـة في الإسلام يستحقـون بهـا طـاعـة النـاس

---

(١) وقعة صفين : ص ١٥٨ .

لهم . . ولا الولاية عليهم . . ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ، وتعقله عن إرادة الدنيا ، وطلب العلو فيها ، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله . .

فخدعوا أتباعهم بقولهم : إمامنا قُتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً ، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون ، ولولا ذلك ما تبعهم من الناس رجلان . . . ولكانوا أذل . . . وأخس . . . وأقل . . .

ولكن قول الباطل له حلاوة في أسماع الغافلين . . . فسيروا إلى الله سيراً جميلاً . . . واذكروا الله ذكراً كثيراً . . .

ثم تقدم فلقيه عمرو بن العاص ، وعبيد الله بن عمر ، فلامهما . . . وأنبهما . . . ووعظهما . . . وذكروا له من كلامه لهما ما فيه غلظة [1] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٦٦ ط دار الفكر ببيروت .



مقتل هاشم المرقال وابنا حذيفة

في مروج الذهب للمسعودي : أنه لما صرع عمار بن ياسر (رض) - تقدم سعيد بن الهمداني في همدان وتقدم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في الأنصار وربيعة ، وعدي بن حاتم في طيء ، وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس ، فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية .

وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان .

وأمر علي (عليه السلام) الأشتر أن يتقدم باللواء إلى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين ، فأكثر القتل في أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء .

وأبلى المرقال يومئذٍ بمن معه[1] فلا يقوم له شيء ، وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده . . .

ثم صمد هاشم بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو في حمير ، فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع ، وكان رجلاً من عذره .

(١) في بعض النسخ : وأتى المرقال يومئذٍ بمن معه .

فاختلفا طعنتين ، فطعنه هاشم المرقال فقتله ، وقتل بعده تسعة عشر رجلاً . . .

وحمل هاشم المرقال[1] وحمل ذو الكلاع ، ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا ، أو يفتحوا ، أو يقتلوا . . .

فاجتلد الناس ، فقُتل هاشم المرقال ، وقُتل ذو الكلاع جميعاً . . .

فتناول ابن المرقال اللواء حين قُتل أبوه في وسط المعركة ، وكر في العجاج وهو يقول :

يا هاشم بن عتبة بن مالك اعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلات بالسنابك أبشر بحور العين في الأرائك
والروح والريحان عند ذلك

ووقف علي (عليه السلام) عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الأسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم ، قال من أبيات :

جزى الله خيراً عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان[2] وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ٣٦ للهجرة ، فبلغه قتل عثمان بن عفان ، وبيعة الناس لعلي بن أبي طالب ، فقال : اخرجوني وادعوا الصلاة جامعة . . . ففعلوا . . .

فوضع حذيفة على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ثم قال :

أيها الناس . . إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً ووازروه فوالله إنه لعلى الحق أولاً وآخراً . . . وإنه لخير

---

(١) تقدمت ترجمة هاشم بن عتبة الملقب بالمرقال في موضع سابق من هذا الكتاب .

(٢) حذيفة بن اليمان وهو من الأكابر من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) تقدمت ترجمته .

من مضى بعد نبيكم ، ومن بقي إلى يوم القيامة .

ثم أطبق ـ حذيفة ـ يمينه على يساره ، ثم قال :

أللهم اشهد . . . إني قد بايعت علياً . .

وقال أيضاً : الحمد الله الذي أبقاني إلى هذا اليوم .

وقال لإبنيه صفوان وسعد : احملاني ، وكونا معه ، ـ مع علي بن أبي طالب ـ فستكون له حروب كثيرة ، فيهلك فيها خلق من الناس ، فاجتهدا[1] أن تستشهدا معه ، فإنه والله على الحق ، ومن خالفه على الباطل .

ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل : بأربعين يوماً .

واستشهد صفوان وأخوه سعد ابنا حذيفة ـ في اليوم الذي قتل فيه هاشم بن عتبة المرقال ـ .

واستشهد في ذلك اليوم عبد الله بن الحارث النخعي أخو الأشتر ، واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي في خلق من خزاعة[2] .

وفي مروج الذهب أيضاً : لما رأى معاوية القتل في أهل الشام ، وكلب أهل العراق عليهم ، استدعى بالنعمان ابن جبلة التنوخي . . . وكان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء . . .

وقال له : لقد هممت أن أولي قومك من هو خير منك مقدما ، وانصح ديناً . . . » .

فقال له النعمان : إنا لو كنا ندعو قومنا إلى جيش مجموع ، لكان في كسع الرجال بعض الأناة ، فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة ،

---

(١) وفي بعض النسخ فاجهدا .

(٢) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٤ .

وردينية شاجرة ، وقوماً ذوي بصائر نافذة . . .

والله لقد نصحتك على نفسي يا معاوية ، وآثرت ملكك على ديني ، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه . . وحدت عن الحق وأنا أبصره . . . وما وفقت لرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأول مؤمن به ومهاجر معه ، ولو أعطيناه ما أعطيناك ، لكان أرأف بالرعية ، وأجزل في العطية .

ولكن قد بذلنا لك الأمر ، ولا بد من اتمامه . . . كان غياً . . . أو رشداً . . . وحاشا أن يكون رشداً . . وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها . . . إذ حرمنا أثمار الجنة وأنهارها . . . الخ .

أقول : هكذا كان أتباع معاوية ، فريق أخذته حمية الجاهلية فدافع عن تين الغوطة وزيتونها مع علمه أنه على ضلال . وفريق غرته الدنيا فباع دينه والتحق بمعاوية . وفريق له غرض في حرب علي (ع) وعداوته .

مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب

في الإمامة والسياسة لابن قتيبة : أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب قدم على معاوية الشام ، فسر به معاوية سروراً شديداً ، وسر به أهل الشام . وكان أشد قريش سروراً به عمرو بن العاص . . .

فقال معاوية لعمرو : ما منع عبد الله بن عمر أن يكون كأخيه عبيد الله ؟!

فضحك عمرو وقال : شبهت غير شبيه ! إنما أتاك عبيد الله مخافة أن يقتله علي بن أبي طالب بقتله الهرمزان[1] .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن الجرجاني ، أنه قال : لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بن أبي سفيان بالشام . أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال :

يا عمرو إن الله قد أحي عمر بن الخطاب بالشام ، بقدوم عبيد الله بن عمر ، وقد رأيت أن أقيمه خطيباً فيشهد على علي بن أبي طالب بقتل عثمان . . وينال منه . . .

فقال عمرو : الرأي ما رأيت . . .

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١٠٣ .

فبعث إليه ، فأتى ، فقال له معاوية : يا ابن أخي . . . إن لك اسم أبيك . . . فانظر بملء عينك ، وتكلم بكل فيك ، فأنت المأمون المصدق . . . فاشتم علياً ، واشهد عليه أنه قتل عثمان .

فقال عبيد الله : يا أمير . . أما شتميه . . فإنه علي بن أبي طالب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فما عسى أن أقول في حسبه !!

وأما بأسه . . . فهو الشجاع المطرق . . . وأما أيامه فما قد عرفت ! . . .

ولكني ملزمه بدم عثمان . . .

فقال عمرو : إذاً والله قد نكأت القرحة . .

فلما خرج عبيد الله ، قال معاوية لعمرو : أما والله لولا قتله الهرمزان ، ومخافة علي على نفسه ما أتانا أبداً . . . ألم تر إلى تقريظه علياً ؟!

فقال عمرو : يا معاوية إن لم تغلب فاخلب[٢] .

والتحق عبيد الله بن عمر بجيش معاوية وكان من القادة المبرزين وذهب معه إلى صفين لمحاربة علي بن أبي طالب .

وفي مروج الذهب للمسعودي : كان عبيد الله بن عمر إذا خرج إلى القتال قام إليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ، ما خلا الشيبانية بنت هانيء بن قبيصة .

فخرج عبيد الله في اليوم الذي قتل فيه ، وأقبل على زوجته الشيبانية ، وقال لها : إني قد عبأت اليوم لقومك ، وايم الله إني لأرجو أن أربط بكل طنب من أطناب فسطاطي سيداً منهم . .

---

(١) فاخلب : أي اخدعه بلطف الكلام : وخلب الفتى خلباً فتنة . المنجد في اللغة .

فقالت له ـ زوجته الشيبانية ـ : ما أبغض إلاّ أن تقاتلهم . . .

قال لها ـ عبيد الله ـ : ولِمَ ؟!

قالت : لأنه لم يتوجه إليهم صنديد في جاهلية ولا إسلام وفي رأسه صعر إلاّ أبادوه . وأخاف أن يقتلوك . . . وكأني بك قتيلاً ، وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك . . .

فرماها بقوس فشجها وقال لها : ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك . . . ثم توجه نحو المعركة ، فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه ، فقتله وقيل : إن الأشتر النخعي هو الذي قتله[1] الخ .

وكلم نساؤه معاوية في جيفته ، فأمر أن تأتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف . . . ففعلن ذلك .

فاستأمرت ربيعة علياً ، فقال لهم علي (عليه السلام) : إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ، ولكن قد أجبتهم إلى ذلك[2] فاجعلوا جيفته لبنت هانىء بن قبيصة الشيباني زوجته .

فقالوا لنسوة عبيد الله : إن شئت شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل إلى عسكر معاوية .

فصرخن وقلن : هذا أشد علينا ، واخبرن معاوية بذلك .

---

(١) وقيل : إن علياً (عليه السلام) ضربه ضربة فقطع له ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه ، وإن علياً قال حين هرب ـ عندما قتل الهرمزان ـ فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره . وفي تاريخ اليعقوبي : إن عمر بن الخطاب أوصى أن يقاد ابنه عبيد الله بالهرمزان . وإن عثمان بن عفان أراد ذلك . وقد كان قيل أن يلي الأمر أشد من خلق الله على عبيد الله حتى جسر بشعره ، وقال : يا عدو الله ، قتلت رجلاً مسلماً ، وصبية ، وطفلة ، وامرأة لا ذنب لها قتلني الله إن لم أقتلك ، فلما ولي عثمان رد عبيد الله إلى عمرو بن العاص .

(٢) في بعض النسخ : ولكن إذا أحببتم فاجعلوا جيفة . الخ .

فقال لهن معاوية : إئتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ، ففعلن وأتت القوم ، وقالت : أنا بنت هانىء بن قبيصة ، وهذا زوجي القاطع الظالم ، وقد حذرته ما صار إليه . . . فهبوا إلي جيفته . . .

ففعلوا . . . والقت إليهم بمطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه إليها . فمضت به ، وكان قد شد في رجله إلى طنب فسطاط من فساطيطهم[1] .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩٦ .

قصة عمرو بن العاص في مبارزته لأمير المؤمنين علي

في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : إنه كان علي بن أبي طالب يخرج كل غداة لصفين في سرعان الخيل - أوائلها - فيقف بين الصفين ثم ينادي :

يا معاوية . . . علّام يقتتل الناس ؟ أبرز إلي . . . وابرز إليك . . . فيكون الأمر لمن غلب .

فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أنصفك الرجل .

فقال له معاوية : أردتها يا عمرو ! - أي أردت الخلافة - .

ثم قال له : والله لا رضيت عنك يا عمرو حتى تبارز علياً .

فبرز عمر إلى علي متنكراً . . . فلما غشيه علي (عليه السلام) بالسيف . . . رمى عمرو بنفسه إلى الأرض ، وأبدى له سوأته ، فضرب علي وجه فرسه وانصرف عنه[1] .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة أن عمرو بن العاص قال لمعاوية : أتجبن عن علي . . وتتهمني في نصيحتي إليك ؟ والله لأبارزن علياً ولو مت ألف موته في أول لقائه .

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : ج ٤ ص ٣٣٩ .

فبارزه عمرو . . فطعنه علي فصرعه . . فأتقاه بعورته . .

فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه .

وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قط إلى عورة أحد ، حياءً وتكرماً . . . وتنزهاً عما لا يحل . . ولا يجمل بمثله ، كرم الله وجهه[1] .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أما خبر عمرو في صفين ، واتقائه حملة علي (عليه السلام) ، بطرحه نفسه على الأرض وإبداء سوأته . . فقد ذكره كل من صنف في السير كتاباً ، وخصوصاً الكتب الموضوعة لصفين .

كان عمرو بن العاص عدواً للحارث بن نضر الخثعمي . . وكان الخثعمي من أصحاب علي (عليه السلام) وكان علي (عليه السلام) قد تهيبته فرسان الشام ، وملأ قلوبهم بشجاعته ، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه .

وكان عمرو بن العاص قلما جلس مجلساً إلاّ ذكر فيه الحارث بن نضر الخثعمي وعابه ، فقال الحارث أبياتاً منها :

ليس عمرو بتارك ذكره الحا — رث بالسوء أو يلاقي عليا
ليت عمراً يلقاه في حومة النقـ — ـع وقد أمست السيوف عصيا
فالقه إن أردت مكرمة الدهـ — ـر أو الموت كل ذاك عليا

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمراً ، فأقسم بالله ليلقين علياً ، ولو مات ألف موتة .

فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه . فتقدم علي (عليه السلام) وهو مخترط سيفاً ، معتقل رمحاً ، فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه . . .

فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه . . . كاشفاً عورته .

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١٠٧ .

فانصرف علي عنه لافتاً وجهه مستدبراً له ، فعد الناس ذلك من مكارمه وسؤدده ، وضرب بها المثل .

وفي شرح نهج البلاغة عن محمد بن إسحاق ، قال : اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفين ، عمرو بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن عامر ، وابن طلحة الطلحات الخزاعي .

فقال عتبة : إن أمرنا وأمر علي بن أبي طالب لعجب . . . ما فينا إلّا موتور مجتاح .

أما أنا . . فقتل علي جدي عتبة بن ربيعة ، وأخي حنظلة ، وشرك في دم عمي شيبة يوم بدر .

وأما أنت يا وليد . . . فقتل علي أباك صبراً . . .

وأما أنت يا بن عامر . . . فصرع علي أباك ، وسلب عمك . . .

وأما أنت يا بن طلحة . . . فقتل علي أباك يوم الجمل ، وأيتم أخوتك . . .

وأما أنت يا مروان فكما قال الشاعر :

وافلتهن علباء جريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب[1]

فقال معاوية : هذا الإقرار . . . فأين الغير . . . ؟[2] .

قال مروان : وأي غير تريد ؟

قال معاوية : أريد أن تشجروه بالرماح . .

قال مروان : والله يا معاوية ما أراك إلا هاذياً . . . أو هازئاً . . . وما أرانا إلّا ثقّلنا عليك !

---

(١) أبيات لامرىء القيس : وعلباء : قاتل والد امرىء القيس ، والجريض : الذي يؤخذ بريقه . وصفر وطابة : كناية عن القتل .

(٢) الغير : جمع غيور : والغيرة المحبة . وهنا معاوية يحرض قومه على قتال علي واترهم .

فقال ابن عقبة : أبياتاً منها :

يقول لنا معاوية بن حرب ... أما فيكم لواتركم طلوب
يشد على أبي حسن علي ... باسمر لا تهجنه الكعوب
فقلت له أتلعب يا بن هند ... كأنك بيننا رجل غريب
أتغرينا بحية بطن واد ... إذا نهشت فليس لها طبيب

إلى أن يقول :

سوى عمرو وقته خصيتاه ... وكان لقلبه منه وجيب

فغضب عمرو ، وقال : إن كان الوليد صادقاً فليلق علياً ، أو فليقف حيث يسمع صوته . . . وقال عمرو مجيباً للوليد بن عقبة في ذلك أبياتاً منها :

وعيرني الوليد لقاء ليث ... إذا ما شدّ هابته الأسود[1]
فرمها منه يا بن أبي معيط ... وأنت الفارس البطل النجيد!
واقسم لو سمعت ندا علي ... لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لاقيته شقت جيوب ... عليك ، ولطمت فيك الخدود

وفي شرح النهج أيضا : عن الواقدي : أنه قال : قال معاوية يوماً بعد استقرار الملك له لعمرو بن العاص : يا أبا عبد الله ، لا أراك إلاّ وغلبني ـ ويغلبني الضحك . . .

قال عمرو : بماذا ؟

قال معاوية : أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين . . . فأزريت نفسك فرقاً من شباسنانه ، وكشفت سوأتك له . . .

فقال عمرو : أنا أشد منك ضحكاً . . . إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز ، فانتفخ سحرك[2] وربا لسانك في فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت فرائصك ، وبدا منك ما أكره ذكره لك . . .

---

(١) وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : إذا ما زأر هابته الأسود .

(٢) يقال : انتفخ سحره : أي جبن كأن الخوف ملأ جوفه فانتفخ سحره . المنجد في اللغة .

فقال معاوية : لم يكن هذا كله . . . وكيف يكون ودوني عك والإشعريون !

قال عمرو : إنك لتعلم إن الذي وصفت دون ما أصابك . . . وقد نزل ذلك بك ، ودونك عك والأشعريون . . . فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط[1] الحرب !؟

فقال معاوية : يا أبا عبد الله ، خض بنا الهزل إلى الجد . . . إن الجبن والفرار من علي لا عار على أحد فيهما[2] .

وفي تاريخ اليعقوبي إنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة ، قال لابنه :

لودّ أبوك إنه كان مات في غزاة ذات السلاسل ، إني قد دخلت في أمور لا أدري ما حجتي عند الله فيها . . .

ثم نظر إلى ماله ، فرأى كثرته ، فقال : يا ليته كان بعراً . . . يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة . . . أصلحت لمعاوية دنياه ، وأفسد ديني . . . آثرت دنياي . . . وتركت آخرتي . . . عمي على رشدي حتى حضرني أجلي . كأني بمعاوية قد حوى مالي ، وأساء فيكم خلافتي . . .

وتوفي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ وله من العمر ثمان وتسعون سنة .

وولي عمرو بن العاص مصر عشر سنين، منها لعمر بن الخطاب أربع سنين ، ولعثمان بن عفان أربع سنين إلاّ شهرين ، ولمعوية بن أبي سفيان سنتين وثلاثة أشهر[3] .

---

(١) المأقط : موضع القتال .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٥ ص ٣١٤ - ٣١٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٢١١ .

أقول : وهكذا كانت نهاية عمرو بن العاص بالندم والحسرات على ما فاته من سلوك طريق الهداية والرشاد . . . حيث اتبع هواه ، وباع دينه بدنياه . ولم ينتبه أو يرعوي إلّا حين أدركته الوفاة . . . وحين لا ينفع الندم . . . وهذه صفات ضعاف الإيمان متزلزلي العقيدة الذين اتخذوا من الإسلام سلماً لنيل مآربهم وشهواتهم .

وعرض لبسر بن أرطأة ما عرض لعمرو بن العاص من كشف سوأته واتقاء سيف علي بعورته .

في الإستيعاب لابن عبد البر عن الدارقطني : كان بسر بن أرطأة من الأبطال الطغاة ، وكان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين ، فأمره معاوية أن يلقى علياً في القتال ، وقال له سمعتك تتمنى لقاءه . . . فلو أظفرك الله به ، وصرعته ، حصلت على دنيا وآخرة . ولم يزل به يشجعه ، ويمنيه حتى رأى بسر علياً (عليه السلام) فقصده في الحرب .

والتقيا فصرعه علي في الحال وعرض له معه مثل ما عرض فيما ذكروا لعلي مع عمرو بن العاص . وذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار معين . إن بسر ابن أرطأة بارز علياً يوم صفين فطعنه علي رضي الله عنه فصرعه فانكشف له ـ أي كشف بسر عن سوأته ـ فكف عنه علي ، وقيل في ذلك أشعار .

وذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحرث بن نضر السهمي أبياتاً منها :

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي ... وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنفس واقية[٢]

(١) الإستيعاب لابن عبد البر : حاشية الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٢ .

ليلة الهرير

في كتاب صفين لنصر بن مزاحم : غلس علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالناس صلاة الغداة ، يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ـ وقيل : عاشر صفر ، ثم زحف على أهل الشام بعسكر العراق ، والناس على راياتهم ، وزحف إليهم أهل الشام وكانت الحرب كلت الفريقين ، ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا . فقد ملوا الحرب ، وكرهوا القتال وتضعضعت أركانهم .

ولما زحف الناس بعضهم إلى بعض ، فارتموا بالنبل حتى فنيت ، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت . ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف ، وعمد الحديد ، فلم يسمع السامع إلاّ وقع الحديد بعضه على بعض . فوالله لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق .

وكان الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالإقدام على التي تليها . . . فاجتلدوا في السيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل .

وافترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة الهرير . ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع

الضحى ، والأشتر يقول لأصحابه : ازحفوا قيد رمحي هذا ، وإذا فعلوا قال : ازحفوا قاب هذا القوس ، حتى أكثر الناس الإقدام فلما رأى ذلك دعا بفرسه وركّز رايته ، وخرج يسير في الكتائب ويقول : ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله . . فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه ويقاتل معه .

ثم قام الأشتر في أصحابه فقال : شدوا فداً لكم عمي وخالي ، شدة ترضون بها الله . . . وتعزون بها الدين . ثم شدّ على القوم وشدّ معه أصحابه وقاتلوا قتالاً شديداً . فقتل صاحب رايته . . . وأخذ علي (عليه السلام) لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمده بالرجال .

ثم إن علياً (عليه السلام) قام خطيباً : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قدر رأيتم ، ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها . . . وقد صبر لكم القوم على غير دين ، حتى بلغنا منهم ما بلغنا . وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله عز وجل » .

وعن نمير الأنصاري قال : والله لكأني أسمع علياً يوم الهرير حين سار أهل الشام وذلك بعدما طحنت رحى مذحج فيما بيننا وبين عك ، ولخم ، وجذام والأشعريين ، بأمر عظيم ، تشيب منه النواصي . من حين استقبلت الشمس حتى قام قائم الظهيرة .

ثم إن عليا قال : حتى متى نخلي بين هذين الحيين ! قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم . . أما تخافون مقت الله !

ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى : « يا ألله . . . يا رحمن . . . يا واحد يا صمد . . . يا إله محمد . . . اللهم إليك نقلت الأقدام ، وأفضت القلوب ، ورفعت الأيدي ، وامتدت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وطلبت الحوائج . . . إنا نشكو إليك غيبة نبينا (ص) وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا

بالحق وأنت خير الفاتحين . . . سيروا على بركة الله . . . » .

ثم نادى علي (عليه السلام) : « لا إله إلا الله والله أكبر . . . كلمة التقوى » .

ثم قال نمير الأنصاري : لا والله الذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب . إنه قتل فيما ذكر العادّون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب ، يخرج بسيفه منحنياً فيقول : « معذرة إلى الله عز وجل وإليكم من هذا . . . لقد هممت أن أفلقه ، ولكن حجزني عنه إني سمعت رسول الله يقول كثيراً . .

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي

وأنا أقاتل به دونه .

قال الأنصاري : فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا ، فيقتحم به في عرض الصف ، فلا والله ما ليث بأشد نكاية في عدوه منه .

وفي حديث عمرو بن شمر بإسناده ، قال : لما إن كان اليوم الأعظم ، قال أصحاب معاوية : والله ما نحن لنبرح اليوم العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت . . .

وقال أصحاب علي (عليه السلام) : والله ما نحن بتاركي العرصة اليوم إن شاء الله حتى يفتح لنا أو نموت .

فباكروا القتال غداً يوماً من أيام الشعرى طويلاً شديد الحر ، فتراموا حتى فنيت النبل ، ثم تتطاعنوا حتى تقصفت رماحهم ، ثم نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف ، حتى كسرت جفونها . . . وقامت الفرسان في الركب . . . ثم اضطربوا بالسيوف ، وبعمد الحديد ، فلم يسمع السامع إلّا تغمغم القوم ، وصليل الحديد في الهام . . . وتكادم الأفواه . . .

وكسفت الشمس . . . وثار القتام[1] . . . وضلت الألوية في الرايات . . .

وأقبل الأشتر على فرسه وهو يقول : اصبروا يا معشر المؤمنين ، فقد حمي الوطيس ، ورجعت الشمس من الكسوف ، واشتد القتال ، وأخذت السباع بعضها بعضاً .

فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص وقال له : إنما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفيصل . . . فما ترى ؟!

قال عمرو : أرى أن رجالك لا يقومون لرجاله . . . ولست مثله وهو يقاتلك على أمر ، وأنت تقاتله على غيره . . . أنت تريد البقاء . . . . وهو يريد الفناء . . . وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم . . . وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم[2] .

ولكن . . الق إليهم امراً إن قبلوه اختلفوا . . . وإن ردوه اختلفوا . . . ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم ، فإنك بالغ به حاجتك في القوم . فإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لحاجتك إليه . . .

فعرف ذلك معاوية فقال : صدقت . . .[3] .

---

(١) ثار القتام : ارتفع الغبار ضارباً إلى السواد . المنجد في اللغة .

(٢) إن أهل العراق يعرفون غدر معاوية وظلمة وفتكه في سبيل نيل مآربه ولذلك فهم يخافونه إن ظفر بهم ، وأما أهل الشام لا يخافون علياً لعلمهم بما هو عليه من العدل والصفح والحلم ، والعفو عند المقدرة إن ظفر بهم . وهم ليسوا ببعيدين عن يوم الجمل حينما عفا علي (عليه السلام) عن أعدائه وصفح عن كل من ألقى سلاحه وأغلق عليه بابه .

(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٤٧ ـ ٣٥٠ .

خدعة رفع المصاحف

روى الطبري في تاريخه عن أبي مخنف : إنه لما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال لمعاوية :

هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعاً ، ولا يزيدهم إلاّ فرقة ؟

قال معاوية : نعم . . .

قال عمرو : ترفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حكم بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها ، وجدت فيهم من يقول : بلى ، ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم . . . !

وإن قالوا : بلى . . . نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنا ، وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين . . .[1] .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة : إن أهل العسكرين باتوا بشدة من الألم ، ونادى علي أصحابه فأصبحوا على راياتهم ومصافهم .

---

(١) تاريخ للطبري : ج ٥ ص ٤٨ .

فلما رآهم معاوية ، وقد برزوا للقتال ـ وقد أيقن بالهلاك ـ قال لعمرو بن العاص : يا عمرو . . . ألم تزعم أنك ما وقعت في أمر قط إلّا خرجت منه . . . ؟

قال معاوية : وما ذلك ؟

قال عمرو : تأمر بالمصاحف فترفع . . . ثم تدعوهم إلى ما فيها ، فوالله لئن قبله لتفرقنّ عنه جماعته ، ولئن رده ليكفرنه أصحابه[1] .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : إنه لما اشتد القتال ، ورأى عمرو بن العاص أن امر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك ؟ وأشار عليه برفع المصاحف وساق الحديث كما أسلفنا[2] .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : عن جابر ، أنه قال : سمعت تميم بن حذيم يقول : لما أصبحنا من ليلة الهرير ، نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام ، وسط الفيلق من حيال موقف معاوية .

فلما أسفرنا فإذا هي المصاحف قد رُبطت على أطراف الرماح ، وهي عظام مصاحف العسكر . وقد شدوا ثلاثة رماح جميعاً ، وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط واستقبلوا علياً بمائة مصحف ، ووضعوا في كل مجنبة مائتي مصحف وكان جميعها خمسمائة . . الخ .

ونادى أهل الشام : يا أهل العراق من لذرارينا إنْ قتلتمونا ، ومن لذراريكم ، إن قتلناكم ، الله الله في البقية . .

وأصبح أهل الشام ، وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١١٥ .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٦٠ .

وقلدوها الخيل والناس على الرايات وقد اشتهروا بما دعوا إليه . . . ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح ونادوا : يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم . . .

وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون أبيض ، وقد وضع المصحف على رأسه ، وينادي : يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم .

وأقبل عدي بن حاتم فقال : يا أمير المؤمنين إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق فإنه لم تصب عصبة منا وإلّا وقد أصيب مثلها منهم . وكل مقروح ، ولكنا أمثل بقية منهم . وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلّا ما تحب فناجز القوم . . .

فقام الأشتر النخعي فقال : يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له من رجالك ولك بحمد الله الخلف ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن له مثل صبرك ، ولا بصرك . . . فاقرع الحديد بالحديد ، واستعن بالله الحميد .

ثم قام عمرو بن الحمق[1] فقال : يا أمير المؤمنين أنا والله ما اخترناك ، ولا نصرناك عصبية على الباطل ، ولا أجبنا إلّا الله عز

---

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي :ج٢٠ ص ٢٧٨ . عمرو بن الحمق الخزاعي من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو من حواريه رواه الكشي ، ونقله العلامة ، وروى له مدائح أخر ـ وفي الإصابة للعسقلاني ج ٢ ص ٥٣٣، عمرو بن الحمق الخزاعي هاجر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع منه في فضل علي وشهد بدراً . سكن الشام ثم سكن الكوفة ثم قام على عثمان مع أهلها ، وشهد مع علي حروبه . وذكر ابن عبد البر في الإستيعاب ـ عمرو بن الحمق هاجر إلى النبي وله صحبة وحفظ عنه أحاديث وسكن الشام ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها وروى عنه جبير بن نفير ، ورفاعة بن شداد وغيرهما . كان من شيعة علي رضي الله عنه وشهد معه مشاهده كلها . وأعان حجر بن عدي ثم هرب في زمن زياد إلى الموصل فقتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وبعث برأسه إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية وكان أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد وكان مقتله سنة خمسين . وستأتي ترجمة عمرو بن الحمق في باب لاحق من هذا الكتاب إن شاء الله .

وجل ، ولا طلبنا إلاّ الحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لكان فيه اللجاج ، وطالت فيه النجوى ، وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأي[1] .

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٥٤ .

اختلاف رأي أهل العراق بعد رفع المصاحف

انطلت حيلة رفع المصاحف على أهل العراق ، وخُدعوا بها ، وأصبح الكثير منهم كطير النعام أغمضوا عيونهم عن شراك الصياد ، واخفوا رؤوسهم في الرمال غير ملتفتين إلى ما سوف تجره عليهم هذه الحيلة من الوبال . . .

وقعت الفتنة التي أرادها معاوية وحليفه عمرو بن العاص أن تكون بين صفوف جيش أمير المؤمنين علي . . . فاختلف أهل العراق في الآراء وتشعبوا بعد أن كان النصر حليفهم . . . وبجانبهم قاب قوسين أو أدنى . .

صاح الناس وماجوا . . وارتفعت الأصوات بين المحبذين لإنهاء الحرب والركون للموادعة ، وبين من عرفوا أن رفع المصاحف ما هي إلّا خدعة ومكيدة يراد منها إيقاع الفتنة بين صفوف جيش علي كما أسلفنا .

وحينما رأى علي (عليه السلام) أهل الشام رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح . . وراحوا يدعون إلى حكم القرآن قال : عباد الله ، اتقوا الله . . . أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله . . الخ كما ذكر ذلك جميع المؤرخين وأصحاب السير .

ففي تاريخ الطبري عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب

الأزدي عن أبيه إن علياً قال :

« عباد الله امضوا على حقكم ، وصدقكم ، وقتال عدوكم . فإن معاوية ، وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن . أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً . . . فكانوا شر أطفال ، و شر رجال .

ويحكم . . . . إنهم ما رفعوها ـ أي المصاحف ـ ثم لا يرفعونها ، ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلاّ خديعة . . . ودهنا ومكيدة » .

فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل ، فنأبى أن نقبله . . فقال لهم (عليه السلام) : إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ، ونسوا عهده ، ونبذوا كتابه .

فقال له مسعر بن فدكي التميمي ، وزيد بن حصين الطائي ، ثم السنبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارجاً بعد ذلك :

يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه وإلاّ ندفعك برمتك إلى القوم . . . أو نفعل كما فعلنا بابن عفان . إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه . . . والله لتفعلنها ، أو لنفعلنها بك .

قال أمير المؤمنين علي : فاحفظوا عني نهيي إياكم ، واحفظوا مقالتكم لي . أما أنا فإن تطيعوني ، فقاتلوا . . . وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم . . .

قالوا له أما لا . . . فابعث إلى الأشتر فليأتك(١) .

وفي كتاب صفين : إنه لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال علي (عليه السلام) : « عباد الله أنا أحق

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٣٤ .

من أجـاب إلى كتاب الله ، ولكن معـاوية ، وعمـرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ليسوا بـأصحاب دين ، ولا قـرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم أطفـالاً ، وصحبتهم رجـالاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال . . . إنها كلمة حق يراد بها باطل .

إنّهم والله مـا رفعوهـا . . . إنّهم يعرفـونها ولا يعلمون بهـا . ومـا رفعوها لكم إلاّ خديعة ومكيدة .

أعـيروني سواعـدكم وجماجمكم سـاعـة واحـدة ، فقـد بلغ الحق مقطعه ، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا .

فجـاءه زهاء عشرين ألفـاً مقنعين في الحـديد ، شـاكي السلاح ، سيـوفهم على عـواتقهم ، وقد اسـودت جباههم من السجـود يتقـدمهم مسعر بن فدكي ، وزيد بن حصين ، وعصابة من القراء ، الذين صاروا خوارج من بعد ، فنادوه باسمه لا بأمرة المؤمنين .

يا علي أحب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليـه ، وإلاّ قتلناك كـما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم .

فقـال لهم : ويحكم أنـا أول من دعـا إلى كتـاب الله ، وأول من أجـاب إليه ، وليس يحـل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتـاب الله فلا أقبله . . . إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن ، فـإنهم قد عصـوا الله فيما أمرهم ، ونقضوا عهده ، ونبذوا كتابه .

ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون . . . .

قالوا : فابعث إلى الأشتر ليـأتينك . . . وقـد كان الأشـتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله . .

فـأرسـل عـلي (عليـه السـلام) يـزيـد بن هـاني إلى الأشـتر ليستدعيه . . .

فقال له الأشتر : أتيه . . .[1] فقل له : ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي . . . إني قد رجوت أن يفتح الله لي فلا تعجلني . . .

فرجع يزيد بن هانىء إلى علي (عليه السلام) فأخبره . . .

فقال له القوم : والله ما نراك إلّا أمرته بالقتال . . .

قال (عليه السلام) : « رأيتموني ساررت رسولي !! أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون . . . » .

قالوا : فابعث إليه فليأتك وإلّا . . فوالله اعتزلناك[2] .

قال : ويحك يا يزيد قل له اقبل إلي ، فإن الفتنة قد وقعت .

فأتاه فأخبره ، فقال له الأشتر : الرفع هذه المصاحف ؟

قال : نعم .

قال الأشتر : أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة ، إنها من مشورة ابن النابغة[3] يعني عمرو بن العاص ، ثم قال ليزيد : ألا ترى إلى الفتح . . . ألا ترى إلى ما يلقون . . . ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا . . أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه ؟

فقال له يزيد : أتحب أنك ظفرت ههنا ، وإن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم إلى عدوه .

قال الأشتر سبحان الله ، والله ما أحب ذلك .

قال يزيد : فإنهم قالوا : لترسلن إلى الأشتر فليأتك ، أو لنقتلنك كما قتلنا عثمان ، أو لنسلمنك إلى عدوك . .

---

(١) وفي رواية : إئته .

(٢) وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : وإلّا دفعناك برمتك إلى القوم .

(٣) وفي تاريخ الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير : إنها مشورة ابن العاهر ـ يعني عمرو بن العاص .

فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح : يا أهل الذل والهوان . . . والوهن أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم ظاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها . . . !

وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وسنة من أنزلت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلا تجيبوهم . . . امهلوني فواقا . . . فإني قد أحسست بالفتح . .

قالوا : لا . .

قال : فامهلوني عدو الفرس ، فإني قد طمعت في النصر . . .

قالوا : إذاً ندخل معك في خطيئتك .

قال الأشتر : فحدثوني عنكم ، وقد قتل أماثلكم ، وبقي أراذلكم ، متى كنتم محقين ؟! حيث كنتم تقتلون أهل الشام . . . فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال . مبطلون ؟ أم الآن محقون ؟ . . . فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار ؟!

قالوا : دعنا منك يا أشتر . . . قاتلناهم في الله ، وندع قتالهم في الله ، أنا لسنا نطيعك فاجتنبنا .

قال الأشتر : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعوتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن أن صلاتكم زهادة إلى الدنيا وشوق إلى لقاء الله ، فلا أرى قراركم إلّا إلى الدنيا[1] من الموت .

ألا فقبحاً يا أشباه النيب الجلّالة[2] . . . ما أنتم برائين بعدها

---

(١) هكذا وردت في الأصل : والأصح : فراركم إلى الدنيا .

(٢) النيب الجلّالة : النيب النوق الهرمة المسنة . وإبل جلّالة : تأكل العذرة وقد ينهي عن لحومها وألبانها . والجلالة البقرة التي تتبع النجاسات ونهى النبي (صلى الله عليه وآله =

عزاً أبداً . . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فسبوه وسبهم . . . وضربوا بسياطهم وجه دابته ، وضرب بسوطه وجوه دوابهم ، فصاح بهم علي أمير المؤمنين (عليه السلام) . . . فكفوا .

فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف ، يصرع القوم .

فقالوا له : إن علياً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن ، ولم يسعه إلّا ذلك . . .

قال الأشتر : إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن ، فقد رضيت بما رضي به . . .

فأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين . . . قد قبل أمير المؤمنين . . . وهو (عليه السلام) ساكت لا يفيض بكلمة . . . مطرق إلى الأرض[1] .

= وسلم) عن أكل الجلالة وركوبها . وفي حديث آخر نهى عن لبن الجلالة . والجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة . راجع المنجد في اللغة ـ ولسان العرب لابن منظور .

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

عــرض وتحليــل

أقـول : من حق الإسـلام أن ينتصر لأنـه في مبـادئـه العـاليـة ، وشريعتـه العادلـة التي هي أعـظم دستـور يفيـد البشريـة في كـل زمـان ومكان .

أجـل . . . من حق الإسلام أن ينتشر ويعم الكـون بـأجمعـه . . ومن حق معتنقيه أن يكونوا المثل السـامي ، والنبراس الـوضيء ، والنور السـاطع للبشريـة جمعاء لأن الإسـلام خير منقـذ من الجهـالـة ، وحـيرة الضلالة ، وخير هادٍ يهدي إلى الحق والصواب .

هـذا إذا تعقل الإنسـان ، ونظر بعـين الحقيقة والـواقـع ، وتـرك العصبية الجاهلية، وحماقة أهل الأطماع .

وإذا وقفنـا قليلاً في منعـطف تـاريخي ، وتـأملنـا عهـداً مضى من سنـة ٣٦ ـ ٣٧ للهجـرة نجـد أن معـاويـة بن أبي سفيـان الـذي أظهـر الإسـلام وأبـطن غـير مـا أظهـر من العصبيـات الجـاهليـة ، والعـادات القبلية ، وعمل مع عمرو بن العـاص على الكيـد للإسـلام . كل ذلـك من أجـل دنيا فـانية . . . وليتمكن من الإستيـلاء عـلى كـرسي الخـلافـة الإسلامية التي لولا عناية الله سبحانه وتعالى برسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأييده لـه وجهاد المهـاجرين والأنصـار الصـالحين من المسلمين

وسيف علي (عليه السلام) لما قام للدين قائمة .

لكن الكثير من الناس أغـواهم الشيطان وراحـوا يحاولـون محاربـة الحق ولا يرعوون أو يثوبون إلى رشدهم إلّا بعد فوات الآوان . . . عند نهايـة العمر . . . كـما جرى لعمـرو بن العـاص الـذي بقي عـلى عنـاده وضلاله حتى آخر أيامه إذ أخذ عنـد الإحتضار يتـأوه ويتحسر عندمـا مرّ أمـامه شريط أعـماله السيئـة وفداحـة أفعالـه وراح يتنـدم حيث لا ينفـع الندم .

كان الأجدر بعمرو بن العاص وهو الشيخ الهرم الذي أشرف على نهاية حياته بعدما جاوز الخامسة والتسعين من العمر يوم كان بصفـين أن يترك الطمع وبها رج الدنيا ويرجع إلى رشده . . . لا أن يبيع دينه بدنياه ويتحـالف مع معـاوية لمحـاربة أمـير المؤمنين عـلي إمـام الحق . . . لقـاء سنتين أو ثلاثة من ولاية مصر يعمل لمعاوية بن أبي سفيان . . . .

وهل ينفع عمرو قوله عندمـا حضرته الـوفاة . . . ليتني مت قبـل ثلاثين سنة . . . وليتني . . . وليتني . . الخ .

أما معاوية وحربه لعلي (عليه السلام) فما هو إلا لثـارات له عـلى المسلمين وعلى الهاشميين وعلى علي بن أبي طالب بوجه خاص . . .

فمعـاوية لا يهمـه إلا الدنيـا والسلطان ، وقد عمـل بعـد حـرب صفين على الفتك بالإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) حيث دس له السم بواسطة زوجته جعدة بنت الأشعث على ما سيأتي . .

وعمـل معاويـة أيضاً : عـلى الفتك بسعـد بن أبي وقـاص ـ أحـد أصحـاب الشورى الست ـ وعـلى عبد الـرحمن بن أبي بكر عـلى ما ذكـر المؤرخون .

وما كان عمـل معاويـة هذا والفتـك بمن ذكرنـا وغيرهم إلّا بغيـة استتباب الأمر لولده يزيد . . . الطاغية المستهتر .

وهذا ما ابتلى به المسلمون من صدر الإسـلام إلى يومنـا هذا . . .

فقد عمل أعداء الإسلام على تقويض دعائمه وتشتيت المسلمين وتفريق كلمتهم وجعلهم أحزاباً وشيعاً يحارب بعضهم بعضاً . . . لينتصر الباطل على الحق . . . وحتى يستتب الأمر لأعداء الله .

ولنرجع إلى حرب صفين فبعد أن كان النصر حليفاً لأهل العراق وبعد أن اشتد أمرهم . . . اندس الشيطان فنفث سمومه في رأس عمرو بن العاص بخدعة ومكيدة ألا وهي خدعة رفع المصاحف . . على الرماح والدعاء إلّا الإحتكام إلى كتاب الله . . . فتفرقت صفوفهم وتشتت أمرهم .

لذلك نجد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال لهم : « ويلكم قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون » الخ .

وانطلت الخدعة على أهل العراق ، وسقطوا في الشرك وخاصة المنافقين ، والذين ملوا الحرب ، واستعظموا الجهاد والتضحية ، وتناسوا أن علياً (عليه السلام) هو أول من أجاب إلى كتاب الله ودعا إليه .

انطلت الحيلة ـ خدعة رفع المصاحف على ضعفاء العقيدة الذين ملوا الحرب ، وآثروا السلامة ، أمثال شقيق بن ثور البكري وغيره حيث قال : أكلتنا الحرب ولا نرى البقاء إلّا في الموادعة .

وكان في جيش علي (عليه السلام) أيضاً من المنافقين الذين خاضوا الحرب عن حمية . . . لا عن إيمان وعقيدة . . . فاكتفوا بالوقائع التي حاربوا فيها ووقفوا يوم منعوا من الماء ، فابدوا من البسالة في القتال . . . كالأشعث بن قيس الذي قال فيه علي (عليه السلام) : « هذا اليوم نصرنا فيه الأشعث بالحمية » .

وكان بين أولئك وهؤلاء فريق خايله بريق دنيا معاوية بن أبي سفيان من ثراء ، وجاه ، وعطايا ، وهبات ، ووعود براقة ، في الوقت الذي أيقنت فيه هذه الفئة أن علي بن أبي طالب (عليه السلام)

صاحب آخرة ليست ترجى عنده العطايا ، والهبات ، والترف ، وأطايب الحياة .

وهناك فريق كان من غبائه وتزمته يحسب أن عدم قبوله للإحتكام إلى كتاب الله خروج على شرعة الدين . . . وهذا الفريق قد ضل طريق الرشد والهداية ظناً منه أنه ممسك بأهداب الدين وأحكام القرآن أمثال مسعر بن فدكي ، وزيد بن حصين وغيرهما . . . وهؤلاء هم الخوارج المارقون الذين قتلوا عثمان بن عفان ، وقتلوا علياً غيلة فيما بعد بسيف بن ملجم المرادي الخارجي عليه لعائن الله ـ وذلك بعدما حاربوا علياً يوم النهروان على ما سيأتي .

وبعد أن انطلت الحيلة وانخدع الكثير من أهل العراق بخدعة رفع المصاحف وهاج الناس وماجوا ، وطالبوا علياً بالموافقة ، وانقسموا إلى فرق متباينة الأهواء والآراء ، ولم يبق ثابت مع علي (عليه السلام) إلاّ المخلصين من المؤمنين الأخيار أمثال : عبد الله بن العباس ، والأشتر الذي أمره أمير المؤمنين علي بالرجوع عن الحرب بعد أن كان الفتح أمامه قيد رمح ، والذي اشتبك مع الخوارج في معركة كلامية شديدة كما أسلفنا .

في هذه الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين أطرق علي (عليه السلام لا خوفاً من أن يقتلوه كما فعلوا بعثمان بن عفان فتاريخه (عليه السلام) حافل يفيض ببطولاته التي لا مثيل لها . . .

ولكنه (عليه السلام) سكت عن حقه خوفاً على المسلمين من الفتنة ـ وطالما سكت عن حقه خوفاً على الإسلام الذي عمل له منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما زال يعمل لطرد الفتنة من بين صفوف المسلمين ، فقد كان همه الأكبر . . . دائماً الوحدة . . . وإعلاء كلمة الإسلام !

قصة التحكيم . . . والحكمين

فتنة عمياء ، أضلت العقول ، والقلوب بالإنضواء والشبهات الكاذبة . تلك الفتنة التي اطلع الشيطان قرنه فيها ، وحمل عمرو بن العاص على إخراجها والنداء بها حتى أخذت سبيلها في قلوب ضعفاء الإيمان الذين ملوا الحرب وآثروا السلامة فجاؤا إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) جماعات وفرادى يطلبون منه الموافقة وإيقاف القتال والرجوع إلى حكم القرآن تلبية لدعوة أهل الشام .

لم يملك (عليه السلام) إلاّ أن ينزل على حكم القوم الذين أحبوا التحكيم وهو كاره له ، برم به . يرى أنه خدعة تعود على المسلمين بكوارث لا نهاية لها .

لكن ضعاف الإيمان والعقيدة ، الذين صدمتهم محنة الحرب وملوا القتال كما أسلفنا ، ما إن سمعوا نداء أهل الشام يدعونهم للموادعة والتحكيم حتى صاحوا : رضينا . . . رضينا . . . وأصبحوا ينظرون بالبصر دون البصيرة . . . ويسمعون بالآذان دون القلوب . . .

وسرعان ما تبدلت بهم الحال ، فهووا من سماء الروح إلى أرض المادة ولم يسمعوا لكلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حين قال لهم :

« لم يزل أمري معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم

الحرب . . . وقد والله أخـذت منكم وتركت . . . وأخـذت من عدوكم ولم تترك . . . وأنها فيهم أنكى وانهك » .

ثم قال لهم (عليه السلام) وهم يلحون عليه بالإستجابة لضراعة أصحـاب معاويـة في خدعـة رفع المصـاحف وندائهم : كتـاب الله بيننا وبينكم . . - .

« ويحكم . . أنها كلمة حق يراد بها باطل » .

ثم قـال (عليه السـلام) : فاحفظـوا عني نهيي إيـاكم واحفـظوا مقالتكم لي ، فإن تـطيعوني فقـاتلوا . . و إن تعصوني فـاصنعوا بمـا بدا لكم » .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير: أنه جاء الأشعث بن قيس إلى علي (عليه السلام) فقال : أرى الناس قد رضوا بمـا دعوهم إليـه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيتُ معاوية ، فسألته ما يريد ؟ .

قال (عليه السلام) : إئته . .

فأتى الأشعث معاوية فقـال : يا معـاوية ، لأي شيء رفعتم هـذه المصاحف ؟

قـال معاويـة : لنرجـع نحن وأنتم إلى ما أمـر الله به في كتـابـه ، تبعثون رجلاً ترضون به ، ونبعث نحن رجلاً نرضى به ، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ، لا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه .

قال له الأشعث : هذا الحق . . .

فعاد الأشعث إلى علي فأخبره .

فقال الناس : قد رضينا . . . وقبلنا . . .

فقال أهل الشام : قد رضينا عمرو بن العاص . .

وقال الأشعث : وأولئك القوم الذين صاروا خوارج . . . أنـا قد رضينا بأبي موسى الأشعري .

فقال علي (عليه السلام) : « قد عصيتموني في أول الأمر . . فلا تعصوني الآن . . لا أرى أن أولي أبا موسى » .

فقال الأشعث وزيد بن حصين ، ومسعر بن فدكي : لا نرضى إلّا بأبي موسى ، فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه .

قال علي (عليه السلام) : « فإنه ليس بثقة ، قد فارقني ، وخذل الناس عني ـ بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل ـ ثم هرب مني حتى أمنته بعد أشهر » .

ثم قال (عليه السلام) : « ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك . . قالوا : لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس . . . لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواءً » .

قال (عليه السلام) : « فإني أجعل الأشتر . . . »

قالوا : وهل سعر الأرض ـ بالحرب ـ غير الأشتر ؟

فقال (عليه السلام) : « قد أبيتم إلّا أبا موسى ! »

قالوا : نعم . . .

قال (عليه السلام) : « فاصنعوا ما أردتم » .

فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل القتال بعرض[1] فأتاه مولى له فقال : إن الناس قد اصطلحوا .

فقال : الحمدلله[2] .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد إن علياً (عليه السلام) حينما اختار أهل العراق أبا موسى الأشعري قال لهم :

« ألا وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون ، وإنكم

---

(١) العرض بضم العين المهملة وسكون الراء ، الجانب أو الناحية .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون . وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس[١] بالأمس يقول : إنها فتنة فقطعوا أوتاركم ، وشيموا سيوفكم ، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة[٢] .

فادفعوا عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس ، وخذوا مهل الأيام ، وحوطوا قواصي الكلام . . .

ألا ترون إلى بلادكم تغزى ، وإلى صفاتكم تُرمى ! »

وفي كتاب صفين : جاء أبو موسى الأشعري حتى دخل عسكر علي (عليه السلام) وجاء الأشتر حتى أتى علياً ، فقال له :

يا أمير المؤمنين . . . ألزني[٣] بعمرو بن العاص ، فوالله الذي لا إله غيره لئن ملأت عيني منه لأقتلنه .

وجاء الأخنف بن قيس التميمي ، فقال :

يا أمير المؤمنين أنك قد رُميت بحجر الأرض[٤] ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام . . . وإني قد عجمت هذا الرجل ، يعني أبا موسى ، وحلبت أشطره ، فوجدته كليل الشفرة ، قريب القعر . وأنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ، ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم . فإن شئت أن تجعلني حكماً ، فاجعلني ، فإنه لا يعقد ـ عمرو بن العاص ـ عقدة إلاّ حللتها ، ولن يحل عقدة إلاّ عقدتها ، وعقدت لك أخرى أشد منها .

---

(١) المراد بعبد الله بن قيس : هو أبو موسى الأشعري .

(٢) لعل المراد من قوله (عليه السلام) فإن كان صادقاً بما يرويه من أنها فتنة فقد أخطأ بمسيره إلينا إلى صفين وإن كان كاذباً لزمته التهمة ـ أي بالكذب والتزوير ـ والله العالم .

(٣) الزه به : الزمه إياه .

(٤) ويقال : رمي فلان بحجر الأرض : إذا رمي بداهية من الرجال .

وفي روايــة شرح النهج : وإن شئت أن تجعلني ثــانيــاً . . . أو ثالثاً . . .

فعـرض علي (عليـه السـلام) ذلـك عـلى النـاس ، فـأبـوا . . . وقالوا : لا يكون إلاّ أبا موسى .

وفي الإمامة والسياسية لابن قتيبة : بعد ما ذكر قصـة اختيار أمـير المؤمنـين علي لعبـد الله بن العباس . . . أو الأشـتر ، ورفض الكثـير من أهل العراق ذلك : جاءه الأخنف بن قيس فقال له : يا أمير المؤمنين إن أبا موسى رجل يماني ، وقومه مع معاوية ، فابعثني معـه ، فوالله لا يحـل لك عقدة إلاّ عقدت لك أشد منها ، فإن قلت : إني لست من أصحاب رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) فـابعث ابن عبـاس ، وابعثني معه .

فقال علي : « إن الأنصار والقراء ، أتوني بأبي مـوسى ، فقالـوا : ابعث هذا فقد رضيناه . . ولا نريد سواه . . والله بالغ أمره »

وهكـذا أفلحت حيلة معـاويــة وعمـرو بن العــاص وبلغـا مـع الأشعث بن قيس مــأربهم من الكيـد لعــلي (عليـه الســلام) وتفتيت جيشه ، وأخيراً اتّحد الأشعث مع المنخدعين وأبوا على علي كل مـا أراده لهم من الخير والنصر وأبوا عليه أيضاً : أن يرسل أحـد ثقاتـه المخلصين لـلإسلام للمفـاوضة . فسكت عن حقـه ـ وطالمـا سكت ـ واعطاهـم مـا أرادوا ، وقال بمرارة : والله بالغ أمره .



وقفة تأمل في اختيار الحكمين

حاول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بشتى الوسائل ، وبكل حجة صريحة حمل العصابة الغالية في معارضته على التزحزح عن رأيها في التحكيم ، والرجوع إلى رشدها في انتخاب الحكم - أو المفاوض - الذي سوف يمثل جهتها .

لقد بين لهم (عليه السلام) بكل أناة وهدوء ماضي الأشعري .

قال لهم علي (عليه السلام) : « إنه - أي الأشعري - ليس لي برضى ، قد فارقني ، وخذل الناس عني ، ثم هرب حتى أمنته . لكن هذا ابن عباس أوليه ذلك . . . » .

لكن نار الفتنة كانت قد اشتعلت . . وداء التفرقة قد اشتد واستفحل ، وإذا العصابة المعارضة قد ختم الشيطان على قلب ذويها ، فأصبحت وفي آذانها وقر . . . لا تسمع ولا تعي . . . بل آثرت المضي في ضلالها . وإن أودى بها إلى الخسران . . .

وبكل خشونة وصلافة رفضت هذه العصابة رأي أمير المؤمنين علي المأمون على الدنيا والدين في اختياره لعبد الله بن العباس بقولها :

لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء . . .

- ليت شعري . . هل كان عمرو بن العاص مرشح معاوية هو

من معاوية ومن علي سواء . . ؟!

أم هو التعنت . . . والفساد . . . أو الضلال . . والنكايات . . تحدوها الأهواء والأغراض . . ؟

ـ ليت شعري . كيف سوغت هذا العصابة . أو الفئة الضالة لنفسها أن تقف بوجه أمير المؤمنين علي وهو أميرها ، الواجب عليها إطاعته والإنقياد لأمره والسماع لرأيه . . . وتجبره على إيقاف الحرب أولاً . . . وقبول التحكيم ثانياً . . . وثالثاً . . . تفرض عليه مفاوضاً يكون حكماً من تريده هي ، لا من يريد . . . !

ـ وليت شعري . . . كيف تنكر هذه الفئة الضالة على أميرها أمير المؤمنين (عليه السلام) اختيار مرشحه . . . وتلزمه باختيار مرشح مفاوض يكون حكماً . . . ثم لا تدع له حرية الإختيار ، بل تفرض عليه رجلاً هو أدنى إلى عدوه منه إليه . . . بل هو أدنى إلى خذلانه ! . . . وفي ماضي الأشعري الأسود ما يفصح عن هذا الخذلان وذلك عندما استنهضه أمير المؤمنين علي لحرب أعدائه بالبصرة يوم الجمل حين كان الأشعري على الكوفة والياً . . . حيث لم يتمكن من كبح جماح خذلان الأشعري لعلي إلّا كبش العراق . . مالك الأشتر . . . الذي كان سيفاً من سيوف الله على أعدائه .

ـ وليت شعري . . كيف عميت بصائر هذه الفئة عن الحق الأبلج علي بن أبي طالب فراحت تملي عليه إرادتها وتلزمه بمن تريد . . . بينما قد أباحت لمعاوية بن أبي سفيان اختيار حكم يرتضيه ، حليفة عمرو بن العاص المتآمر معه على حرب علي (عليه السلام) كما أسلفنا .

على أن عمرو بن العاص كان أحرص من معاوية على مطامعه ومطامحه ، وأكثر الناس انغماساً في شأنه إلى أذنيه . . .

ـ وليت شعري . . . كيف عميت بصائر المؤيدين للأشعث بن قيس حين قال لعلي : لا والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة

ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن . . الخ .

ـ وليت شعري . . . هل نسوا أو تناسوا أن معاوية وعمرو بن العاص هما مضريان . . . فكيف جاز لمعاوية أن يختار مضرياً مثله . . ولم يجز لعلي وهو إمام الحق أن يختار مضرياً مثله ؟ ألا وهو عبد الله بن عباس .

ـ وليت شعري . . . هل كانت مضرية ابن عباس هي السبب الحقيقي لرفضهم إياه ؟ .

كلا . . . وألف كلا . . . ولكنهم كانوا على علم بأن ابن عباس سوف يعمل للحق ، وفي سبيل الحق . . . ولا يتمكن عمرو بن العاص أن يكيد له أو يخدعه . .

فابن عباس هو حبر الأمة ومن المخلصين للإسلام والمسلمين العارف بأمور الدنيا والدين .

ـ وليت شعري لماذا لم ترض العصابة الضالة . . بمالك الأشتر عندما رشحه علي (عليه السلام ليكون أحد الحكمين بعد رفضها لابن عباس ؟ مع العلم بأن مالك الأشتر يماني ، كأبي موسى الأشعري . . . وأصرت على عنادها ضده قائلة : وهل نحن إلاّ في حكم الأشتر ؟!

وما كان عنادها وإصرارها على رفض الأشتر مع أنه يمني . . إلاّ لأنه سوف يحملها على ما يرتئيه أمير المؤمنين (عليه السلام) من اتباع سبيل الحق وسلوك الصراط المستقيم ومحاربة الفئة الباغية . فليتأمل المتأمل .



كتاب الإتفاق . . . أو صحيفة الموادعة

لم يتمكن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من رفض طلب ألوف الجنود من جيشه الذين أضلهم التآمر عليهم . . . فصموا آذانهم ولم يسمعوا أو يعوا لمن نصحهم من أن طلب التحكيم خدعة من معاوية وحليفه عمرو بن العاص لما رأيا أن الهزيمة لاحقة بهما .

وبعد الضغط والإلحاح عليه (عليه السلام) بقول التحكيم والإصرار عليه أيضاً على أن يكون أبو موسى الأشعري المفاوض من قبله . . . خشي (عليه السلام) عند ذلك من وقوع الفتنة ، فقال لهم ضجراً من إلحاحهم : « اصنعوا ما أردتم » .

حينئذٍ كان لا بدّ من كتابة صحيفة تتضمن بنود الإتفاق ، وشروط الموادعة ، والمهادنة التي سوف يعمل الطرفان المتقاتلان على طبقها .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم أنه قال :

لما رضي أهل الشام بعمرو بن العاص ، وأهل العراق بأبي موسى[1] أخذوا في تسطير كتاب الموادعة .

(١) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس وأمه امرأة من عك ، واختلف في أنه هل =

« هـذا مـا تقـاضى عليـه عـلي أمـير المؤمنـين ، ومعـاويـة بن أبي سفيان . . . »

فقـال معاويـة : بئس الرجـل أنا إن أقـررت أنه أمـير المؤمنين ثم قاتلته . . .

وقال عمرو بن العاص : بل نكتب اسمه واسم أبيه . . . إنمـا هو أميركم . . . فأما أميرنا فلا . . .

فلما أعيد الكتاب إلى علي بن أبي طالب أمر بمحوه . . .

فقال الأحنف بن قيس : لا تمح اسم أمـير المؤمنين عنـك . . فإني أتخوف أن محوتها ألا ترجع إليك أبداً . . . فلا تمحها .

فقـال علي (عليـه السلام) : إن هـذا اليوم كيـوم الحديبيـة حين كتب الكتاب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

= هـو من مهاجـرة الحبشة أم لا ؟ والصحيـح أنه ليس منهم . قيـل : إنه لم يهاجـر إلى الحبشـة ، وإنما أقبـل في سفينة مع قوم من الأشعـريين ، فرمت الريـح سفينتهم إلى أرض الحبشة ، وخرجوا منها مع جعفر وأصحابه فكـان قدومهم معـاً ، فظن قـوم إنه كان من مهاجرة الحبشة . ولاه عمر بن الخطاب البصرة لما عزل المغـيرة عنها فلم يـزل عليهـا إلى صـدر من خـلافـة عثـمان ، فنـزل أبـو مـوسى الكـوفـة حينئـذٍ ، وسكنهـا فلما كـره أهـل الكـوفـة سعيـد بن العـاص ودفعـوه عنهـا . ولـوا أبـا مـوسى وكتبـوا إلى عثمان ، فأقره على الكوفة ، فلما قُتـل عثمان عـزله عـلي (عليه السـلام عنها ، فلم يزل واجداً للذلك على علي . ثم كان من أمره يوم الحكمين ما كان . هذا مـا ذكره ابن عبد البر في الإستيعاب : ص ٣٧٢ هامش الإصابة .

وفي شرح النهج عن سويد بن غفلة قال : كنت مع أبي موسى على شاطىء الفرات في خلافة عثـمان ، فروى لي خبـراً عن رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه) قال : سمعتـه يقول : « إنّ بني أسرائيل اختلفـوا ، فلم يزل الإختـلاف بينهم ، حتى بعثوا حكمـين ضـالين ، ضـلاّ وأضلاّ من اتبعهـما ، ولا ينفك أمـر أمتي حتى يبعثوا حكمـين يضلان ويُضـلاّن من تبعهما » ، فقلت لـه : إحذر يـا أبـا مـوسى أن تكـون أحـدهمـا قـال : فخلع قميصه ، وقال : ابرأ إلى الله من ذلك ، كـما أبرأ من قميصي هـذا . وروي أنه كـان أبو مـوسى أحد الحكمـين يوم صفـين . . . ولقد صـدقت فيـه نبـوءة رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلقد كان حكماً لأهل العراق فضل وأضل من اتبعه .

« هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . . » .

فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولم أخالفك ، إني إذاً لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله . . . ولكن أكتب : « من محمد بن عبد الله . . » .

فقال لي رسول الله (صلى الله عليه) : « يا علي ، إني لرسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبد الله ، فاكتبها ، وامح ما أراد محوه . . . أما إن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد . . . » .

قال نصر : وقد روي أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى علي (عليه السلام) ، فطلب منه أن يمحو اسمه من أمرة المؤمنين ، فقص عليه وعلى من حضر صلح الحديبية ، وقال : « إن ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين ، واليوم أكتبه إلى أبنائهم ، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً »[1] .

فقال عمرو : سبحان الله أتشبهنا بالكفار ، ونحن مسلمون . . . !

فقال علي (عليه السلام) : « يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين ولياً . . . وللمسلمين عدواً . . . ! »

فقام عمرو ، وقال : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم .

فقال علي : أما والله إني لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك[2] .

وفي رواية : إن الأشعث بن قيس جاء إلى علي فقال : امح هذا الإسم فقال علي (عليه السلام) : « لا إله إلاّ الله والله أكبر . . . سنة

---

(١) وفي كتاب صفين : سنة ومثلاً .

(٢) وفي بعض النسخ يطهر بيتي منك ومن أصحابك .

بسنة . . أما والله لعلى يدي دار هذا الأمر يـوم الحديبيـة حين كتبت عن رسول الله . . . إلى آخر الرواية » .

وفي شرح النهج أيضاً : جاءت عصابـة قد وضعت سيـوفها عـلى عواتقها ، فقالوا : يا أمير المؤمنين مرنا بما شئت . . .

فقـال لهم سهـل بن حنيف : أيهـا النـاس اتهمـوا رأيكم ، فلقـد شهدنا صلح رسول الله (صلى الله عليه) يوم الحديبية ، ولـو نرى قتـالاً لقاتلنا .

وزاد إبـــراهيم بن ديـزيـــل : لقـد رأيتني يـــوم أبي جنـدل ـ يعني الحديبية ـ ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله (صلى الله عليه) لرددته .

وفي شرح النهج : قيل لعـلي (عليه السـلام) حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام : أتقر أنهم مؤمنون مسلمون ؟

فقال علي (عليه السلام) : « مـا أقر لمعـاوية ولا لأصحـابه أنهم مؤمنون . . . ولا مسلمون . . . ولكن يكتب معاوية مـا شاء بمـا شاء ، ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ، ويسمي نفسه بما شاء وأصحابـه . . . » فكتب الكتاب[1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

نـص الكتـاب

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضي معاوية بن سفيان على أهل الشام ومن كان معه من المسلمين ، أننا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه . ولا يجمع بيننا إلّا إياه .

ـ وإن كتاب الله سبحانه وتعالى بيننا ، من فاتحته إلى خاتمته ، نحي ما أحيا القرآن ، ونميت ما أمات القرآن ، فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعناه ، وإن لم يجداه أخذاه بالسنة العادلة غير المفرقة . والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، وقد أخذا الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين أنهما آمنان على أنفسهما ، وأموالهما وأهلهما ، والأمة لهما أنصار ، وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين ، والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه ، مما وافق الكتاب والسنة .

ـ وإن الأمن والموادعة ، ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين ، إلى أن يقع الحكم ، وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ، ليحكمن بين الأمة بالحق . . . لا بالهوى . . وأجل الموادعة سنة كاملة ..

ـ فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه . . . وإن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلاً ، لا يألو الحق والعدل .

وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ، ويحمدون طريقته .

أللهم أنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة . . . وأراد فيها إلحاداً وظلماً .

وفي رواية نصر عن جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات منها :

وإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الموسم ، فالمسلمون على أمرهم الأول في الحرب ، ولا شرط بين الفريقين ، وعلى الأمة عهداً لله وميثاقه على التمام والوفاء بما في هذا الكتاب ، وهم يد على من أراد فيه إلحاداً وظلماً . . . أو حاول له نقضاً . . .

وشهد فيه من أصحاب علي عشرة ، ومن أصحاب معاوية عشرة .

وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صغر سنة سبع وثلاثين .

وفي رواية نصر أيضاً : عن أبي إسحاق الشيباني قال : قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها . في خاتم علي (عليه السلام) . . . محمد رسول الله . وفي خاتم معاوية محمد رسول الله[1] .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : قيل للأشتر : ليكتب فيها ـ الصحيفة ـ فقال :

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦ .
وكتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ كما ذكر ذلك جميع المؤرخين .

لا صحبتني يميني ، ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُط لي في هذه الصحيفة اسم . أولست على بينة من ربي من ضلال عدوي ؟ أولستم قد رأيتم الظفر . . ؟

فقال له الأشعث : والله ما رأيت ظفراً ، هلمّ إلينا لا رغبة بك عنا .

فقال الأشتر : بل والله . . . الرغبة عنك في الدنيا للدنيا ، وفي الآخرة للآخرة . لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت خير عندي منهم ، ولا أحرم دماً . .

فكأنما قصع الله على أنف الأشعث الحمم . . وخرج .

وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين علي موضع الحكمين بدومة الجندل[1] أو باذرح .

وقيل لعلي (عليه السلام) : إن الأشتر لا يقر بما في الصحيفة ، ولا يرى إلاّ قتال القوم ، فقال (عليه السلام) : وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا . . . الخ .

ثم قال (عليه السلام) : وأما الذي ذكرتم من تركه أمري - يعني الأشتر - وما أنا عليه ، فليس من أولئك . . فلست أخاف على ذلك . . .

ثم قال (عليه السلام) : يا ليت فيكم مثله - أي مثل الأشتر - اثنين .

يا ليت فيكم مثله واحداً . . . يرى في عدوي ما أرى ، إذاً

---

(١) الذي في تاريخ الطبري : أنهما يجتمعان في دومة الجندل في شهر رمضان فإذا لم يجتمعا لذلك اجتمعا باذرح من العام المقبل .

لخفّت علي مؤنتكم ، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم ، وقد نهيتكم فعصيتموني .

والله . . . لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة . . . وأسقطت منة . . . وأورثت وهناً وذلة . . .

ولما كنتم الأعلين ، وخاف عدوكم الإجتياح ، واستحر بهم القتل ، ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف ، فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب ، ويتربصوا بكم المنون . . خديعة ومكيدة . . .

فاعطيتموهم ما سألوا ، وأبيتم إلّا أن تدهنوا وتجيروا . . .

وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد . . ولا تصيبون باب الحزم[1] .

ولما كتبت الصحيفة أو رقعة التحكيم وشهد عليها الشهود من الفريقين المتباينين ، فريق حقق هدفه ونال مأربه من إيقاف القتال ، وفريق وهم الصفوة المختارة من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كانت في قلوبهم حسرة ، وفي حلوقهم مرارة لأنهم أكرهوا على ذلك .

أخذ الأشعث بن قيس الصحيفة وراح يتلوها على الأجناد فرحاً مسروراً قد بدت على وجهه ثورة الظافر وكأنما قد ملك مفاتيح المجد . . . وحق له ذلك إذ أن مؤامرته الدنيئة التي عقد عليها العمل بالخفاء مع معاوية وعمرو بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان قد نجحت : منها : هو الآن قد استمال الكثيرين من جيش أمير المؤمنين علي . . . من أهل اليمن ، ودعاة الهدنة ، والمخدوعين ، وكل منافق ، وأصحاب الدنيا الذين تخايلهم بها رجها ، وكل من نهكتهم الحرب ، وأفزعتهم الدماء .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٦٣ .

التحذير لِأبي موسى الأشعري

لما انتهى الأمر بتعيين أبي موسى الأشعري حكماً عن أهل العراق ، وعمرو بن العاص حكماً عن أهل الشام . . . ولم يبق للمؤمنين المخلصين للرد على ذلك مناص ولا حيلة . . . بل ألجئوا إلى الأذعان والقبول . . .

عند ذلك سارع بعض أهل الرأي والحكمة إلى أبي موسى قبل سفره ـ إلى مكان المفاوضة الذي اتفق عليه ـ يحذرونه مغبة الأمر الذي أنيط به إن تنكب طريق العدل واتبع هواه . . .

توجهوا إليه ، باذلين له النصيحة . . . عاملين الجهد في حمله على التبصر والروية . . . لعلمهم أنه ليس بثقة ولا بمؤتمن . . . فطالما تنكر لقضايا أمير المؤمنين علي المحقة وأولاها ظهره . . . وصحيفة ماضيه التي تشف عن نواياه الخبيثة تجاه إمام الحق (عليه السلام) ليست بخافية . . . وموقفه من تثبيط الناس في الكوفة عن محاربة الناكثين بالبصرة ، وتخذيله عن نصرة الإمام علي في قصة حرب الجمل أمر لا ينكر .

لذلك تخوفوا منه الإنحراف . . . واتباع الهوى . . . والوقوع في شرك مكائد عمرو بن العاص . . . فجاؤا إليه يحذرونه من الخديعة طالبين منه التبصر والروية .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن المدائني[1] أنه قال : لما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى ، واحضروه للتحكيم على كره من علي (عليه السلام) ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس وإشرافهم فقال له :

يا أبا موسى . . . إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تُشارَك فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والإنصار ، والمتقدمين قبلك ! . . . ولكن أهل العراق أبوا إلاّ أن يكون الحكم يمانياً ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمان . . .

وايم الله . . إني لأظن ذلك شراً لك . . . ولنا . . . فإنه قد ضُم إليك داهية العرب - عمرو بن العاص - وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة ، فإن تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه ، وأن يطمع باطله في حقك يدرك حاجته منك . . .

واعلم يا أبا موسى . . . إن معاوية طليق الإسلام ، وإن أباه رأس الأحزاب ، وإنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق . . . استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب ، يحميه ما يشتهي ، ويوجره ما يكره - بل كان يسيره عمر كما يريد - .

ثم استعمله عثمان برأي عمر ، وما أكثر من استعملا ممن لم يدع الخلافة .

واعلم يا أبا موسى إن لعمرو مع كل شيء يسرك خبيثاً يسوءك . . ومهما نسيت فلا تنسى أن علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر ،

---

(١) المدائني هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، صاحب التصانيف الكثيرة ، وأخبار القبائل والخلفاء والفتوح ، والمغازي وغيرها توفي سنة ٢١٥ .

راجع الفهرست لابن النديم : ج ١ ص ١٠٤ وحاشية شرح نهج البلاغة .

وعمر ، وعثمان ، وأنها بيعة هدى ، وأنه لم يقاتل إلاّ العاصين ، والناكثين . . .[1] .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن الجرجاني قال : لما أراد أبو موسى الأشعري المسير ، قام شريح بن هاني فأخذ بيد أبي موسى فقال :

يا أبا موسى . . . إنك قد نصبت لأمر عظيم ، لا يجبر صدعه ، ولا يستقال فتقه ، ومهما تقل شيئاً لك أو عليك . . . يثبت حقه ويزول باطله . . .

وأنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاوية . . . ولا بأس على أهل الشام إن ملكها علي . . . وقد كانت منك تثبيطة أيام قدمت الكوفة . . . فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقيناً . . . والرجاء منك يأساً ، ثم قال :

أبا موسى رميت بشر خصم ... فلا تضع العراق فدتك نفسي
واعط الحق شامهم وخذه ... فإنّ اليوم في مهل كأمس
ولا يخدعك عمرو إن عمراً ... عدو الله مطلع كل شمس
له خدع يحار العقل فيها ... مموهة مزخرفة بلبس

وفي كتاب صفين أيضاً : كان آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس . .

أخذ الأحنف بيد أبي موسى ، ثم قال له : يا أبا موسى . . اعرف خطب هذا الأمر ، واعلم أن له ما بعده ، وإنك إن أضعت العراق ، فلا عراق . . . فاتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك . . . وإذا لقيت عمرواً غداً ، فلا تبدأه بالسلام ، فإنها وإنْ كانت سنة الأمة ، إلاّ أنه ليس من أهلها . . . ولا تعطه بيدك ، فإنها أمانة . . . وإياك أن يقعدك على صدر الفراش ، فإنها خدعة . . . ولا تلقه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٤٦ ط دار إحياء التراث العربي/ بيروت .

وحـده . . . واحـذره إن يكلمـك في بيت فيـه مخدع تخبأ فيـه الـرجال والشهود .

ثم أراد الأحنف أن يشور ـ يختبر ـ ما في نفس أبي موسى لعلي ، فقال له : فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي ، فخيره أن يختار أهل العراق من قريش الشام من شاؤا . . . أو فليختر أهل الشام من قريش العراق من شاؤا . .

قال أبو موسى : قد سمعت ما قلت . . . ولم يتحاش لقول الأحنف . .[1] . فرجع الأحنف ، فأتى علياً فقال :

يا أمير المؤمنين اخرج والله أبو موسى زبدة سقائه في أول مخضة . . . لا أرانا إلاّ بعثنا رجلاً لا ينكر خلعك . . .

فقال علي (عليه السلام) : « يا أحنف . . . إن الله غالب على أمره . . . »

وفشا أمر الأحنف ، وأبي موسى في الناس . فجهز الشني[2] راكباً ، فتبع به أبا موسى بهذه الأبيات :

أبا موسى جزاك الله خيراً ... عراقك أن حظك في العراق
وإن الشام قد نصبوا إماماً ... من الأحزاب معروف النفاق
وإنا لا نزال لهم عدواً ... أبا موسى إلى يوم التلاق
فلا تجعل معاوية بن حرب ... إماماً ما مشت قدم بساق
ولا يخدعك عمرو إن عمراً ... أبا موسى تحاماه الرواق
فكن منه على حذر وانهج ... طريقك لا تزل بك المراقي[3]

وفي شرح النهج عن البلاذري[4] في كتاب أنساب الأشراف أنه

---

(١) وفي رواية شرح النهج : ولم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن علي .

(٢) الشني الشاعر : من أصحاب علي (عليه السلام) ، واسمه بشر بن منقذ ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين .

(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٤) البلاذري : هو أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، صاحب كتاب البلدان ، =

قال : قيل لعبد الله بن عباس : ما منع علياً أن يبعثك مع عمرو بن العاص يوم التحكيم . . . ؟

فقال عبد الله بن عباس : منعه حاجز القدر . . . ومحنة الإبتلاء . . وقصر المدة . . . أما والله لو كنت ، لقعدت على مدارج أنفاسه . . . ناقضاً ما أبرم . . ومبرماً ما نقض . . . أطير إذا أسفَّ[1] ، وأسفُّ إذا طار . . . ولكن قد سبق قدر . . . وبقي أسف . . . ومع اليوم غد . . . والآخرة خير لأمير المؤمنين[2] .

وبعث أيمن بن خزيم الأسدي[3] وهو معتزل لمعاوية بهذه الأبيات ، وكان هواه أن يكون هذا الأمر لأهل العراق فقال :

لو كان للقوم رأي يعظمون به	بعد الخطار رموكم بابن عباس
لله ردّ أبيه أيما رجل	ما مثله لفصال الخطب في الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن	لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس
أن يخل عمرو به يقذفه في لجج	يهوى به النجم تيساً بن أتياس
أبلغ لديك علياً غير عائبه	قول امرىءٍ لا يرى بالحق من باس
ما الأشعري بمأمون أبا حسن	فاعلم هديت وليس العجز كالراس
فاصدم بصاحبك الأدنى زعيمهم	إن ابن عمك عباس هو الآسي

= وأنساب الأشراف ، توفي سنة ٢٧٩ . الفهرست ١١٣ ومعجم الأدباء - ٩ ٨٥ راجع حاشية شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ؛ ج ٢ ص ٢٤٦ .

(١) أسف الطائر : دنا من الأرض .

(٢) شرح نهج البغلاة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٣) ذكره الشيخ في رجاله : في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : أيمن بن خزيم ابن فاتك الأسدي وفي الإستيعاب أسلم يوم الفتح وهو غلام يفاع .



رجوع أمير المؤمنين علي من صفين

بعد الإتفاق والموادعة . . وتعيين الحكمين . . وكتابة صحيفة الإتفاق وذلك في صفر سنة ٣٧ للهجرة ، وعين الأجل في شهر رمضان لثمانية أشهر يلتقي الحكمان بدومة الجندل . . . أقبل الناس على قتلاهم يدفنونهم . ويتجهزون للعودة إلى بلادهم . .

روى نصر بن مزاحم عن عبد الرحمن بن جندب، قال: لما أقبل علي (عليه السلام) من صفين أقبلنا معه فأخذ طريقاً غير طريقنا الذي أقبلنا فيه . . .

فقال علي : « آيبون . . عائدون . . . لربنا حامدون . .

اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب . . وسوء المنظر في المال والأهل . . » .

قال ـ عبد الرحمن ـ : ثم أخذ بنا علي (عليه السلام) طريق البر ، على شاطىء الفرات ، حتى انتهينا إلى هيت[1] ، وأخذنا على

---

(١) سُميت هيت لأنها في هوة من الأرض . وذكر أهل الأثر أنها سميت باسم بانيها وهو هيت بن سبندي بن مالك ، بن دعر بن بويب بن عنقا بن مدين بن إبراهيم (عليه السلام) . =

صندوداء[1] ، فخرج الأنماريون بنو سعيد بن حزيم ، واستقبلوا علياً ، فعرضوا عليه النزول ، فلم يقبل . . . فبات بها . ثم غدا وأقبلنا معه حتى جزنا النخيلة[2] ورأينا بيوت الكوفة . . . فإذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض ، فأقبل إليه علي ونحن معه ، حتى سلم عليه وسلمنا عليه ، فرد رداً حسناً .

فقال له علي (عليه السلام) : بعدما سأله عن اسمه وعشيرته : فقال : إسمي صالح بن سليم

« أخبرني يا عبد الله ـ يا صالح ـ ما يقول الناس فيما بيننا وبين أهل الشام ؟

قال صالح : منهم المسرور ، فيما كان بينك وبينهم . . . وأولئك أغنياء الناس . . ومنهم المكبوت الأسف لما كان من ذلك . . . وأولئك نصحاء الناس لك .

ثم مضى (عليه السلام) غير بعيد ، فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري ، فدنا منه وسأله ، فقال : ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا ؟

قال ـ الأنصاري ـ : منهم المعجب به . . . ومنهم الكاره له . . والناس كما قال الله تعالى : ﴿ ولا يزالون مختلفين . . ﴾ .

فقال له : « فما يقول ذوو الرأي . . ؟»

= وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية ـ معجم البلدان لياقوت .

(١) قال ابن الكلبي : سميت صندوداء باسم امرأة ، وهي صندوداء ابنة لخم بن عدي المعجم لياقوت .

(٢) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه علي (عليه السلام) لما بلغه ما فُعل بالأنبار من قتل عامله عليها ، وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة ، وبالنخيلة قتلت الخوارج لما ورد معاوية إلى الكوفة . معجم البلدان لياقوت .

قال : يقولون إن علياً كان له جمع عظيم ففرقه .. وحصن حصين فهدمه ... فحتى متى يبني مثل ما قد هدم ... وحتى متى يجمع مثل ما قد فرق ... !

فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه ، فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك ... إذا كان ذلك هو الحزم ...

فقال علي (عليه السلام) : « أنا هدمت ...؟! أم هم هدموا ..؟!

وأنا فرقت ... أم هم فرقوا ..؟!

وأما قولهم لو أنه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه.. فقاتل حتى يظفر ، أو يهلك إذا كان ذلك هو الحزم ... فوالله ما غفلت عن ذلك الرأي ... وإن كنت سخي النفس بالدنيا طيب النفس بالموت ...

ولقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين ـ الحسن والحسين ـ قد استقدماني فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة . فكرهت ذلك ، وأشفقت على هذين أن يهلكا ..!»

ثم مضى (عليه السلام) يقطع أحياء الكوفة وسككها حتى مرّ بالشباميّين ـ حي من اليمن[1] فخرج إليه حارب بن شرحبيل الشبامي ، وأقبل يمشي معه وعلي (عليه السلام) راكب ...

فقال له علي : « ارجع ... ووقف .. »

ثم قال له : « ارجع ... فإن مشي مثلك فتنة للوالي ومذلة للمؤمنين » .

---

(١) شبام : حي من اليمن : حي من همدان . وفي الصحاح الشبام حي من العرب . لسان العرب لابن منظور .

ثم مضى علي (عليه السلام) حتى مرّ بالناعطيين[١] فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد ، يقول : ما صنع علي شيئاً . . . ذهب ثم انصرف في غير شيء .

فلما نظر أمير المؤمنين علي إليه . . . أبلس[٢] .

فقال علي : « وجوه قوم ما رأوا الشام العام » ثم قال لأصحابه : « قوم فارقتهم آنفاً خير من هؤلاء . . . » ثم قال :

أخوك الذي إن أجرفتك ملمة[٣] من الدهر لم يبرح لبثك واجما
وليس أخوك بالذي إن تمنعت عليك أمور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة .

---

(١) نسبة إلى ناعط ، لقب ربيعة بن مرشد أبو بطن من همدان . وأصله اسم جبل بصنعاء .

(٢) أبلس : انكر وحزن وتحير في أمره . المنجد في اللغة .

(٣) جرض : غص ، وجهد ، واغتم . والجريض : الشديد الهم وقال زيد بن كثوة : أنه يقال عند كل أمر كان مقدوراً عليه فحيل دونه . لسان العرب لابن منظور .

إجتمـــاع الحكمـين

ذكر الطبري في تاريخه : في سنة ٣٧ للهجرة كان إجتماع الحكمين بدومة الجندل ، قال أبـو مخنف : حدثني المجـالد بن سعيـد عن الشعبي عن زيـاد بن النظر الحـارثي . إن علياً (عليـه السـلام) بعث أربعـمائـة رجـل عليهم شريـح بن هـانىء الحـارثي ، وبعث معهم عبـد الله ابن عباس ، وهو يصلي بهم ويلي أمورهـم ، وأبو موسى الأشعري معهم .

وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجـل من أهل الشـام ـ حتى توافوا بدومة الجندل ـ باذرح .

قـال ـ أبـو مخنف ـ : فكـان معـاويـة إذا كتب إلى عمـرو ـ جـاء الرسول ، وذهب لا يـدري بما جـاء به . . . ولا بمـا رجع بـه . . . ولا يسأله أهل الشام عن شيء . . .

وكان إذا جاء رسول علي إلى ابن عباس فسألـوه ما كتب بـه إليك أمير المؤمنين ؟ . . . فإن كتم . . . ظنوا بـه الظنـون ، فقالـوا : ما نـراه كتب إلا بكذا . . . وكذا . . .

فقال ابن عباس : أما تعقلون ، أما ترون رسول معـاوية يجيء لا يُعلم بما جاء به ، ويرجع لا يُعلم ما رجع به . . . ولا يُسمع لهم صياح ولا لغط . . . وأنتم عند كل يوم تظنون الظنون . . .

وذكر المسعودي في تاريخه : إنه في شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثين للهجرة التقى أبو موسى وعمرو ـ بدومة الجندل ـ فقال عمرو لأبي موسى : تكلم وقل خيراً . . .

فقال أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو . . .

فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة لسنك ، وصحبتك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت ضيف . . .

فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر الحدث الذي حل بالإسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو . . . هلم إلى أمر يجمع الله به الألفة ، ويلم الشعث ، ويصلح ذات البين ؟ . .

فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن للكلام أولاً وآخراً ، ومتى تنازعنا الكلام خطباً لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله ، فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا . فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلامه فكتب الغلام :

بسم الله الرحمن الرحيم . . هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان . . . وبدأ بعمرو . . . فقال له عمرو : لا أم لك . . أتقدمني قبله ، كأنك جاهل بحقه . . . فبدأ باسم عبد الله بن قيس . . .

أقول : وهنا يبدأ عمرو في نصب شراك الخديعة وحبكها جيداً ليضع أبا موسى فيها . . فأملى على غلامه بكتابة صحيفة طويلة . . . فتطرق فيها من خلافة أبي بكر إلى عمر . . . إلى عثمان . . ومقتله . . . وإلى وليه . . و المطالب بدمه . تمهيداً لمعاوية .

فقال أبو موسى وقد ملّ الإطالة : هذا أمر قد حدث في الإسلام ، وإنّما اجتمعنا لغيره ، فهلم إلى أمر يصلح الله به أمر أمة محمد .

قال عمرو : وما هو ؟

قال أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وإن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً ، فهلم نخلعهما جميعاً ، ونستخلف عبد الله بن عمر . . . ؟ وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب على بنت أبي موسى .

قال عمرو : أيفعل ذلك عبد الله بن عمر ؟

قال أبو موسى : نعم . . . إذا حمله الناس على ذلك فعل .

فعمد عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى فصوبه ، وقال له : هل لك في سعد بن أبي وقاص ؟

قال له أبو موسى : لا . . فعدد له عمرو جماعة . . . وأبو موسى يأبى ذلك إلاّ ابن عمر . . .

ويستمر عمرو في حبك شراك خديعة لأبي موسى الأشعري . . فأخذ عمرو بن العاص الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعاً .

وقال عمرو لأبي موسى : أرأيت إن رضي اهل العراق بعبد الله بن عمر ، وأباه أهل الشام . . . أتقاتل أهل الشام ؟ . .

قال أبو موسى : لا . .

قال عمرو : فإن رضي أهل الشام ، وأبا أهل العراق . . . أتقاتل أهل العراق ؟

قال أبو موسى : لا . . .

قال عمرو : أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر والخير للمسلمين ، فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا معاً وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلفه . .

فقال أبو موسى : بل أنت قم فاخطب فأنت أحق بذلك . . .

قال عمرو : ما أحب أن أتقدمك ، وما قولي وقولك للناس إلاّ قول واحد ، فقم راشداً .

وأتم عمرو الخديعة على أبي موسى حيث قدمه ، وعظمه وبجله وأخيراً ضرب له على الوتر الحساس وهو الموافقة على تعيين عبد الله بن عمر مرشح أبي موسى وصهره .

انخدع أبو موسى بكلام عمرو وانطلت عليه الحيلة فقام وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله : أيها الناس ، أنا قد نظرنا في أمرنا ، فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ، ولمّ الشعث ، وحقن الدماء ، وجمع الألفة ، خلعنا علياً ومعاوية . . . وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه ، ثم أهوى إلى عمامته فخلعها . واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه ، وصحب أبوه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فبرّز في سابقته وهو عبد الله بن عمر ، واطراه ورغب الناس فيه ، ثم نزل .

فقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس - الأشعري - قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني قد خلعت علياً معه وأثبت معاوية عليّ وعليكم . . .

فقال أبو موسى : كذب عمرو ، لم نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا معاوية وعلياً معاً . . .

فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس . . . قد خلع علياً ، ولم أخلع معاوية .

فقال أبو موسى : ما لك لا وفقك الله ، غدرت . . . وفجرت ؟! إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً . . .

فقال له عمرو : بل إياك يلعن الله ، كذبت وغدرت . . . إنما مثلك مثل الكلب أن تحمل عله يلهث أو تتركه يلهث . . . ثم ركل أبا موسى فألقاه لجنبه . .

فلما رأى ذلك شريح بن هانيء قنّع عمرواً بالسوط ، وتحول أبو

موسى فاستوى على رحلته ، ولحق بمكة ، ولم يعد إلى الكوفة .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي أنه : لما أراد عمرو بن العاص التوجه إلى دومة الجندل ، قال له معاوية : « إنك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأي . . . فلا ترمه بعقلك كله . . .

وفي دومة الجندل . . . أُخلي لهما مكان ـ لعمرو ولأبي موسى ـ يجتمعان فيه . فامهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام . . . ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشتهيه بها . حتى إذا استبطن أبو موسى ناجاه عمرو ، فقال له :

يا أبا موسى أنك شيخ أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذو فضلها ، وذو سابقتها ، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأمة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها . . فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة فيحقن الله بك دماءها . . . فإنه يقول في نفس واحدة : « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » ، فكيف بمن أحيا أنفس هذا الخلق كله ؟!

قال أبو موسى : وكيف ذلك ؟

قال عمرو : تخلع أنت علي بن أبي طالب ، واخلع أنا معاوية بن أبي سفيان ، ونختار لهذه الأمة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة ، ولم يغمس يده فيها . .

قال له أبو موسى : ومن يكون ذلك ؟

وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبي موسى في عبد الله بن عمر ، فقال له : عبد الله بن عمر . . .

فقال أبو موسى : أنه لكما ذكرت ، ولكن كيف لي بالوثيقة منك ؟

فقال له ـ عمرو ـ : يا أبا موسى ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى .

ثم لم يُبق عمرو بن العاص عهداً ولا موثقاً ، ولا يميناً مؤكدة حتى

حلف بها . . . حتى بقي الشيخ مبهوتاً . . . وقد انطلت عليه خديعة عمرو وصدق بها -

فقال له : قد أجبت . . .

فنودي في الناس بالإجتماع إليهما . . . فاجتمعوا .

فقال له عمرو : قم فاخطب الناس يا أبا موسى .

فقال أبو موسى : قم أنت اخطبهم .

فقال عمرو : سبحان الله ! أنا أتقدمك وأنت شيخ أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والله لا فعلت أبداً . . .

قال أبو موسى : أو عسى في نفسك أمر ؟

فزاده عمرو إيماناً وتوكيداً ، حتى قام الشيخ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، أني قد اجتمعت أنا وصاحبي على أن أخلع أنا علي بن أبي طالب ، ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان ، ونجعل هذا الأمر لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يحضر في فتنة ، ولم يغمس يده في دم امرىءٍ مسلم .

ألا وإني قد خلعت علي بن أبي طالب كما أختلع سيفي هذا ، ثم خلع سيفه من عاتقه ، وجلس وقال لعمرو : قم . .

فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إنه كان من رأي صاحبي ما قد سمعتم ، وأنه قد أشهدكم أنه خلع علي بن أبي طالب كما يخلع سيفه . . وأنا أشهدكم أني قد أثبت معاوية بن أبي سفيان كما أثبت سيفي هذا وكان قد خلع سيفه قبل أن يقوم إلى الخطبة فأعاده على نفسه .

فاضطرب الناس ، وخرجت الخوارج ، وقال أبو موسى لعمرو : لعنك الله . . فإنّ مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

قـال عمـرو ـ لأبي مـوسى ـ : لعنـك الله . . . فـإن مثلك كمثـل الحمار يحمل أسفاراً[1] .

هـذا ما كـان من أمر الحكمـين أبي مـوسى الأشعـري وعمـرو بن العاص . . .

لكن اختلفت الروايات فبعضها يذكـر أن الذي اقترح خلع . . . عـلي . . . (عليـه السـلام) . . . ومعـاويـة هـو أبـو مـوسى الأشعـري ـ مندوب أهل العراق ـ

وبعض الروايات تذكر أن الذي اقترح الخلع هو عمرو بن العاص كما ذكرنا آنفاً من رواية صاحب العقد الفريد .

وعلى كل حـال سواء كـان المقترح للخلع والتنحيـة هو عمـرو بن العاص . . . أم هو أبو موسى الأشعري فإن كـلا الرجلين لم يكن أحـدهما ليضمـر خيراً في نفسـه لعلي (عليـه السـلام) . . . إذ بمجـرد أن اقـترح أحدهما الخلـع وافقه الثاني على ذلك . .

أما أبو موسى فقد ظلمه الهوى . . . واستـدرجه الغـرور . . فأراد أن يفوز بالخلافة صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب . علاوة على مـا في نفسه من الحقد على علي (عليه السلام) .

وأما عمرو بن العاص مندوب معاوية وأهل الشام فمواقفه السيئـة من الإسلام معروفة وحقده على علي لا ينكر . وخصوصاً بعد ما اشترى معاوية ولاءه بولاية مصر طعمة إذا استتب لهما الأمر .

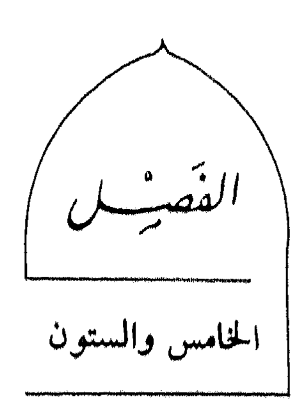
ومهـما اختلفت الـروايـات والعبـاراة في قصـة اتفـاق الحكمـين فالمضمون واحد . . .

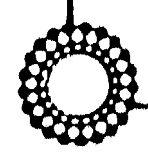
وعلى كل حال فإنّ الحكمين لم يكن عملهما إلّا خـالصاً للدنيـا ولم يكن للآخرة عندهم نصيب .

---

(١)العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : ج ٤ ص٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

ولا يسعنا إلّا القول : إن نتيجة التحكيم كانت ضربة قاسية على المسلمين إذ جرت عليهم الويلات ومزقت صفوفهم وقد سجل التاريخ على صفحاته لمعاوية وعمرو بن العاص سجلاً أسوداً مملوءاً بالغدر والخداع ، والزيغ ، والضلال .


الفصل
الخامس والستون





قصــة الخـوارج

لا يسعنـا ونحن نذكـر وقعة صفـين وما رافقهـا من وقائـع ، ومـا تـلاهـا من أحـداث . . . إلاّ التعـرض والبحث في أمـر العصـابـة التي انشقت عن جيش أمـير المؤمنـين عـلي (عليـه السـلام) في صفـين ، وانحـازت عنه إلى حـروراء ـ قريـة قرب الكـوفة ـ في طـريق عودتـه إلى الكـوفـة . . . وبعـد ذلـك خـرجت عليـه تحـاربـه . . . فمن هي هـذه العصابة المنشقة . . . ؟

ومن هي هذه العصابة الخارجة على إمام زمانها وخليفة رسول الله علي ؟

ومن هي هـذه العصابـة التي أعلنت العصيان عـلى أمـير المؤمنـين وخليفة المسلمين بعد أن بايعته بالخلافة طائعة مختارة . . . ثم ثارت عليه تحاربه . . . ؟

. . . إنها هي الفئة المارقة . . .

إنهم الخوارج الذين لقبوا بالحرورية نسبة إلى حروراء القـرية التي انحـازوا إليهـا . . . وأعلنـوا العصيـان فيهـا . . . ومنهـا خـرجـوا لمحاربته . . .

الخوارج قوم كـانوا مـع علي أمـير المؤمنين ، ومن جملة المقـاتلين ،

الذين خرجوا معه إلى صفين لحرب معاوية بن أبي سفيان وأتباعه . . . القاسطين . . .

والخوارج هم من جملة القراء ، والمتعبدين . . . الذين أطلق عليهم ـ لقب أصحاب الجباه السود . . . لكثرة سجودهم .

والخوارج هم المارقون الذين وصفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : « قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . . »

والخوارج هم من جملة القراء الذين تحدث عنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال : يتلون القرآن لا يتجاوز تراقيهم » .

والخوارج هم الحرورية . . تلك الطائفة أو العصابة الغالية في مشاقها . . . وهم الذين التوى بهم تفكيرهم ، فانحازوا عن جادة الصواب ، وسلكوا طريق الضلال . . .

والخوارج هم الذين انتفضوا يأبون التحكيم يوم صفين وصاحوا :

. . . لا حكم إلّا لله . . . كلمة حق يراد بها باطل .

أليس هم الذين بالأمس أرادوا التحكيم . . . حتى أجبروا أمير المؤمنين علي على قبوله . . . ؟!

أليسوا هم الذين أغرقوا في التعسف على حمل أمير المؤمنين لإيقاف القتال وإصدار أمره لقائده الباسل مالك الأشتر بالرجوع عن القتال بعد أن كان النصر يرفرف فوق لوائه . . . وبعد أن كان مالك على أبواب فسطاط معاوية .

فالعجب كل العجب كيف استمرأت عقول الخوارج أن تخالف أمير المؤمنين وتعصيه بعد أن بايعته ، وخرجت معه تحارب الفئة الباغية . . . معاوية وأتباعه ففيم خروجها عليه حين مرجعها . . . ؟!

وأي الأمور تنكرها عليه . . ؟! وكان الأحرى بها أن تبدي له من ندمها وتوبتها عما فرط منها في صفين . . . من اغترارها بقول المنافقين وأهل الأهواء والأغراض من أعدائه لحمله على وقف القتال . . . وقبول التحكيم .

أجل . . فالخوارج تقبلوا التحكيم ، وغالوا في تقبله حتى أجبروا علياً على قبوله كما أسلفنا .

وها هم بعد ذلك يأبون التحكيم . . ويخرجون على إمامهم أمير المؤمنين ومن بين هذين الموقفين ، فرخت الفتن ، وجرت على المسلمين الحروب والويلات في أزمنة شتى .

استحدث الخوارج نظاماً جديداً ، قادهم إليه تفكيرهم الخاطىء . . فإنهم بعد وثيقة التحكيم أدركوا أنهم قد أخطأوا في إيقاف القتال ، وبان لهم أن التحكيم الذي أرادوه وأصروا عليه ، هو خطأ كبير لا يمحوه إلاّ العودة إلى القتال . . . وقد نسوا أو تناسوا أنهم هم الذين ارتكبوا ذنباً عظيماً بانشقاقهم إذ فتحوا ثغرة أدت إلى تفريق الجيش العراقي وتشتيته .

ومن غبائهم ، وسوء تفكيرهم ، وعنادهم ذهبوا إلى علي (عليه السلام) يطلبون منه العودة إلى القتال ونقض التحكيم . . .

ومن غبائهم أيضاً أنهم نسوا إلى أن التحكيم لا يمكن الرجوع عنه لأسباب عدة أهمها . . . إن صحيفة التحكيم كتبت ، وختمت من الطرفين وأعطى الفريقان العهود والمواثيق على العمل بما فيها . . . وأنه لا يمكن نقضها والرجوع إلى القتال إلاّ بعد انقضاء مدة الأجل وعدم العمل بالشروط المدونة فيها . . .

وعلى هذا كان جواب أمير المؤمنين علي لهم : « قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا . . . وقد قال الله عز وجل : ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان**

بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً أن الله يعلم ما تفعلون ﴾[1] .

روى الطبري في تاريخه : إن علياً (عليه السلام) لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج وهما زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فقالا له : لا حكم إلاّ لله . . وقال حرقوص : تب من خطيئتك يا علي ، وارجع عن قضيتك وأخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا . . .

قال علي (عليه السلام) : « قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عهوداً . . . الخ » .

فقال حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه . .

« فقال علي (عليه السلام) : ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف من الفعل وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه » .

وقال زرعة : أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله قاتلتك .

فقال علي : « بؤساً لك ما أشقاك كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح » .

ثم أن الخوارج لقي بعضهم بعضاً واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فخطبهم ، فزهدهم في الدنيا وحرضهم ، ثم قال : أخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى كور الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن .

فقال حمزة بن سنان الأسدي : يا قوم أن الرأي م رايتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنكم لا بد لكم من عماد ، وسناد ، وراية تحفون بها ، وترجعون إليها . فولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي . . .

---

(١) سورة النحل : الآية ٩١ .

فبايعوه لعشر خلون من شـوال سنة ٣٧ هجـرية وكـان يقال لـه . . . ذو الثفنات[1] .

ثم اجتمعوا في منزل شريـح بن أوفى العبسي : فقال ابن وهب : اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنقاذ حكم الله .

قال شريح : نخرج إلى المدائن ، فننزلها ونـأخذ بـأبوابهـا ونخرج منها سكانها ونبعث إلى أخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا .

فقال زيد بن حصين : أنكم إن خرجتم مجتمعـين اتبعتم ، ولكن أخـرجوا وحـداناً مستخفـين ، فأمـا المـدائن فـإن بهـا من يمنعكم ولكن سـيروا حتى جسر النهروان ، وتكـاتبوا أخـوانكم . فقـالـوا : هـذا هـو الرأي .

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة يعلمهم ما اجتمعوا عليه ويحثهم على اللحاق بهم . ولما عزمـوا على المسـير ساروا يـوم السبت إلى النهروان[2] .

---

(١) الثفنـات : جمع ثفنة وهي من البعير مـا يقـع عـلى الأرض من أعضـائـه إذا استنـاخ وغلظ . . . يريد أن جبهته لأثر السجود فيها تشبيه الثفنات من البعير .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٥٤ ـ ٥٥ راجع أيضاً الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٠ وغيرهما من كتب التاريخ .



بعض خطب أمير المؤمنين علي بالكوفة لما خرجت عصابة الخوارج

ذكر ابن الأثير في تاريخه : لما خرجت الخوارج من الكوفة ، أتى علياً أصحابه وشيعته ، فبايعوه ، وقالوا :

نحن أولياء من واليت . . وأعداء من عاديت . . فشرط لهم فيه سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . الخ .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي . فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي ، فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلج مسعر بأصحابه . وأقبل يعترض الناس ، وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني . وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر .

فلما خرجت الخوارج ، وهرب أبو موسى إلى مكة وردَّ علي ابن عباس إلى البصرة ، قام علي (عليه السلام) في الكوفة فخطب ، فقال : كما جاء في نهج البلاغة .

« الحمدلله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجليل ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم ، المجرب تورث

الحسرة ، وتعقب الندامة . وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت[1] لكم مخزون رأي لو كان يطاع لقصير أمر[2] فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة . . والمنابذين العصاة . . . حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وظن الزند بقدحه . . فكنت وإياكم كما قال أخوا هوازن : » .

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى
فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد[3]

وفي تاريخ ابن الأثير أيضاً عن علي (عليه السلام) أنه قال بعد الخطبة :

« إلا أن هذين الرجلين ـ هما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ الذين اخترتموهما حكمين » قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، واحييا ما أمات القرآن واتّبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة . . . ولا سنة ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين .

استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام ، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس .

أما بعد فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين ، قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله ، فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا

---

(١) وفي الطبري وابن كثير في البداية والنهاية : ونحلتكم رأي فأبيتم إلاّ ما أردتم .

(٢) هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش وكان حاذقاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته ، فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .

(٣) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده : ج ١ ص ٨٦ .

للقرآن حكماً فبرىء الله ورسوله منها والمؤمنون . . . فإذا بلغكم كتابي هذا ، فاقبلوا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام » .

فكتبوا إليه : أما بعد . . . فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلاّ فقد نبذناك[1] على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

فلما قرأ ـ أمير المؤمنين ـ كتابهم آيس منهم ، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس حتى يلقى أهل الشام ، فيناجزهم . فقام في أهل الكوفة فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد . . . فإنه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هلكة ، إلاّ أن يتداركه الله بنعمته . . فاتقوا الله ، وقاتلوا من حاد الله ورسوله ، وحاول أن يطفىء نور الله فقاتلوا الخاطئين . . الضالين . . القاسطين الذين ليسوا بقراء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى ، وهرقل ، تيسروا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب ـ ويراد بهم أهل بلاد الشام ـ وقد بعثنا إلى أخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله »[2] .

---

(١) وفي تاريخ الطبري نابذناك .

(٢) تاريخ ابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .



من بعض أفعال الخوارج المنكرة

أعلنت العصيان عصابة الخوارج ، واجتمع رأي قوادها على تفجير الثورة والتمرد على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين علي بن أبي طالب . وتواطئوا على المسير إلى المدائن منتجعهم الجديد ، فكان الشيطان لهم قائداً . . . والضلال رائداً فكانوا مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ـ الذين ضل سعيهم في الحياة** الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ـ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** ﴾[1] .

هؤلاء الجهلة الضالون الذين زين لهم إبليس سوء أعمالهم فضلوا وما كانوا مهتدين ، وعاثوا في الأرض فساداً . . فسفكوا الدماء . . . وقطعوا السبل . . واستحلوا المحارم . . وراحوا يؤولون القرآن كلام الله سبحانه حسب أهوائهم المضلة ومفاهيمهم الفاسدة . . .

وقد أخذوا يفعلون أفعالاً ينكرها عليهم الدين الذي تلبسوا به وتستروا بظله . . وينكرها عليهم العرف الإنساني . . وينكرها عليهم العمل بمكارم الأخلاق وخصوصاً أن الإسلام أوصى بمكارم الأخلاق .

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ .

والخوارج بعد أن انشقوا عن جماعة المسلمين لم يفعلوا فعلاً مرضياً أو عملاً يحمدون عليه ، بل سجل لهم التاريخ على صفحاته أفعالاً مشينة ، وأخلاقاً سيئة وأموراً لا يمجها العقل ، وينكرها الوجدان ، وهي مسجلة عليهم حتى قيام الساعة .

جاء في تاريخ الطبري : أن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من أخوانها بالنهر ، فخرجت عصابة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار . . فعبروا إليه ، فدعوه ، فتهددوه ، وأفزعوه وقالوا له : من أنت ؟

قال : أنا عبد الله ابن خباب صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] . ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض ، وكان سقط عنه لما أفزعوه . . .

فقالوا له : أفزعناك . . . ؟

قال : نعم . .

قالوا له : لا روع عليك . . .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أنهم قالوا له : فما سمعت من أبيك يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ . .

قال لهم : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إن طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، يقرءون القرآن ، صلاتهم أكثر من صلاتكم . . . » الحديث .

وفي تاريخ الطبري أيضاً أن عصابة الخوارج قالت لعبد الله بن خباب : ما تقول في علي قبل التحكيم . . . وبعده . . . ؟

قال : إنه أعلم بالله منكم . . . وأشد توقياً على دينه . . . وأنفذ بصيرة .

---

(١) كان عبد الله بن خباب بن الأرث عاملاً لعلي (ع) على المدائن قتله الخوارج ذبحاً .

فقالوا له : إنك تتبع الهوى ، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً . .

فأخذوه . . . فكتفوه . . ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم . . . حتى نزلوا تحت نخل مواقر[1] فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم ، فقذف بها في فمه .

فقال أحدهم : بغير حلها . . . وبغير ثمن ! . . . فلفضها . . . وألقاها من فمه .

ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه ـ وتابع سيره ـ فمر به خنزير لأهل الذمة . . . فضربه بسيفه .

فقالوا له : هذا فساد في الأرض . . . !

فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره .

فلما رأى عبد الله بن خباب ذلك منهم قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى . . . فما علي منكم بأس . . . إني لمسلم ، ما أحدثت في الإسلام حدثاً . . . ولقد آمنتموني قلتم . . . لا روع عليك . . . وكانوا قالوا له ذلك لما لقيهم .

فجاءوا به فاضجعوه ، فذبحوه . . وسال دمه في الماء . .

وأقبلوا إلى المرأة . . فقالت : إني إنما أنا امرأة . . . ألا تتقون الله . . . ؟

فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاثة نسوة من طيء . . وقتلوا أم سنان الصيداوية[2] .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين عن أبي العباس المبرد في

---

(١) أوقرت النخلة : كثر حملها فهي موقرة . المنجد في اللغة .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٦٠ ـ ٦١ .

الكامل أنه قال : الخوارج مضوا إلى النهروان ، فمن طريف أخبارهم ، أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً . فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر ، لأنه على خلاف معتقدهم . واستوصوا بالنصراني . . . وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم .

قال : ونحو ذلك أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة ، فأحس بالخوارج . .

فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا ، ودعوني وإياهم . . . وكانوا قد أشرفوا على العطب .

فقالوا له : شأنك . . .

فخرج إليهم ، فقالوا له : ما أنت وأصحابك ؟

قال واصل قوم مشركون ، مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله ، ويفهموا حدوده .

قالوا : قد أجرناكم . . .

قال واصل : فعلمونا . . . ؟

فجعلوا يعلمونهم أحكامهم . . . ويقول واصل : قد قبلت أنا ومن معي .

قالوا : فامضوا مصاحبين فقد صرتم إخوانا .

فقال واصل : بل تبلغوننا مأمناً ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾[1] .

قال : فينظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ذلك لكم . فساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم المأمن . وبهذا الأسلوب نجا واصل بن

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦ .

عطاء ورفاقه من الخوارج الذين لم يتورعوا عن قتل أي كان على خلاف رأيهم .

وفي البداية والنهاية لابن كثير : لما بلغ الناس هذا من صنيع الخوارج خافوا أن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع . فخافوا غائلتهم وجاءوا إلى علي (عليه السلام) بأن يبدأ بهؤلاء - الخوارج - ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك والناس آمنون من شرهم .

فاجتمع الرأي على هذا . . فأرسل علي إلى الخوارج رسولاً من جهته وهو الحرب بن مرة العبدي ، فقال له :

أخبر لي خبرهم . . واعلم لي أمرهم . . واكتب إلي به على الجلية . .

فلما قدم الحرب بن مرة العبدي على الخوارج . . . قتلوه . . ولم ينظروه .

فلما بلغ ذلك علياً عزم على الذهاب إليهم أولاً قبل أهل الشام[1] .

أقول : هكذا كان فعل الخوارج مع من لا يكون معهم ولا يوافقهم على رأيهم الضال . . . فمن جملة أعمالهم المنكرة قتلهم عبد الله بن خباب بن الإرث صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان عبد الله عامل علي على المدائن قتلوه مع زوجته الحامل بعد أن بقروا بطنها وقتلوا معها جملة من النساء من غير ذنب جنوه أو جريرة اقترفوها .

وهكذا قتل الخوارج الحرب بن مرة العبدي رسول علي (عليه السلام) إليهم إذ أرسله أمير المؤمنين علي ليعلم رأيهم وما هم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٨٦ .

عليه . فقتلوه قبل أن يكلمهم ويسمعوا منه سبب مجيئه .

وقد خالفوا بذلك العرف المعمول به من قديم الزمـان . . والسنة الإجتماعية من أن الرسول لا يقتل .

مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج ومواجهتهم

لما بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن الخوارج أخذوا يعترضون الناس ويفعلون الأفعال المنكرة ، كقتلهم عبد الله بن خباب وامرأته التي بقروا بطنها عن جنينها . . . وقتل ثلاث نسوة من طيء ، وأم سنان الصيداوية وكذلك قتلهم لرسوله إليهم الحرب بن مرة العبدي . . .

وبعد أن طلب منه أصحابه السير إلى الخوارج قائلين سر بنا إلى قتالهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام . . . كان لا بد له (عليه السلام) من تغيير وجهة سيره ، ومواجهة هذه العصابة المنشقة المفسدة في الأرض .

جاء في تاريخ ابن الأثير : لما أجمع علي (عليه السلام) على الخروج إلى الخوارج ، خرج فعبر الجسر ، وسار إليهم ، فلقيه منجّم في مسيره ، فأشار عليه أن يسير وقتاً من النهار ، فقال له : إن أنت سرت في غيره ، لقيت أنت وأصحابك ضراً شديداً . . .

فخالفه علي (عليه السلام) وسار في الوقت الذي نهاه عنه . . .

فلما فرغ من أهل النهر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

لو سرنا في الساعة التي أمر بها المنجم ، لقال الجهال الذين لا

يعلمون شيئاً : سار في الساعة التي أمر بها المنجم . . . فظفر . . .

وكان المنجم هو مسافر بن عفيف الأزدي .

وأرسل علي (عليه السلام) إلى أهل النهروان[1] أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم ، اقتلهم بهم، ثم أنا تارككم وكاف عنكم ، حتى ألقى أهل المغرب[2] فلعل الله يقبل بقلوبكم[3] ، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم .

فقالوا : كلنا قتلهم ، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم . . .

وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة ، فقال لهم : عباد الله ، اخرجوا إلينا طلبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه ، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم ، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك . . . وتسفكون دماء المسلمين !

فقال له عبد الله بن شجرة السلمي : إن الحق قد أضاء لنا ، فلسنا متابعيكم . . .

فقال قيس بن سعد : نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها ، فإني لا أرى الفتنة إلّا وقد غلبت عليكم .

وخطبهم أبو أيوب الأنصاري ، فقال : عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها . . . ليست بيننا وبينكم فرقة . . . فعلّام تقاتلوننا ؟

---

(١) نهروان : وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون ، وهي ثلاثة نهروانات : الأعلى ، والأوسط والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد . وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع الخوارج مشهورة ، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب . معجم البلدان لياقوت .

(٢) في الطبري : حتى ألقى أهل الشام .

(٣) في الطبري : يقلب قلوبكم .

فقالوا : أنا لو تابعناكم اليوم حكمتم غداً . . .

قال أبو أيوب : فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام ، مخافة ما يأتي في القابل .

وأتاهم علي (عليه السلام) فقال : « أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء ، واللجاجة . . . وصدها عن الحق الهوى . . وطمع بها النزق . . وأصبحت في الخطب العظيم[1] إني نذير لكم إن تصبحوا تلعنكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي ، وبأهضام هذا الغائط[2] بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين .

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم أنها مكيدة ، وأن القوم ليسوا بأصحاب دين . . . فعصيتموني . فلما فعلت شرطت ، واستوثقت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ، ويميتا ما أمات القرآن . . . فاختلفا ، وخالفا حكم الكتاب والسنة ، فنبذنا أمرهما ، ونحن على الأمر الأول[3] فمن أين أتيتيم . . ؟!

فقالوا : إنا حكمنا . . . فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا . . . فإن تبت فنحن معك ، ومنك ، وإن أبيت فإنا منابذوك على سواء .

فقال علي (عليه السلام) : « أصابكم حاصب . . . ولا بقي منكم وابر[4] ، أبعد إيماني برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) وفي تاريخ الطبري : وأصبحت في اللبس والخطب العظيم .

(٢) الغائط : المطمئن من الأرض ، المنجد في اللغة .

(٣) وفي تاريخ الطبري : ونحن على أمرنا الأول ، فما الذي بكم ، ومن أين أتيتم .

(٤) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : آبر : وقوله (عليه السلام) « ولا بقي منكم آبر » يروى على ثلاثة أوجه : أحدها : آبر بالراء ، من قولهم : رجل آبر ، للذي يأبر النخل أي يصلحه .

ويروى آثر بالثاء : للذي يأثر الحديث ، أي يرويه ، ويحكيه . كأنه (عليه السلام) قال : لا بقي منكم مخبر : ويروى : آبز - بالزاء المعجمة وهو=

وهجرتي معه ، وجهادي في سبيل الله ، أشهد على نفسي بالكفر . . لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين » ثم انصرف عنهم .

وذكر صاحب شرح النهج ابن الحديد كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى الخوارج : كما ذكر الطبري وابن الأثير . وزاد من أنه قال لهم (عليه السلام) : فأوبوا شر مآب . . وارجعوا على أثر الأعقاب .

أما أنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة » .

وفي تاريخ ابن الأثير أيضاً : أن الخوارج قصدوا جسر النهر بعد أن انصرف علي عنهم وكانوا غرب النهر .

فقال لعلي (عليه السلام) أصحابه : إنهم - أي الخوارج - قد عبروا النهر .

فقال (عليه السلام) : لن يعبروا . . .

فأرسلوا طليعة ، فعاد وأخبرهم أنهم عبروا النهر ، وكان بينه وبينهم عطفة من النهر ، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم ، فعاد ، فقال : أنهم قد عبروا النهر .

فقال علي (عليه السلام) : « والله ما عبروه ، وأن مصارعهم لدون الجسر ، ووالله لا يقتل منكم عشرة ، ولا يسلمْ منهم عشرة » .

وتقدم علي (عليهم السلام) إليهم ، فرآهم عند الجسر لم يعبروه . . . وكان الناس قد شكوا في قوله . . . وارتاب به بعضهم . . .

= الواثب ، والهالك . وفسر الرضي رحمه الله : يجوز أن يريد بقوله (عليه السلام) : « ولا بقي منكم آبر » أي نمام يفسد ذات البين . والمئبرة : النميمة . والآبر أيضاً : من يبغي القوم الغوائل خفية .

فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا . . . وأخبروا علياً بحالهم . . .
فقال (عليه السلام) : « والله ما كذبت ولا كذبت »[1] .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٤ .



قتـال الخـوارج

في البداية والنهاية لابن كثير أنه لما وصل أمـير المؤمنين عـلي بن أبي طـالب (عليه السـلام) إلى النهروان تقـدم إلى الخـوارج ، ووعـظهم ، وخوفهم . وحذرهم ، وأنذرهم ، وتوعـدهم ، وقال : « إنكم أنكـرتم عـلي أمراً أنتم دعـوتموني إليـه ، فنهيتكم عنه ، فلم تقبلوا . . . وهـا أنا وأنتم ، فارجعوا إلى ما خرجتم منه ، ولا ترتكبوا محارم الله ، فـإنكم قد سـولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليـه المسلمين ، والله لـو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟! »

فلم يكن للخـوارج جـواب إلاّ أن تـنـادوا فيـما بـينهـم أن لا تخـاطبـوهم ، ولا تكلمـوهم ، وتهيؤوا للقـاء الـرب عـز وجـل . . . الرواح ، الرواح إلى الجنة . .

أقول : آثر الخوارج الحرب إذ وجدوه برأيهم حلًا لازماً للخـلاف الذي أنشبوه ، فأساليب التفاهم بينهم وبين علي بن أبي طالب وأصحابه قـد تقطعت ، وفكـرة العودة إلى جمـاعة المسلمـين والإنضمام معهم تحت لـواء أمير المؤمنـين عـلي ذابت في غمـرة العنـاد الـذي يجـافي كـل حق ، ومنطق ، وروية . . .

أصروا عـلى تشـددهم وعنـادهم ، فكـان عـلي (عليـه السـلام)

يخاطبهم فلم يسمعوا لقوله . . . ولم يصغوا إلى نصيحته وكأنما كان يخاطب أجساماً بلا عقول .

كان (عليه السلام) يعلم مصيرهم وأن عاقبة أمرهم إلى خسران . . . ولكن من باب الحجة عليهم بقي يعظهم . . ويخوفهم عاقبة الأمور حتى آخر لحظة . . .

لكنهم كانوا لا يفقهون قوله (عليه السلام) وكأنهم سكارى ، إذ غلب على أفئدتهم هواها ، فعميت منهم البصائر ، وخفت منهم الأحلام ، فراحوا يخبطون إلى الهاوية خبط عشواء ، كأنهم معصوبو الأعين . . . وما أكثف العمى الذي يجيء عن تعصب . . . حتى أصبحوا لا يرون إلّا رأيهم ، ولا يسمعون إلّا قولهم ، ولم يزدهم دعاء علي (عليه السلام) وتحذيره إياهم إلّا فراراً فأبوا الإنصياع إلى قوله ، وتنادوا بشعارهم . . الرواح الرواح إلى الجنة .

وفي البداية والنهاية لابن كثير أيضاً : تقدم الخوارج فاصطفوا للقتال ، وتأهبوا للنزال ، وجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي ووقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه .

وعبأ علي (عليه السلام) أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدي ، وعلى الميسرة شبث بن ربعي ومعقلة بن قيس الرياحي ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل المدينة ـ وكانوا في سبعمائة ـ قيس بن سعد بن عبادة .

وأمر علي (عليه السلام) أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن . . . ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن . . . إنه لا حاجة لنا فيكم إلّا فيمن قتل أخواننا . .

فانصرف منهم طوائف كثيرون ـ وكانوا في أربعة آلاف . . .

وقال علي (عليه السلام) لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤكم . . .

وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلاّ لله . . . الرواح الرواح إلى الجنة . . .

فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي . . . واشتدت المعركة .

نهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فأناموا الخوارج ، فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول . . .

وقتل أمراؤهم . . . عبد الله بن وهب ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله السلمي . . . قبحهم الله .

ولم يقتل من أصحاب علي(عليه السلام) إلاّ سبعة نفر . . .

وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول : « بؤساً لكم . . . لقد ضركم من غركم . . . » .

فقالوا له : يا أمير المؤمنين . . . ومن غرهم ؟ .

قال (عليه السلام) : « الشيطان . . . وأنفس بالسوء أمارة ، غرّتهم بالأماني ، وزينت لهم المعاصي ، نبأتهم أنهم ظاهرون » .

ثم أن علياً أمر بالجرحى من بينهم ، فإذا هم أربعمائه ، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم .

وقال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج عن النزال بن سبرة : إن علياً لم يخمس ما أصابه من الخوارج يوم النهروان ، ولكن رده إلى أهله كله ، حتى كان آخر ذلك مرجل ، فأتي به فرده[1] .

أقول : نهج أمير المؤمنين علي (عليه السلام) منهجاً عادلاً رحيماً

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٨٨ .

في جميع معاركه وحروبه ، يتلائم مع مثله العليا وسجاياه من العفو والحلم والصفح . . .

فما فعله مع أهل النهروان ـ الخوارج ـ كان مماثلاً لما فعله مع من حاربه من أهل البصرة يوم الجمل . .

فكما نادى مناديه يوم الجمل : لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً . . . ومن دخل داره فهو آمن . . . الخ .

نجده (عليه السلام) أعطى يوم النهروان راية الأمان لأبي أيوب الأنصاري ، وأمره بأن ينادي : من جاء تحت هذه الراية فهو آمن . . . ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن . . . الخ .

كذلك نجده (عليه السلام) لم يتخذ يوم الجمل من مغانم الحرب لأصحابه شيئاً ، ولم يبح لهم سوى ما وجدوه في المعسكر من سلاح أو كراع . . .

وفي يوم النهروان لم يخمس (عليه السلام) ما أصابه من الخوارج من مغانم بعد انتهاء المعركة . . . بل ردها إلى أهلها . وفي الطبري : وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسمه[1] .

وربّ قائل يقول : لماذا اختلفت معاملة أمير المؤمنين علي مع أهل الشام يوم صفين إذ لم يأمر جيشه بالكف عن المدبر والمنهزم ؟ بل أمر بقتالهم حتى النهاية . . . عكس سيرته مع أهل الجمل والنهروان . . . مع أن الكل له عدو ومحارب . . .

ويأتي الجواب . . . بأن الخوارج وأصحاب الجمل ، كانوا جماعة

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٦٦ قال علي (ع) خذوا ما في عسكرهم من شيء . وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والعبيد ، والإماء فإنه رده على أهله .

أعلنت العصيان والتمرد . . . وليس لها ركن تأوي إليه كسلطان أو أمير تلوذ به بعد الإنهزام ، وتستند عليه لتعود إلى حرب علي في أي لحظة استعادت بها أنفاسها ، وتمكنت من مقاومته وحربه . . . ويختلف الحال مع أهل الشام الذين بايعوا معاوية بن أبي سفيان على حرب علي (عليه السلام) ومناوءته . . . إذ اتخذوا من معاوية ركناً يلجئون إليه .

وفي الوسائل للحر العاملي : عن حفص بن غياث أنه قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الطائفتين من المؤمنين إحداها باغية ، والأخرى عادلة . فهزمت الباغية العادلة . . . ؟ .

قال : ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً ، ولا يقتلوا أسيراً ، ولا يجهّزوا على جريح ، وهذا إذا لم يبق من أهل البغي أحد ، ولم يكن فئة يرجعون إليها . . .

فإذا كانت لهم فئة يرجعون إليها فإن أسيرهم يقتل ومدبرهم يتبع ، وجريحهم يجهز عليه .

وفي الوسائل أيضاً : عن عبد الله بن شريك عن أبيه ، قال : لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : لا تتبعوا مولياً ، ولا تجهزوا على جريح ، ومن أغلق بابه فهو آمن . . .

فلما كان يوم صفين ، قتل المقبل والمدبر ، وأجاز والظاهر : وأجهز على جريح .

فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك : هذه سيرتان مختلفتان !

فقال : إن أهل الجمل . . قُتل طلحة والزبير ، وإن معاوية كان قائماً بعينه ، وكان قائدهم[1] .

ولا يخفى أن أهل الشام يوم صفين كانوا هم الفئة الباغية التي

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٦ ص ٥٥ .
وكلمة ولا تجيزوا ـ على جريح ـ والمراد ولا تجهزوا .

بغت على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحاربته وقتلت عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وعلى هذا كان أهل الشام هم المصداق لقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الطريق » .

وفي الكامل لابن الأثير : قال علي لأصحابه : والله لا يقتل منكم عشرة ، ولا يسلم منهم عشرة .

وفي مروج الذهب للمسعودي أنه كان جملة من قُتل من أصحاب علي (عليه السلام) ـ يوم النهروان ـ تسعة نفر ، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة .

وأتى علي على القوم . . وهم أربعة آلاف ، فيهم المخدج . . ذو الثدية .

مقتل المخدج ذي الثدية[1]

ذكر ابن الأثير في تـاريخه : إن علياً (عليه السـلام) كان يحـدث اصحابه قبل ظهور الخوارج . . . إن قوماً يخرجـون ، يمرقـون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، علامتهم رجل مخدج اليد سمعوا ذلك منـه مراراً .

فلما خرج أهل النهروان سار علي بأصحابه إليهم وكـان منه معهم ما كان ، فلما فرغ أمر أصحـابه أن يلتمسـوا المخدج ، فـالتمسوه فقـال بعضهم : مـا نجـده . . حتى قـال بعضهم : مـا هــو فيهم . . وعـلي يقول : والله أنه لفيهم . . . والله ما كذبت ولا كذبت .

ثم إنه جاء رجل فبشره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد وجدناه .

وقيـل : بل خـرج علي (عليـه السـلام) في طلبـه قبـل أن يبشره لرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريـان بن صبرة فـوجدوه في حفـرة

(١) الخداج النقصان : خدجت الناقة ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام . وكل مشـوه الخلق في أحد أعضائه فهو مخدج . وفي الحديث : كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج أي نقصان : لسان العرب لابن منـظور ، وفي الطبري : إنـه اسمه نـافع وأنـه طالما سمع من علي (عليـه السلام) أن قـوماً يمـرقون من الـدين كما يمـرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد ، وكان نافع يتأفف حين يسمع ذلك من علي .

على شاطىء النهر في خمسين قتيلاً . فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة ،وحلمة عليها شعرات سود ، فإذا مُدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ، ثم تُترك فتعود إلى منكبيه .

فلما رآه علي (عليه السلام) قال : الله أكبر . . ما كذبت ولا كذبت لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله[1] على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم ، عارفاً للحق الذي نحن عليه .

وفي مروج الذهب للمسعودي : قام علي ـ حين لم يعثروا على المخدج ـ وعليه أثر الحزن لفقده ، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض ، فقال : أفرجوا ، ففرجوا يميناً وشمالاً . . . واستخرجوه .

فقال علي (عليه السلام) : الله أكبر ، ما كذبت على محمد . . . وأنه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع ، رؤوسها معقفة .

فقال علي : ائتوني به ، فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه

فثنى علي (عليه السلام) رجله ونزل . . . وخر لله ساجداً . . الخ .

وفي البداية والنهاية لابن كثير : عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : « ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذا الثدية ، فقال :

« شيطان الردهة كراعي الخيل ، يحتذره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب ، علابة[2] في قوم ظلمة » .

(١) في الطبري : بما قضى الله . . . وهو أظهر .
(٢) العلب جمع علوب : المكان الغليظ الذي لا ينبت . ويقال : رجل علبٌ أي جاف وغليظ .

وبلغ سعد بن أبي وقاص أن علي بن أبي طالب قتل الخوارج ، فقال : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة[1] .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد قوله : وفي الصحاح المتفق عليها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينا هو يقسم قسماً جاء رجل من بني تميم ،يدعى ذا الخويصرة ، فقال : أعدل يا محمد . . .

فقال (عليه السلام) : « قد عدلت » .

فقال له الرجل ثانية : أعدل يا محمد . . فإنك لم تعدل . . .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ويلك . . . ومن يعدل إذا لم أعدل . . . ! »

فقام عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ، إئذن لي أضرب عنقه . . .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « دعه . . . فسيخرج من ضئضىء[2] هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر أحدكم إلى نصله فلا يجد شيئاً ، فينظر إلى نضيه فلا يجد شيئاً ، ثم ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث والدم[3] يخرجون على حين فرقة من الناس ، تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم ، وصومكم عند صومهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم .

آيتهم رجل أسود ـ أو قال : أدعج[4] مخدج اليد[5] إحدى يديه

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ج ٧ ص ٢٩٧ .
(٢) ضئضىء هذا : أي من جنس هذا .
(٣) في حاشية شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : قال المبرد : يقال : مرق السهم من الرمية ، إذا نفذ منها ، وأكثر ما يكون ذلك ألا يعلق به من دمها بشيء ، والضمير عائد على السهم والكلام على التشبيه والإستعارة التمثيلية ، ضربه (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلاً لخروجهم من الدين ، لم يعلق بقلوبهم منه شيء .
(٤) الدعج : شدة سواد العين مع اتساعها .
(٥) مخدج اليد : من أخدجه الله إذا قص عضواً منه .

كأنها ثدية امرأة ، أو بضعة تدردر[1] .

وفي بعض الصحاح أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال لأبي بكر وقد غاب الرجل عن عينيه : « قم إلى هذا الرجل فاقتله . . » .

فقام ـ أبو بكر ـ ثم عاد وقال : وجدته يصلي . .

فقال : ـ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ لعمر مثل ذلك .

فعاد عمر وقال : وجدته يصلي . .

فقال : ـ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ لعلي (عليه السلام) مثل ذلك .

فعاد علي فقال : لم أجده .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لو قُتل هذا لكان أول فتنة وآخرها . . . أما إنه سيخرج من ضئضىء هذا قوم . . . » الحديث .

وفي مسند أحمد بن حنبل ، عن مسروق ، قال : قالت لي عائشة : إنك من ولدي ومن أحبهم إلي ، فهل عندك علم من المخدج ؟ .

فقلت : نعم . . . قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لاعلاه تأمّراً[2] ولأسفله النهروان ، بين لخاقيق وطرفاء[3] .

---

(١) تدردر : قال ابن الأثير في النهاية ج ٢ ص ١٩ : تدردر ، أي ترجرج ، تجيء وتذهب ، والأصل تتدردر ، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً .

(٢) تأمرا : بفتح الميم ، وتشديد الراء ، نهر واسع ، ومخرج هذا النهر من جبال شهرزور والجبال المجاورة لها . وقال : هشام ابن محمد : تأمرا والنهروان ابنا جوخي حفرا هذين النهرين فنسبا إليهما . وتأمرا وديالى اسم لنهر واحد ، معجم البلدان لياقوت .

(٣) لخاقيق : جمع لخقوق ، وهو ضيق في الأرض ، والطرفاء شجر واحدته طرفا .

قالت عائشة : أبغني على ذلك بينة ؟

فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك .

قال ـ مسروق ـ : فقلت لها : سألتك بصاحب القبر ، ما الذي سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم .

فقالت : نعم . . سمعته يقول : « إنهم شر الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهم عند الله وسيلة . . . »[1] إلى غير ذلك من الروايات .

أقول : وهكذا انتهت معركة النهروان مع الخوارج وكان علي (عليه السلام) على علم بأنهم هم الفئة المارقة التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكان علي (عليه السلام) على علم أيضاً بدقائق تفاصيل المعركة ونتائجها إذ روى المؤرخون أنه قال لأصحابه قبل بدء القتال :

« والله لا يقتل منكم عشرة . . . ولا ينجو منهم عشرة . . » .

وهكذا كان ، فقد جاءت نتيجة المعركة طبق ما أخبر به (عليه السلام) .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .



رجوع أمير المؤمنين علي إلى الكوفة

ذكر ابن الأثير في تاريخه أنه : لما فرغ علي (عليه السلام) من أهل النهر ـ الخوارج ـ حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« إن الله قد أحسن بكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم بالشام »

قالوا : يا أمير المؤمنين . . . نفذت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً ـ أي قطعاً ـ فارجع بنا إلى مصرنا ، فلنستعد . . . ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا ، فإنه أقوى لنا على عدونا . . .

وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس[1] .

فأقبل علي (عليه السلام) حتى نزل النخيلة فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم .

فأقاموا فيه أياماً . . . ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا ـ الكوفة ـ

---

(١) كل فساد كان في خلافة علي (عليه السلام) وكل اضطراب حدث فاصله الأشعث بن قيس المنافق .

إلّا رجالاً من وجوه الناس ، وتُرك المعسكر خالياً .

فلما رأى ذلك أمير المؤمنين علي ـ دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير . . . وقال لهم أيضاً : « أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدوكم ، ومن في جهاده القربة إلى الله عز وجل ، ودرك الوسيلة عنده ، . حيارى عن الحق ، جفاة عن الكتاب ، يعمهون في طغيانهم ، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله . . . وكفى بالله وكيلاً . . وكفى بالله نصيراً » .

فلم ينفروا . . . ولا تيسروا . . . فتركهم أياماً حتى إذا آيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم . . فسألهم عن رأيهم . . . وما الذي يبطىء بهم ؟ !

فمنهم المعتل . . ومنهم المتكره . . . وأقلهم من نشط . .

فقام (عليه السلام) فيهم فقال : « عباد الله . . . ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثاقلتم إلى الأرض . . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . . . وبالذل والهوان من العز خلفاً . . . ؟!

وكلما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكأن قلوبكم مألوسة[1] وأنتم لا تعقلون فكأن أبصاركم كمه[2] وأنتم لا تبصرون .

لله أنتم . . . ما أنتم إلّا أسد الشرى في الدعة . . . وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس . .

ما أنتم لي بثقة . . . سجيس[3] الليالي . . . ما أنتم بركب يصال به . . !

---

(١) ألس : اختلط عقله ، فهو مألوس ـ المنجد في اللغة .

(٢) كمه : عمي أو صار أعشى وكمه بصره اعترته ظلمة تطمس عليه . المنجد في اللغة .

(٣) سجس الماء : وسجيس كدر متغير ، وسجس المنهل أنتن ماؤه وآجن . ويقال : « آتيك سجيس الليالى أي آخرها ـ وسجيس الليالي والأيام ، أي ابداً ـ لسان العرب لابن منظور .

لعمـر الله . . . لبئس حشاش الحـرب[1] أنتم . . أفكم تكـادون ولا تكيـدون . . . وينتقص أطـرافكم وأنتم لا تتحـاشـون . . ولا ينـام عنكم . . وأنتم في غفلة ساهون ! »

ثم قال (عليه السلام) : « أما بعـد . . . فإن لي عليكم حقـاً ، وإن لكم علي حقاً . .

فـأما حقكم عـلي . . . فالنصحيـة لكم ما صحبتكم . . . وتـوفير فـيئكـم عليـكم . . وتـعليـمكـم كي لا تجـهلوا . . . وتـأديـبكـم كي تعلموا . . .

وما حقي عليكم . . . فالوفاء بالبيعة . . والنصح لي في المغيب ، والمشهد . . والإجابة حين أدعوكم . . . والطاعة حين آمركم . .

فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكـره ، وترجعـوا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون . . . وتدركوا ما تأملون . . . »[2] .

---

(١) حش الحـرب : هيجها . وحش النـار أوقدهـا وحركهـا بالمحش . ولعـل المعنى لستم مهيجي الحرب ولستم بأهل لها . المنجد في اللغة .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٦ .



أمير المؤمنين علي في الكوفة بعد قتال الخوارج

عاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى الكوفة يتبعه أصحابه بعد انتهائهم من معركة النهروان مع الخوارج . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة وقد أسف لاضطراره أن تقاتل هذه العصابة من جيشه الخارجة عليه ، التي أعماها تشددها في فهمها الخاطىء للدين ، وانحرفت عن طريق الهداية والصواب من غير تبصر أو تفكير . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة بعد أن حسم الموقف مع الفئة الخارجة عليه من أصحاب حروراء . . تلك القطعة من جيشه التي نزعت إلى العصيان . . . والتحيف والإغراق في العنف الذي ألجأه لقتالهم في الوقت الذي كان (عليه السلام) يريد التوجه لقتال القاسطين من أهل الشام . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة متأسفاً لاستنزاف قسم كبير من قدرات جيشه الذي كان قد أعده لقتال أعداء الله وأعداء رسوله : معاوية وأتباعه . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة متأسفاً لابتلائه . . . بأهل العراق . . . بأقوام متقلبي الأحوال . . . متفرقي الأهواء لا يثبتون على

رأي حتى وصفهم (عليه السلام) في بعض خطبه بقوله : « يا أشباه الرجال . . . » إلى قوله : « أفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان . . . » وسنأتي على ذكر نفسية أهل العراق وتقلبهم في باب لاحق إن شاء الله .

وهكذا كان نصيب علي (عليه السلام) من أهل العراق هو الخذلان ، والتضعضع والعصيان . . . وكان أهل الشام على باطلهم أقوى من أهل العراق على حقهم . . . لأن أهل الشام كانوا أشد تماسكاً على ضلالهم . . إذ وفوا لسلطانهم مع علمهم أنهم يحاربون علي بن أبي طالب وصي رسول الله وابن عمه وأول مؤمن به ومهاجر معه كما قال النعمان بن جبلة التنوخي لمعاوية بن أبي سفيان يوم صفين ـ وقد كان النعمان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء ـ مع معاوية ـ وذلك عندما قال له معاوية : لقد هممت أن أولي قومك من هو خير منك مقدماً . . .

فأجابه النعمان بن جبلة قائلاً : والله لقد نصحتك على نفسي . . وآثرت ملكك على ديني ، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه ، وحدت عن الحق وأنا أبصره ، وما وفقت لرشد حين أُقاتل على ملكك ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأول مؤمن به ومهاجر معه . . ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية ، وأجزل في العطية . .

ولكن قد بذلنا لك الأمر . . . ولا بد من إتمامه كان غياً أو رشداً . . . وحاشا أن يكون رشداً . . . وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها إذ حرمنا أثمار الجنة وأنهارها . . .[1] .

نرى جيش أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أهل العراق قد تسللوا بعد عودتهم معه إلى الكوفة جماعات وفرادى ، حتى اضطر

---

(١) راجع قصة النعمان ابن جبلة التنوخي مع معاوية بن أبي سفيان مفصلة في كتاب مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩٥ .

(عليه السلام) أن يدخل الكوفة ويجمع رؤساءهم ويخطب فيهم محرضاً إياهم على المسير إلى حرب أعداء الله من أهل الشام . . .

ولكن عبثاً حاول استنهاض هممهم ونفخ روح الغيرة والحمية فيهم للذب عن الإسلام وأهله . . إلّا أنهم تقاعسوا وكرهوا الخروج إلى الحرب ، وأخلدوا إلى الدعة . .

وإذا تأملنا قليلاً وبحثنا عن أسباب تقاعس الجيش العراقي عن واجبه وعدم نهوضه لما يدعوه إليه إمامه من حرب أعدائه وأعداء الإسلام الضالين والمضللين . . . يتضح لنا أن من جملة الأسباب هو ذهاب معظم الرجال الصالحين من الصحابة الأتقياء الذين كانوا دعامة جيش أمير المؤمنين علي وأركانه ، وقادته . . . وكانوا أدمغة المجاهدين ، وأبطال الحرب ، أمثال عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، وعبد الله بن بديل ، وهاشم المرقال وغيرهم الكثير من المخلصين الذين كانوا يؤلفون الشريان الحيوي للجيش يوم الجمل وصفين . . .

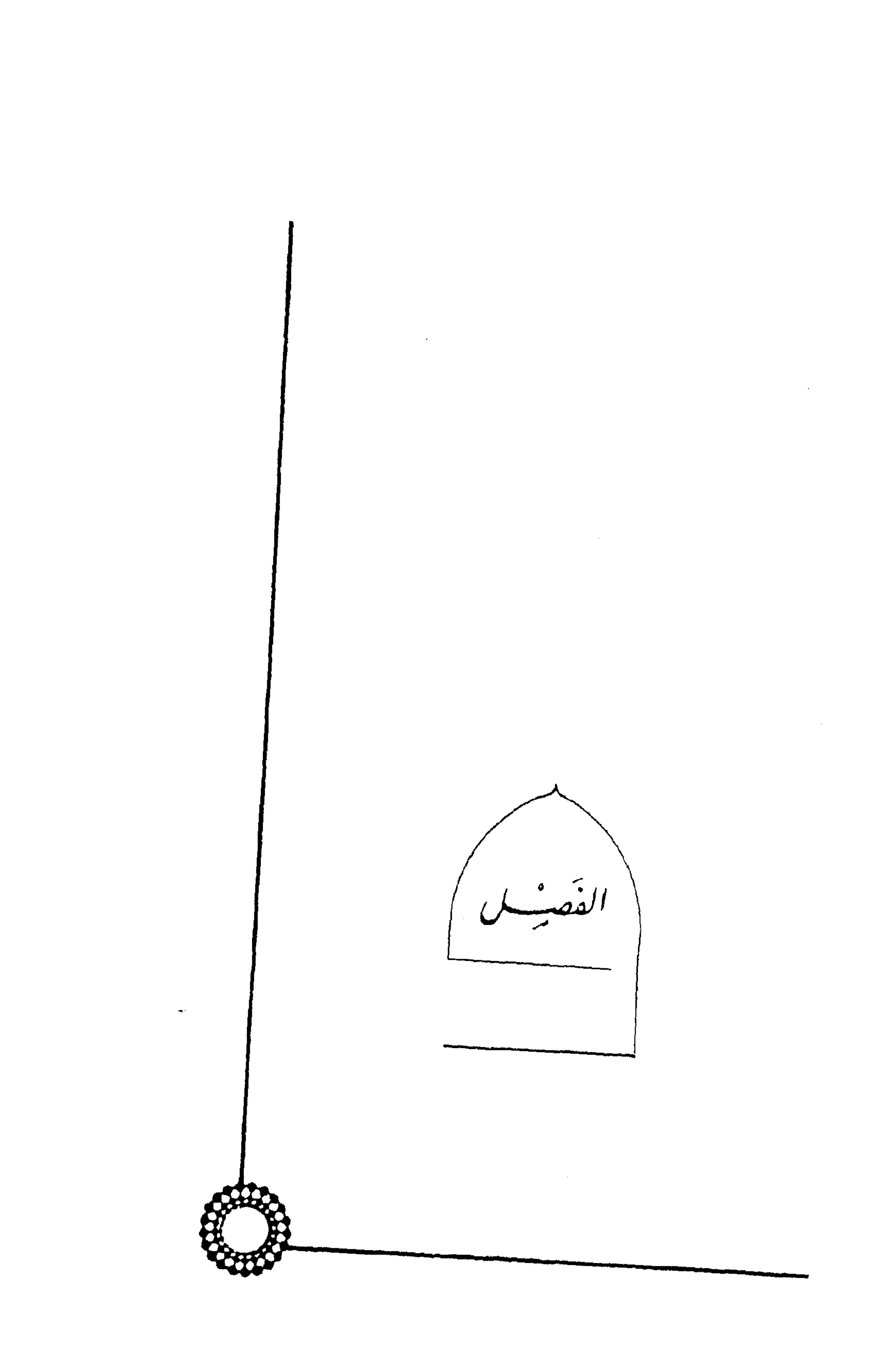
هؤلاء الصفوة من القادة كانوا قد لقوا حتفهم ، وذهبوا إلى لقاء ربهم صابرين محتسبين . . .

هؤلاء الأبطال وغيرهم أمثال مالك الأشتر من الذين كانوا يحرصون على مستقبل الإسلام ، ويبذلون في سبيل إعلاء كلمة الحق أموالهم وأنفسهم كانوا هم الحلقات القوية المتماسكة التي تربط الجماهير بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

هؤلاء الأبرار الذين كان الإيمان قد ملأ قلوبهم كانوا يعرِّفون الناس ما لأمير المؤمنين من الحق والفضل ، وما سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه . . . والثناء عليه . ويحرضون المسلمين على طاعته ويعطونهم من النصائح والأمثلة الحية لتنفيذ أوامره ، والإخلاص لمبادئه . . فكانوا رضي الله عنهم أول الملبين لندائه والسامعين له .

هؤلاء النخبة من الصالحين المؤمنين مضوا إلى ربهم ، وحلّ محلهم في جيش علي (عليه السلام) في توجيه الجماهير رجال لم يخالط الإيمان قلوبهم منافقون كالأشعث بن قيس . . .

لذلك نرى أن النتيجة كانت يوم الجمل والنهروان وصفين قبل التحكيم غيرها فيما بعد . . . وأن الحماس الذي كان موجوداً حينذاك قد اضمحل الكثير منه بمضي هذه الصفوة من ذوي الدين والبصائر الذين كانوا يهتمون بمصير الإسلام والمسلمين . مع العلم أنه كان قد بقي مع أمير المؤمنين علي من المخلصين بذلوا له النصح ، لكنهم لم يكونوا قادرين وحدهم على استقطاب أهل العراق بعد ذهاب الكثير من القادة الذين ذكرناهم .


الفصل



ولاية قيس بن سعد على مصر

ذكر المؤرخون وأصحاب السير أنه بعد مقتل عثمان بن عفان في المدينة ، واجتماع الناس على بيعة علي (عليه السلام) لأنه الوحيد الذي يستطيع أن ينقذ المسلمين من الضياع . . . ولأنه أيضاً هو الوحيد الصالح لمنصب الخلافة لثقة المسلمين به ، ونصّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه بالخلافة كما سبق منا الكلام في ذلك يوم غدير خم . . .

وحينما تسلم (عليه السلام) مقاليد الخلافة وقام بأعبائها بما يرضي الله ورسوله أخذ في تفريق عماله على الأقطار الإسلامية وذلك في سنة ٣٦ للهجرة .

كان قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري وهو من الصحابة الأجلاء من جملة العمال ـ الولاة ـ أرسله علي (عليه السلام) والياً على مصر .

وعلى حسب التسلسل التاريخي كان ينبغي أن نذكر ولاية قيس بن سعد[1] على مصر في أحداث سنة٣٦ وقبل وقعة صفين . . . ولكن

---

(١) في الإصابة لابن حجر : قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي . كان =

للأسلوب الذي اتبعناه السهل السلس وتجنباً للتعقيد أخرنا ذكر ولاية قيس لتكون أخبار ولاة مصر من قبل علي (عليه السلام) والأحداث التي رافقت تلك الحقبة من الزمن متوالية متتابعة وذلك من سنة٣٦ إلى سنة ٣٨ حيث مقتل محمد بن أبي بكر (رض) .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أنه كان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة علي (عليه السلام) ومناصحيه ، فلما ولي علي الخلافة قال له : « سر إلى مصر فقد وليتكها ، وأخرج إلى ظاهر المدينة ، واجمع ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك ، حتى تأتي مصر ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك . . .

فإذا أنت قدمتها إن شاء الله ، فأحسن إلى المحسن ، واشتد[1] على المريب ، وارفق بالعامة ، والخاصة فالرفق يمن . . . » .

فقال قيس : رحمك الله يا أمير المؤمنين . . . قد فهمت ما ذكرت . . .

أما الجند فإني أدعه لك ، فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك . . . وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدة . . . ولكني أسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي . . .

= قيس رجلاً ضخماً حسناً طويلاً ، إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض . وقال الواقدي : كان سخياً كريماً ، داهية وأخرج البغوي من طريق ابن شهاب قال : كان قيس حامل راية الأنصار مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان من ذوي الرأي من الناس .

وقال ابن يونس : شهد قيس فتح مصر ، واختط بها داراً ، ثم كان أميراً عليها لعلي بن أبي طالب . وفي صحيح البخاري عن أنس : كان قيس بن سعد من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . وأخرج البخاري في التاريخ من طريق مريم بن أسد قال : رأيت قيس بن سعد وقد خدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنين . وقال أبو عمر : كان قيس أحد الفضلاء الجلة من دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والسخاء والشجاعة وكان شريف قومه غير مدافع ، وكان أبوه وجده كذلك .

(١) في بعض النسخ : واشدد .

وأمـا ما أوصيتني بـه من الـرفق ، والإحسـان ، فـالله تعـالى هـو المستعان على ذلك . . .

فخـرج قيس في سبعـة نفـر من أهله حتى دخـل مصر ، فصعـد المنبر ، وأمر بكتاب معه يُقرأ على النـاس . . . وهو كتـاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى أهل مصر ، فيه إشارة لما حصل من أحداث في المدينة المنورة من حين وفاة الرسول الأعظم محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) إلى حـين مبايعـة الناس لـه (عليه السـلام) وتوليـه الخلافـة . ويأمرهم بالسمع والطاعة ، والمؤازرة لقيس بن سعـد الذي اختـاره والياً عليهم . وفي ختام كتابه يقول :

« وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً . . . فـوازروه ، وأعينوه على الحق . . .

وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدة على مريبكم ، والرفق بعـوامكم وخـواصكم ، وهـو ممن أرضى هـديـه ، وأرجـو صـلاحـه ونصحه . . .

نسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً ، وثواباً جـزيلاً ، ورحمـة واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وكتبه عبد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

وفي شرح النهج أيضاً : أنه لما فُرغ من قراءة الكتـاب ، قام قيس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

الحمـد لله الـذي جـاء بـالحق ، وأمـات البـاطـل ، وكبت الظالمين . . .

أيهـا النـاس . . إنـا بـايعنـا خـير من نعـلم من بعـد نبينـا محمـد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، فقومـوا فبايعـوا عـلى كتـاب الله وسنـة رسوله . . .

فإن نحن لم نعمل بكتاب الله وسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم .

فقام الناس فبايعوا . . . واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عماله . . .

إلّا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان ، وبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث ، فبعث إلى قيس :

إنا لا نأتيك . . فابعث عمالك . . فالأرض أرضك . . . ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس . ـ وهذه القرية تدعى خربتا ـ .

وكان قيس بن سعد ذا رأي وحزم ، فبعث إلى الذين اعتزلوا : إني لا أكرهكم على البيعة ، ولكني أدعكم ، وأكف عنكم . . . فهادنهم وجبى الخراج وليس أحد ينازعه .

بين قيس بن سعد ومعاوية

لما كان قيس بن سعد الأنصاري الخزرجي من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأجلاء البارزين إذ كان رئيس الخزرج ومن شيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والمخلصين له وهو صاحب المكانة المرموقة من حيث الوجاهة والرياسة في قومه وصاحب السخاء والشجاعة في الحرب والرأي الصائب في السياسة .

لذلك كان قيس بن سعد بوضعه المادي والمعنوي وبما يتحلى به من المزايا الحميدة أثقل خلق الله على معاوية بن أبي سفيان خاصة عندما أرسله علي (عليه السلام) والياً على مصر . . .

أخذ معاوية يحسب لقيس ألف حساب لأنه يخشى سطوته أو دهاءه وحنكته في السياسة والحرب . . .

خشي معاوية أن يهاجمه قيس بن سعد في جيش كثيف من جهة مصر ، ويهاجمه علي بن أبي طالب أيضاً من جهة الكوفة . . . فيكون معاوية حينئذٍ بين فكي أسدين لا قدرة له على مواجهتهما . . . لذلك راح يفكر في مكيدة ينجو فيها من الخطر الذي يحدق به . . . فكتب إلى قيس يلزمه بدم عثمان بن عفان تارة . . . ويراوغه ويمنيه بالجاه والسلطان تارة أخرى . . .

فكـان من جملة ما كتب معـاوية لقيس عـلى ما ذكـره ابن الأثير في تاريخه :

أما بعد . . . فإنكم نقمتم على عثـمان ضربة بسـوط ، أو شتمة ، أو تسيير آخر ، واستعمال فتى . وقد علمتم أن دمـه لا يحل لكم ، فقـد ركبتم عظيماً ، وجئتم أمراً إدا . . .

فتب إلى الله يا قيس فإنك من المجلبين على عثمان . فأما صاحبك فإنا استقينا أنه الذي أغرى به الناس وحملهم حتى قتلوه ، وأنـه لم يسلم من دمه عظيم قومك . .

فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطالب بدم عثمان فافعل . . . وتابعنا عـلى أمرنـا ، ولك سلطان العـراقين . . . ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجـاز . . . وسلني مـا شئت فـإني أعـطيـك ، واكتب إلي برأيك . . .

فلما جـاء ـ قيس ـ الكتاب أحب أن يـدافع معـاوية ولا يبـدي له أمره ، ولا يتعجل إلى حربه فكتب إليه .

أما بعد . . . فقد فهمت ما ذكرته من قتلة عثمان ، فذلك شيء لم أقاربه ، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى به حتى قتلوه ، فهـذا مما لم أطّلع عليه . وذكرت أنّ عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأوّل الناس كـان فيه قياماً عشيرتي .

وأما ما عرضته من متابعتك ، فهذا أمر لي فيـه نظر وفكـرة وليس هـذا ممـا يسرع إليـه . . . وأنـا كـافٍ عنـك . . . وليس يـأتيـك من قبلي شيء تكرهه ، حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى .

فلما قرأ معاوية كتاب قيس ، رآه مقارباً . . . مباعداً . . فكتب إليه :

أما بعد . . . فقد قرأت كتابك ، فلم أرك تدنو فأعدك سلماً . . . ولا متباعداً ، فاعدك حرباً . . . وليس مثلي يصانـع المخادع ، وينخـدع

للمكايد ومعه عدد الرجال ، وبيده أعنة الخيل .

فلما قرأ قيس كتابه ورأى أنه لا يفيد معه المدافعة . . . والمماطلة . . أظهر له ما في نفسه فكتب إليه .

أما بعد . . . فالعجب من اغترارك بي . . . ! وطمعك في . . واستسقاطك إياي !

أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالإمارة . . ؟ وأقولهم بالحق . . . وأهداهم سبيلاً . . . وأقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيلة . . . وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر . . وأقولهم بالزور . . . وأضلهم سبيلاً . . . وأبعدهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيلة . . . ولد ضالين مضلين . . . طاغوت من طواغيت إبليس . . .

وأما قولك . . إني مالىء عليك مصر خيلاً ورجالاً . . الخ فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهم إليك . . إنك لذو جد ـ والسلام .

فلما رأى معاوية كتاب قيس آيس منه . . . وثقل عليه مكانه . . وعلم أنه لم تنجح حيلة فيه ـ فكاده من جهة علي فغير اتجاه مكيدته وألبسها ثوباً آخر ـ فقال لأهل الشام :

لا تسبوا قيس بن سعد . . . ولا تدعوا إلى غزوه . . . فإنه لنا شيعة ، قد تأتينا كتبه ونصيحته سراً . . . ألا ترون ما يفعل بأخوانكم الذين عنده من أهل خربتا . . . !يجري عليهم أعطياتهم ، وأرزاقهم ، ويحسن إليهم .

وافتعل معاوية كتاباً عن قيس إليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك ، وقرأه على أهل الشام[1] .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٣٨ .



نظرة حول كتاب معاوية المختلق عن لسان قيس بن سعد

ذكر المؤرخون وأصحاب السير : إن معاوية بن أبي سفيان عندما رأى أن مكائده التي كادها لقيس بن سعد الأنصاري ـ والي مصر من قبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ باءت بالفشل . وأن حيله مع قيس لم تنفع . . وأن جميع المحاولات التي استعملها من إغراء بالمال . . والسلطان . . . وبالكلام المعسول ذهبت سدى . . . إذ لم ينخدع قيس بكل ذلك بل ماطله وبادله الدهاء . . .

فقيس بن سعد كان صاحب رأي وحنكة ودهاء . . . لا تنطلي عليه مخادعة معاوية له ووعوده البراقة بالإمارة والسلطان وغيرهما مما عرض لإغرائه ، واستقطابه . بجلبه إلى جانبه كما فعل مع عمرو بن العاص . . .

لكن قيس بن سعد الصحابي الجليل ، العميق الإيمان ، صاحب العقيدة الإسلامية الصحيحة يعلم من هو معاوية أليس هو الطليق وابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم وقد وصفه بجوابه له كما في تاريخ ابن الأثير :

« أتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقولهم بالزور . . . وأضلهم سبيلاً وأبعدهم من رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) . . . ولد ضالين مضلين . . . طاغوت من طواغيت إبليس . . . الخ » .

ولا يمكن والحالة هذه لقيس بن سعد وهو الصحابي الذي سمع ووعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : بأن علياً مع الحق والحق مع علي أن يتبع معاوية ولو أغراه معاوية بأموال الدنيا وسلطانها .

لذلك نرى أن معاوية بعدما جند دهاءه لاستقطاب قيس إليه وجلبه إلى جانبه . . . وبعدما فشلت جميع مساعيه ومكائده لاتقاء بطش فيس بن سعد وسطوته قام بعمل آخر غيرالإغراء والوعود . . . فغير طريقته وأسلوبه ونهج نهجاً مغايراً للتهديد والوعيد . . . وسلك سبيل الزور والإختلاق فافتعل عن لسان قيس كتاباً يتضمن موافقته له بالطلب بدم عثمان ومتابعته على ذلك . . .

خرج معاوية على أهل الشام بأسلوب جديد ومكيدة ألبسها حلة قشيبة . فقال لهم : لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه فإنّه لنا شيعة . . إلخ .

ثم أخرج الكتاب الذي اختلقه عن لسان قيس بن سعد وقرأه على أهل الشام كما ذكر ذلك جمال الدين يوسف بن تغري بردى في كتابه النجوم الزاهرة حيث قال : لما آيس معاوية من قيس بن سعد شق عليه لما يعرف من حزمه وبأسه ، فأظهر للناس أن قيساً قد بايعه . .

واختلق معاوية كتاباً فقرأه على أهل الشام وفيه :

أما بعد . . لما نظرت أنه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم ، محرماً مسلماً براً تقياً مستغفراً . . . وأني معكم على قتله بما أحببتم من الأموال والرجال ، ومتى شئتم عجلت إليكم[1] .

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين يوسف بن تغري بردى الأتابكي ج ١ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل إذ يأخذنا العجب من فعل معاوية الذي سمى نفسه أميراً للمسلمين ، كيف يسوغ لنفسه اختلاق كتاب عن لسان قيس بن سعد زوراً واختلاقاً ! . .

وهل يحسن بأمير المسلمين أن يكون مختلقاً . . . ومزوراً . . . ؟!

وهل يحسن بأمير المسلمين أن يكون خائناً لأمانة الصدق التي أمر بها الإسلام ؟!

وهذا الكتاب الذي اختلقه معاوية عن لسان قيس بن سعد هو من بعض أباطيله وألاعيبه التي كان يتعاطاها للحفاظ على سلطانه .

وهنا لا بد لنا من القول : كيف يحسن بالمسلمين الذين يرضون عن معاوية بعد كل ما صدر عنه من ظلم ، وجور ، وزور ، وبهتان ، وقتل ، وسفك دماء بريئة وارتكاب معاصي أن يجعلوه إماماً . . . وبعد كل ما ذكرنا نرى بعض المسلمين عند ذكر معاوية يقولون : رضي الله عنه . . .

وهل يرضى الله سبحانه وتعالى عن رجل يرتكب المنكرات ويختلق الزور لأجل مصلحة دنيوية . . . وسلطان زائل . . حاشا لله . . .

حاشا لله عز وجل أن يرضى إلا عن المؤمنين الصالحين .



تنحية قيس بن سعد عن ولاية مصر

الـذي لا جدال فيـه أن قيس بن سعد الخـزرجي الأنصاري كـان من المخلصين للإسـلام ولرسـوله الأعـظم (صلى الله عليـه وآله وسلم) ولأمير المؤمنين عـلي (عليه السـلام) ، وقد اعتنق الـدين الإسلامي عن صـدق وعقيدة ، وجـاهـد في سبيله جهـاد من لا تـأخـذه في الله لـومـة لائم . . حكيماً في مسلكه ، شجاعاً في حروبه ، سخياً في خدمـة الدين مخلصاً للمسلمين ، يبـذل لأجل إعـلاء كلمة . . . لا إلـه إل الله محمد رسوله . . . كل غال ورخيص .

لـذلك حينـما تولى أمـير المؤمنين عـلي مقاليـد الخـلافـة ، رأى من المصلحـة إرسـال قيس بن سعـد إلى مصر واليـاً عليهـا . . . لعلمـه (عليـه السلام) بـإخلاص قيس وصـدقـه وشجـاعتـه ، وحنكتـه عنـد الشدائد .

ذهب قيس بن سعـد إلى مصر والـيـاً عليـهـا من قـبـل عـلي (عليـه السلام) ودخلهـا ـ في شهر صفـر من سنـة ٣٦ للهجـرة ـ وأدار الحكم فيها رغم الصعوبات التي كان يلقاها من أعدائه وأخصامه الشيء الكثير وذلك من جراء الدسـائس والمكائـد التي كانت تحـاك ضده وضـد أميره أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

لكن قيساً كان لحنكته وحسن سيرته وضلوعه في أمور السياسة وتصريف شؤون الدولة تغلب على كل ما كان يلقاه .

وبفضل سياسته الحكيمة استتبّ الأمر له على ولاية مصر ، وسار في أهلها سيراً حسناً وأخذ من المصريين البيعة لعلي (عليه السلام) وانقادوا طائعين ، سوى قرية تسمي ـ خربتا ـ كانت عثمانية الهوى لم تبايع علياً ، إلاّ إنها لم تشهر حرباً في ذلك الحين على قيس . « وبها رجل من بني كنانة ، يقال له : يزيد بن الحارث ، فبعث إلى قيس : إنا لا نأتيك ، فابعث عمالك ، فالأرض أرضك . . ولكن أقرّنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس »[1] .

وقد أخذ منها قيس الخراج حسب الأصول وليس أحد ينازعه .

لكن مسلك قيس هذا المسلك من عدم الضغط على من تخلف عن البيعة من أهل خربتا لم يعجب بعض أصحاب أمير المؤمنين علي أمثال محمد بن أبي بكر . . وعبد الله بن جعفر وغيرهما من الذين كانوا يرون حرب أهل خربتا وجلبهم طائعين كي لا يتفاقم أمرهم ويكونوا أعواناً لمعاوية بن أبي سفيان وأعوانه . وغاب عنهم أن قيساً برأيه الصائب ، وحنكته السياسية سوف يعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين ، وهو في ذلك الوقت أعرف بنفسية الشعب المصري ، وما يتقاذفه من أمواج وأعاصير تهب عليه من قبل معاوية المتربص بالشام والذي يبذل جهده في دس الدسائس ، وحبك المكائد والأضاليل للتفرقة بين أصحاب علي (عليه السلام) وبث الشكوك بينهم .

وعندما أتت الأخبار بأن معاوية أمر أهل الشام بعدم سب قيس بن سعد لأنه صار له شيعة وانحاز إلى جانبه . . بعد أن أبرز معاوية الكتاب الذي زوره عن لسان قيس بن سعد كما أسلفنا وقرأه على أهل الشام . . . انطلت على محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر حيلة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٥٩ .

معاوية ومكيدته . . . بالإشاعة الكاذبة . . . والكتاب المزور عن لسان قيس . . فأرادوا من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أن يرسل إلى قيس يأمره بالتضييق على أهل خربتا ـ إما بأخذ البيعة منهم وإن امتنعوا فحربهم وعدم مهادنتهم .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أنه شاع في الشام كلها أن قيساً صالح معاوية ، وأتت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك ، فأعظمه وأكبره وتعجّب له . . .

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، اعزل قيساً عن مصر . . .

قال علي (عليه السلام) : « والله إني غير مصدق بهذا على قيس . . . » .

فقال عبد الله : اعزله يا أمير المؤمنين ، فإن كان ما قد قيل حقاً فلا يعتزل لك إن عزلته .

وإنهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد ، فيه :

أما بعد . . . فإن أخبر يا أمير المؤمنين . . . أكرمك الله وأعزك . . . إن قبلي رجالاً معتزلين سألوني أن أكف عنهم ، وادعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويرون ، وقد رأيت أن أكف عنهم ، ولا أعجل بحربهم ، وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم ، ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله . والسلام .

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنة ، وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها ، ولكن مره بقتالهم .

فكتب علي (عليه السلام) إلى قيس : « أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، وإلّا فناجزهم ، والسلام » .

فلما أتى هـذا الكتاب قيسـاً ، فقـرأه لم يتـمالـك أن كتب إلى عـلي (عليه السلام) :

أما بعد يا أمير المؤمنين ، تأمرني بقتال قوم كافين عنك ، ولم يمدوا يداً للفتنة ، ولا أرصدوا لها ، فأطعني يا أمير المؤمنين وكف عنهم ، فـإن الرأي تركهم والسلام .

فلما أتاه هذا الكتاب، قال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يكفـك أمرهـا . . . واعزل قيسـاً . . . وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكـر لأمه أسـماء بنت عميس . وكان يحب أن يكون له أمرة وسلطان . . .

استعمل علي (عليه السلام) محمد بن أبي بكر على مصر ، وكتب معه كتاباً إلى أهلها . . .

سار محمد بن أبي بكر حتى قدم مصر فقـال له قيس بن سعـد بعد أن علم بعزله :

ما بال أمير المؤمنين ؟! ما غيره . . أدخل أحد بيني وبينه . . . ؟!

قال محمد بن أبي بكر : لا . . . وهذا السلطان سلطانك .

ولما خرج قيس بن سعد من مصر أقبل حتى قـدم المدينـة ، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به ـ وكان عثمانياً ـ .

فقال له حسان : نزعك علي بن أبي طـالـب ، وقد قتلت عثـمان ، فبقي عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر . . !

فـزجره قيس وقـال : يا أعمى القلب . . يـا أعمى البصر ، والله لولا ألقي بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك . . . ثم أخرجه من عنده .

ثم إن قيسـاً وسهـل بن حنيف ، خـرجـا حتى قـدمـا عـلى عـلي (عليـه السلام) الكـوفـة ، فخـبره قيس الخـبر ، ومـا كـان بمصر . . . فصدقه علي .

وشهد قيس مع علي صفين هو وسهل بن حنيف . وكان قيس شيخاً شجاعاً مجرباً مناصحاً لعلي ولولده ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات[1] .

وفي النجوم الزاهرة : كانت ولاية قيس بن سعد على مصر من يوم دخلها إلى أن صُرف عنها ، أربعة أشهر وخمسة أيام ، وكان عزله في خامس رجب من سنة سبع وثلاثين[2] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٦٢ - ٦٣ .
(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تفري الأتابكي : ج ١ ص ٩٧ .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرة وتحليل حول عزل قيس بن سعد عن ولاية مصر

يحدثنا التاريخ على صفحاته من أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعدما بايعه الناس بالخلافة وتسلم مقاليد الحكم قام بتفريق الولاة على الأمصار ، فأرسل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري والياً على مصر . فقام قيس بأعباء الولاية مدة أربعة أشهر وخمسة أيام حتى جاء كتاب العزل في خامس رجب من سنة سبع وثلاثين للهجرة[1] .

أقول : لقد عزل أمير المؤمنين (عليه السلام) قيس بن سعد عن ولاية مصر ، وأرسل محمد بن أبي بكر والياً عليها ، مع العلم بصدق قيس ومحبته له ، وإخلاصه للمسلمين ، والمحافظة على مصالحهم ، وجمع شتاتهم . . .

مع العلم أيضاً أن علياً (عليه السلام) حينما بلغه خبر المراسلة بين قيس ومعاوية ، وبلغه أيضاً عن متابعة قيس لمعاوية وانحيازه إلى جانبه . . وأنه وافق معاوية على القيام معه بالمطالبة بدم عثمان . . . علاوة على الكتاب المزعوم الذي اختلقه معاوية ـ عن لسان قيس ـ إلى

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : تأليف يوسف بن تغري الأتابكي : ج ١ ص ٩٧ .

غير ذلك من الإفتراءات على قيس . . . فما كان جواب علي (عليه السلام) حينما بلغه ذلك إلاّ أن قال : « والله إني غير مصدق بهذا على قيس . . . » .

وهنا لرب قائل يقول . . . أو سائل يسأل : لماذا عزل علي (عليه السلام) قيساً عن ولاية مصر مع علمه بكفائته . . . وأهليته . . . لمنصب الولاية الذي أناطه به ؟

ولماذا أرسل محمد بن أبي بكر بديلاً عن قيس مع علمه أيضاً بأن قيس بن سعد أقدر سياسياً وأكبر سناً من محمد بن أبي بكر . . . ؟ لأن قيساً هو الرجل المجرب في الحروب وصاحب المواقف المشهورة التي كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

هذا بالإضافة إلى حداثة سن محمد بن أبي بكر . . .

وتأتي التساؤلات : هل أن علياً (عليه السلام) لمحبته لمحمد بن أبي بكر وعطفه عليه ـ إذ هو ربيبه ـ أرسله والياً على مصر بدل قيس بن سعد ؟ .

أو أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ شقيق محمد بن أبي بكر لأمه أسماء بنت عميس ـ هو الذي كان له الأثر الفعال على سياسة علي تجاه قيس بن سعد فحمله على عزله عن ولاية مصر وأرسل محمد بن أبي بكر بدلاً عنه والياً عليها . . . ؟

أو أن هناك وشاة ممن يضمرون الحسد والبغض لقيس قاموا بتشويه سمعته عند علي ، وترويج الإدعاءات والإفتراءات . . .؟

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل في منعطف التاريخ لنرى عن كثب مسار سياسة علي (عليه السلام) في عماله وذويه ، حتى يمكننا الإجابة على هذه التساؤلات . . . وكشف الملابسات عنها . . .

أقول : أولاً : . . إن العاطفة لا يمكن أن تؤثر أو تأخذ مجراها في سياسة علي (عليه السلام) الحكيمة الصادقة للإسلام . . . لأنه كان

طيلة حياته الشريفة باذلاً جهده في سبيل إعلاء كلمة الدين والحفاظ على مصالح المسلمين . . .

فلو كانت العاطفة هي السبب في تولية محمد . . وعزل قيس ، لكانت العاطفة حملت علياً يوم الجمل ـ في البصرة ـ على أن لا يرسل ولده محمد بن الحنفية للحرب ، ويقذفه في لهواتها عند اشتداد المعركة بين الأسنة . . . والسيوف مع علمه (عليه السلام) بشراسة تلك المعركة فكان من المفروض أن ينساق وراء عاطفته ويكون ضنيناً بولده فيبعده عن المهالك خوفاً عليه من القتل . . . ألم يكن محمد ولده ؟ وبين ضلوعه عاطفة الأبوة عندما دفع إليه الراية يوم الجمل وقد استوت الصفوف ، قائلاً له : احمل على الأعداء . . .

فتوقف محمد قليلاً ، فقال له أبوه علي (عليه السلام) : احمل . . .

فقال محمد : أما ترى يا أمير المؤمنين السهام وكأنها شآبيب المطر . . !

فدفع (عليه السلام) في صدر ولده وقال له : « أدركك عرق أمك . . . ! » .

ثم أخذ الراية فهزها ، ثم قال :

اطعن بها طعن أبيك تحمد   لا خير في الحرب إذا لم توقد(١)

فعلى هذا نجد أن العاطفة ليس لها أي أثر في مسار سياسة علي (عليه السلام) في جميع الأحوال . . في أوقات الحرب . . . أو في أوقات السلم . . . لأن غايته في كل تصرفاته إعلاء كلمة الدين ، والمحافظة على مصالح المسلمين في جميع المواقف والمواطن . . عسكرياً . . وسياسياً . . . واقتصادياً . . .

---

(١) وفي بعض الروايات : إحمل بها حمل أبيك تحمد . . .

ولنا من موقفه مع أخيه عقيل بن أبي طالب أكبر شاهد على ما نقول : من أنه يحافظ على مصالح المسلمين في شتى النواحي لم تأخذه العاطفة فالقريب والبعيد عنده سواء والمساواة شعاره في العطاء والمعاملة . . .

ذكر أهل التاريخ وأصحاب السير: أن عقيل بن أبي طالب لما ولي أخوه علي الخلافة جاءه يستعين به على فقره بشيء من المال . . لم يعطه علي شيئاً لأن المال مال المسلمين ، وعلي لم يكن كغيره ممن سبقه في العطاء والهبات . . . من بيت مال المسلمين .

قال (عليه السلام) : « والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور ، غبر الألوان من فقرهم ، فكأنما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكداً ، وكرر علي القول مردداً ، فأصغيت إليه سمعي ، فظن أني أبيعه ديني ، واتبع قياده مفارقاً طريقتي ، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضج ضجيج دنف من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها . .

فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل ، أتأن من حديدة أحماها إنسانها للعبه . . وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ؟! فتئن من الأذى ، ولا أئن من لظى . . ؟!

وعلى هذا كان المنتظر من علي (عليه السلام) أن تأخذه العاطفة على أخيه عقيل ، ويهبه من الأموال التي تحت يديه وبتصرفه ما يكفيه لسد حاجته على الأقل . . .

لكن هيهات لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أن تأخذه العاطفة فيعطي عقيلاً من أموال المسلمين زيادة عما يستحقه من العطاء . .

وحاشا لأمير المؤمنين علي أن ينحرف عن خطه الذي اختطه لنفسه وتأخذه العاطفة فيفعل كما فعل غيره من قبله ومن بعده .

ويتضح مما ذكرنا أن المحبة أو العاطفة ليس لهما أي أثر على معاملة

علي وتصرفاته إذ لا تأخذه في الله لومة لائم .

ثانياً : هل أن التساؤلات من أن عبد الله بن جعفر كان له الأثر الفعال في حمل علي (عليه السلام) على عزل قيس بن سعد وتولية محمد بن أبي بكر مكانه ؟

وهنا أيضاً نقول : لا . . فالتاريخ يشهد بأن علي بن أبي طالب صاحب الرأي ، والإرادة القوية لا ينصاع لأحد . . . ولا يؤثر عليه أحد . . . ولا يهمه غير رضى الله سبحانه وتعالى ، وخدمة الدين الحنيف . . .

ولو كان همه (عليه السلام) كغيره ممن سبقه . . هو الملك أو السلطان ، لكان هناك المجال الواسع للتأثير عليه بإبداء النصح إليه . . . وذلك حينما جاءه المغيرة بن شعبة ـ بعد ما بايعه الناس وتسلم مقاليد الحكم في ثياب الصديق الناصح الغيور على مصلحته . . . فقال له : يا أمير المؤمنين ابق معاوية على الشام ريثما يستتب لك الأمر وأقر عمال عثمان على أعمالهم فإذا بايعوا لك بعد ذلك اعزل من أحببت وأقر من أحببت .

فأبى (عليه السلام) ذلك وقال : والله لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنىء في أمري .

ويروي المؤرخون أيضاً أن عبد الله بن عباس وافق المغيرة على رأيه وأشار بأن يثبت معاوية . وقال له : فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله .

فأبى علي وقال : « والله لا أعطيه إلا السيف » .

وهذا موقف علي (عليه السلام) المتشدد في الله . . . لا يقر ظالماً على ظلمه ولو لفترة وجيزة .

ومما ذكرنا يتضح لنا أن عبد الله بن جعفر وغيره ليس لهم أي تأثير

على سياسة علي بن أبي طالب مهما كان الدافع ومهما كانت القرابة أو الصلة .

وبعد هذه الجولة القصيرة يأتي الجواب صريحاً واضحاً استنتاجاً من الأحداث التاريخية أن أمير المؤمنين علي لم يكن ليؤثر عليه شيء من المؤثرات الداخلية أو الخارجية . . . المادية . . أو المعنوية . .

فعلي (عليه السلام) كما أسلفنا هو صارم في حكمه . . . جاد في رأيه لا يهمه سوى رضى الله تعالى ومصلحة الإسلام .

وفي نهاية المطاف أقول : الظاهر والله أعلم أن علياً (عليه السلام) إنما عزل قيس بن سعد عن ولاية مصر وولاها محمد بن أبي بكر ألاّ لكونه لا يرغب في كبح جماح الشعب المسلم الذي له حرية الإختيار في التعبير عن رأيه باختيار رجل مسلم صالح يتولى أموره .

وعدالة علي (عليه السلام) والحال هذه تحمله على أن لا يرسل والياً على قطر من الأقطار الإسلامية إلاّ أن يكون صالحاً ويكون للمسلمين رغبة فيه . فلا يفرضه عليهم فرضاً .

وكان (عليه السلام) إذا سمع شكاة تأتي عن أحد ولاته ، يرفع يديه إلى السماء ويقول : « أللهم إني لم آمرهم بظلم عبيدك » والشواهد على ذلك كثيرة .

فأهل مصر مثلاً هم الذين كان لهم الرغبة في ولاية محمد بن أبي بكر ، ويدلنا على هذا أنه عندما جاء وفد أهل مصر إلى الخليفة عثمان بن عفان يطلبون منه عزل واليه عليهم عبد الله بن أبي سرح وتولية غيره عليهم . أجابهم عثمان على طلبهم وولى محمد بن أبي بكر في ذلك الحين وأعطاه عهداً بذلك . . .

لكن ولاية محمد بن أبي بكر حينذاك لم تتم ولم يصل إلى مصر ولم يباشر العمل بها لأمور لا بأس بذكرها ولو إجمالاً لإتمام الفائدة .

ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أن أهل مصر جاءوا يشكون

ابن أبي سرح إلى عثمان فأبى في بادىء الأمر ، وبعد الإلحاح وإنكار الصحابة على عثمان لعدم استجابته لطلب أهل مصر ، فقال : اختاروا رجلاً أوليه .

فقالوا : محمد بن أبي بكر . . .

فكتب عهده وولّاه ، وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاثة ليال من المدينة ، إذا هم بغلام أسود على بعير ، كأنه رجل يطلب أو يُطلب .

فقالوا له : ما قصتك . . . وما شأنك ؟ كأنك طالب . . . أو هارب !

فقال : أنا غلام أمير المؤمنين عثمان وجهني إلى عامل مصر .

فقالوا : هذا عامل مصر معنا .

فقال : ليس هذا أريد . . .

فقالوا معك رسالة أو كتاب ؟ فقال : لا . . .

ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً ، وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل ، فشقوها فإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح ، فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار ، ثم فك الكتاب فإذا فيه .

« إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان . . فاقتلهم ، وأبطل كتابهم ، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي » .

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا إلى المدينة ، وجمعوا الصحابة ، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم القصة . . . . الخ[1] .

---

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ٣٧ .

ويستفاد من هذه القصة أن الشعب المصري بأغلبيته كان له هوىً ورغبة في محمد بن أبي بكر من أيام عثمان ، واستمرت رغبتهم إلى أيام تولى علي الخلافة .

وفي أيام عثمان لم يكن لعلي نفوذ . . . وليس بيده سلطة ، وليس هو صاحب الرأي والقول الفصل في تعيين الولاة و و و .

وعلى هذا ربما يكون الدافع لعزل علي قيس بن سعد عن ولاية مصر وتوليتها محمد بن أبي بكر هو رغبة الشعب المصري بأغلبيته كما أسلفنا . . . ولا مانع من ذلك . . على أن محمد بن أبي بكر هو رجل مسلم مؤمن مستقيم لا غبار عليه . . .

هذا بالإضافة إلى أنه ربما يكون هناك ظروف وعوامل أدت إلى عزل قيس بن سعد وتولية محمد بن أبي بكر والله أعلم .

والبحث في أعماق التاريخ يحتاج إلى وقت طويل .

ولاية محمد بن أبي بكر على مصر

بعث أمير المؤمنين علي (عليه السلام) محمد بن أبي بكر إلى مصر والياً عليها خلفاً لقيس بن سعد الأنصاري بعد عزله عنها ، وكتب لمحمد عهداً بذلك ووجهه إليها .

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : كان عهد علي (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر الذي قرىء بمصر خلاصته :

هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر ، أمره بتقوى الله في السر والعلانية ، وخوف الله تعالى في المغيب والمشهد . . .

وأمره (عليه السلام) باللين على المسلم ، والغلظ على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمة ، وبالإنصاف للمظلوم ، وبالشدة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزي المحسنين . . .

وأمره (عليه السلام) أن يدعو من قبله إلى الطاعة ، والجماعة فإن لهم في ذلك من العاقبة وعظم المثوبة ما لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه . . .

وأمره (عليه السلام) . . . أن يجبي خراج الأرض على ما كانت

تجبي عليه من قبل . . ولا ينتقص ولا يبتدع . . . ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل ، وإن تكن لهم حاجة يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ، ليكون القريب والبعيد عنده على سواء . . .

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق ، وأن يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فإن الله مع من اتقاه ، وآثر طاعته على من سواه .

وكتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله لغرة شهر رمضان سنة ست وثلاثين[١] .

وفي النجوم الزاهرة : توجه محمد بن أبي بكر إلى مصر والياً عليها ومعه عهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ودخلها في النصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين[٢] .

وفي تاريخ ابن الأثير : لما قدم محمد بن أبي بكر إلى مصر قرأ كتاب علي على أهل مصر . . . ثم قام فخطب الناس فقال :

الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصّرنا وإياكم كثيراً مما كان عمي عنه الجاهلون . . .

ألا وإن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولاني أمركم ، وعهد إلي ما سمعتم ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . .

فإن يكن ما ترون من إمارتي ، وأعمالي طاعة لله ، فاحمدوا الله على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادي إليه وإن رأيتم عاملاً لي عمل بغير الحق فارفعوه إلي ، وعاتبوني فيه ، فإني بذلك أسعد ، وأنتم بذلك جديرون . . .

وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته[٣] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٦٥ .

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : للأتابكي .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، قال : كتب علي (عليه السلام) إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتاباً يخاطبهم به ، ويخاطب محمداً أيضاً فيه . . . وهو كتاب طويل يشتمل على وصايا عظيمة ، وتعاليم جليلة . . لم تذكره تجنباً للإطالة[1] .

وفي شرح النهج أيضاً : عن علي بن محمد بن أبي سيف ، عن أصحابه : أن علياً (عليه السلام) لما كتب إلى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب كان محمد ينظر فيه ويتأدب بأدبه . . .

فلما ظهر عمرو بن العاص على محمد بن أبي بكر وقتله ، أخذ كتبه أجمع ، فبعث بها إلى معاوية ، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه . . .

فقال الوليد بن عقبة ، وهو عند معاوية ، وقد رأى إعجابه به ـ بالكتاب ـ :

مر بهذه الأحاديث أن تحرق . . .

فقال معاوية للوليد : مه . . لا رأي لك ! . .

فقال الوليد : أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها . . . ؟!

قال معاوية : ويحك . . أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا . . . والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم . . .

فقال الوليد : إن كنت تعجب من علمه ، وقضائه ، فعلامَ تقاتله ؟!

---

(١) الكتاب في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ من صفحة ٦٦ إلى صفحة ٧٢ .

فقال معاوية : لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه . . .

ثم سكت معاوية هنيهة . . . ثم نظر إلى جلسائه فقال :

إنا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب . . . ولكن نقول : هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد . . فنحن ننظر فيها ونأخذ منها .

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1] .

أقول : هذا شأن معاوية بن أبي سفيان في التمويه وإخفاء الحقيقة والواقع .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٢ .

مقتل محمد بن أبي بكر

كانت الظروف يوم صفين ضاغطة ضغطاً شديداً على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فصدمة الخديعة في رفع المصاحف والتحكيم الضال أثارا التنازع في النفوس .

علاوة على ذلك ثورة الخوارج على الإمام علي(عليه السلام) التي فرقت وحدة الصفوف في جيشه ، وأغرت الكثير على التمرد والعصيان ، وحملت أكثر أهل العراق على التخاذل عن العودة إلى غزو الشام ، مما سهل لمعاوية بن أبي سفيان الطريق لإشباع مطامعه وتوسيع رقعة إمارته .

ومما لا جدال فيه أن ما آل إليه أمر الحكمين ـ وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري ـ من الخذلان لعلي . . . كان العامل الأكبر في تفتيت أهل العراق ، وتفريق كلمتهم ، وانجرار جلّهم وراء مغريات معاوية وعطاياه وهباته .

من هذا كله قويت معنويات معاوية وأصحابه وضعفت معنويات العراقيين الذين لا همَّ لهم في ذلك الوقت إلاّ الهدوء والدعة ، والجلوس في منازلهم وأمام دورهم والقيل والقال ، والتلهي بذكر العطايا والأموال . . .

عند ذلك طمع معاوية في توسيع رقعة إمارته وكانت ولاية مصر من أهم ما يطمح إليه ، لكثرة سكانها ، وعدد رجالها ، وضخامة إنتاجها . . . مما حمله على أن يعمل جهده مع أعوانه على الكيد والمكر للتفرقة بين أصحاب علي (عليه السلام) لكي يضعف جانبه بشتى الأساليب وبكل ما يستطيع . . . تارة بالقتل والإرهاب . . . وطوراً بالكيد والتنكيل . . .

وكان من نتاج ما ذكرنا من أمر الحكمين ، وتخاذل العراقيين، أن أطل العثمانية رؤوسهم وهم القلة في مصر كأهل خربتا مثلاً إذ امتنعوا عن البيعة لعلي ، فاضطر محمد بن أبي بكر أن يحاربهم ليردهم عن غيهم وضلالهم ، واستطاع التغلب عليهم . . .

لكن معاوية بن أبي سفيان التفت إلى ذلك ووجد الفرصة سانحة للتقوي بهم وجعلهم باباً للدخول إلى مصر والإستيلاء عليها فما كان منه إلاّ أن استدعى لفيفاً من أصحابه ومستشاريه وعلى رأسهم عمرو بن العاص فاستشارهم . . فأشاروا عليه بالحرب . . . وذلك بإرسال جيش كثيف لاحتلال مصر ونزعها من يد علي بن أبي طالب وقتل واليها محمد بن أبي بكر .

في تاريخ اليعقوبي : وجه معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له ، فقدمها سنة ثماني وثلاثين ، ومعه جيش عظيم من أهل الشام ، فكان على دمشق يزيد بن أسد الجبلي ، وعلى أهل فلسطين شمير الخثعمي ، وعلى أهل الأردن أبو الأعور الأسلمي ، ومعاوية بن خديج الكندي على الخارجة .

فلقيهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له ـ المسناة ـ فحاربهم محاربة شديدة وكان عمرو يقول : ما رأيت مثل يوم المسناة[1] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ١٨٣ .

وفي مروج الذهب للمسعودي : في سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر في أربعة آلاف ، ومعه معاوية بن خديج ، وأبو الأعور السلمي ، واستعمل عمراً عليها حياته ، ووفى له بما تقدم من ضمانه . فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر ـ وكان عامل علي (عليه السلام) على مصر ـ بالموضع المعروف بالمسناة . فاقتتلوا . . . فانهزم محمد لإسلام أصحابه إياه وتركهم له ، وصار إلى موضع بمصر ، فاختفى فيه ، فأحيط بالدار ، فخرج إليهم محمد ومن معه من أصحابه فقاتلهم حتى قُتل ، فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما ، فجعلوه في جلد حمار ، وأضرموه بالنار ، وذلك بموضع بمصر يقال له : كوم شريك . . .

وقيل : إنه فُعل به ذلك ، وبه شيء من الحياة[1] .

وفي شرح النهج عن المدائني ، قال : أقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر ، فقام محمد بن أبي بكر في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد . . . يا معاشر المؤمنين ، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة ، ويغشون الضلالة ، ويستطيلون بالجبرية ، قد نصبوا لكم العداوة، وساروا إليكم بالجنود ، فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم ، فليجاهدهم في الله . . . انتدبوا ـ أي خفوا ـ رحمكم الله مع كنانة بن بشر .

ثم ندب معه نحو ألفي رجل ، وتخلف محمد في الفين ، واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد . . .

فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب ، كتيبة بعد كتيبة ، فلم تأته من كتائب الشام كتيبة إلاّ شد عليها بمن معه ، فيضرب بها حتى يلحقها بعمرو ، فعل ذلك مراراً . . .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٤٢٠ .

فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن خديج الكندي ، فأتاه في مثل الدهم ـ أي العدد الكثير ـ .

فلما رأى كنانة ذلك الجيش ، نزل عن فرسه ، ونزل معه أصحابه ، فضاربهم بسيفه ، وهو يقول : (وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)[1] فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله .

وفي شرح النهج عن المدائني عن محمد بن يوسف : أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة ، أقبل نحو محمد بن أبي بكر ، وقد تفرق عنه أصحابه ، فخرج محمد متمهلاً ، فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة ، فآوى إليها . . .

فجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن خديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق . . . فسألهم : هل مرّ بهم أحد ينكرونه ؟

قالوا : لا . . . قال أحدهم : إني دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل جالس .

قال ابن خديج : هو هو ورب الكعبة . . فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد . . فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، وأقبلوا به نحو الفسطاط ـ إلى عمرو بن العاص ـ . . .

فقال محمد : اسقوني قطرة من الماء . . .

فقال له معاوية بن خديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً . . .

ثم قال له : والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن . . ويسقيك الله من الحميم والغسلين . .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

فقال له محمد : يا بن اليهودية النساجة ! . . . ليس ذلك اليوم إليك . . . إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ، ويظمىء أعداءه ، وهم أنت وقرناؤك ، ومن تولاك وتوليته . . . والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم . . .

فقال له معاوية بن خديج : أتدري ما أصنع بك ؟ . . . أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار .

قال محمد : إن فعلتم ذلك بي ، فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله . . وأيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً ، كما جعلها الله على إبراهيم خليله . وإن يجعلها عليك وعلى أوليائك ، كما جعلها على نمرود وأوليائه .

وإني لأرجو أن يحرقك الله وأمامك معاوية ، وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظى ، كلما خبت زادها الله عليكم سعيراً .

فقال له معاوية بن خديج : إني لا أقتلك ظلماً ، إنما أقتلك بعثمان بن عفان .

قال محمد : وما أنت وعثمان ؟ رجل عمل بالجور ، وبدل حكم الله والقرآن ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾[1] .

فنقمنا عليه أشياء عملها ، فأردنا أن يُخلع من الخلافة علنا . فلم يفعل . . فقتله من قتله من الناس .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤ ٤٥ ٤٧ .

فغضب معاوية بن خديج فقدمه وضرب عنقه ، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقننت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن خديج ، وقبضت عيال محمد بن أبي بكر أخيها وولده إليها ، فكان القاسم بن محمد من عيالها[1] .

وفي شرح النهج عن المدائني أيضاً : حلفت عائشة لا تأكل شواء أبداً بعد قتل محمد أخيها ، فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله . . . و ما عثرت قط إلّا قالت : تعس معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن خديج .

وفي شرح النهج أيضاً : إن أسماء بنت عميس لما جاءها نعي محمد ابنها وما صنع به ، قامت إلى مسجدها ، وكظمت غيظها حتى تشخب دماً .

وفي شرح النهج أيضاً : حزن علي (عليه السلام) على محمد بن أبي بكر حتى رئي ذلك فيه ، وتبين في وجهه ، وقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« ألا وإن مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم ، الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً .

ألا وإن محمد ابن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه ، وعند الله نحتسبه » .

وعن المدائني عن شرح النهج : قيل لعلي (عليه السلام) : لقد

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٨٧ ٨٨ وتاريخ الطبري : ج ٤ ص ٧٨ ـ ٧٩ والكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ وغيرهم من كتب التاريخ .

جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين . . .

فقال (عليه السلام) : وما يمنعني ! إنه كان لي ربيبا . . وكان لبني أخا . . وكنت له والداً . . أعده ولداً[1] .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٨٨ .



ولاية الأشتر على مصر

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أرسل محمد بن أبي بكر والياً على مصر خلفاً لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري بعد أن عزله عنها لأمور ذكرناها فيما سبق . . .

تسلم محمد بن أبي بكر مقاليد الولاية في مصر من قيس بن سعد، وعمل جهده في توطيد الأمن والإستقرار على قد استطاعته ، والإخلاص لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

لكن لما حصل ما حصل من قصة التحكيم ونتيجة خيانة الحكمين ـ أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ اضطرب الأمن على ابن أبي بكر وانتعش المنافقون وأعداء الحق في الوقت الذي كان معاوية بن أبي سفيان قد استفزّ الموالين لعثمان وهم القلة في الأموال والمناصب والوعود البراقة .

وحينما اضطرب الأمر على محمد بن أبي بكر لم يجد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلاّ أن يرسل من يسد ثغر مصر ويقمع الفتنة فيها . . . فلم يكن أمامه إلاّ أحد رجلين . . . وهما مالك بن حارث الأشتر أو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (رض) .

أبقى (عليه السلام) قيس بن سعد على شرطته وأرسل مالك بن

الحارث الأشتر والياً على مصر ، بعـد أن كتب لمحمد بن أبي بكـر يعلمه فيه بأنه لم يعزله عن ولاية مصر لعدم ثقته به بل ليوليه ولاية هي أيسر له وأهون عليه . . .

في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد : أنّـه لما فسـدت مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ علياً توثبهم عليه فقال : مـا أرى لمصر إلاّ أحد الـرجلين . . . صـاحبنـا الـذي عزلنا بـالأمس ـ يعني قيس بن سعـد بن عبادة ـ أو مالك بن الحارث الأشتر .

وكان علي (عليه السلام) حـين رجع عن صفـين ، رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة ، وقال لقيس بن سعـد : أقم أنت على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ، ثم أخرج إلى أذربيجان ، فكـان قيس مقيماً عـلى شرطته ، فلما أن انقضى أمر الحكـومة ، كتب عـلي (عليه السـلام) إلى الأشتر وهو يومئذٍ بنصيبين :

« أما بعد ، فإنك ممن استظهر بـه على إقـامة الـدين ، وأقمع بـه نخوة الأثيم ، وأسد به الثغر المخوف .

وقـد كنت وليت محمـد بن أبي بكـر مصر ، فخـرجـت عليـه خوارج . . .

فأقدم علي لتنظر فيما ينبغي . . واستخلف على عملك أهـل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام » .

فـأقبل الأشـتر إلى علي (عليـه السـلام) ، واستخلف عـلى عمله شبيب بن عمار الأزدي[1] .

فلما دخل الأشتر على علي (عليه السلام) حـدثه حـديث مصر ، وخبره خبر أهلها ، وقال له :

---

(١) شبيب بن عـامر الأزدي : هـو جد الكـرماني الـذي كان بخـراسان صـاحب نصر بن سيار . كما في شرح النهج لابن أبي الحديد .

« ليس لها غيرك ، فاخرج إليها رحمك الله .. فإني لا أوصيك اكتفاء برأيك ، واستعن بالله على ما أهمك .. واخلط الشدة باللين ... وارفق ما كان الرفق أبلغ ... واعتزم على الشدة حين لا يغني عنك إلّا الشدة » .

وكتب أمير المؤمنين (عليه السلام) كتاباً إلى أهل مصر وسلمه إلى الأشتر على ما جاء في شرح النهج :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين .. إلى من بمصر من المسلمين ...

سلام الله عليكم ، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلّا هو ...

أما بعد ... فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر ، لا ناكِلٌ من قدم ، ولا واهٍ في عزم .. من أشد عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ... أضر على الفجار من حريق النار ، وأبعد الناس من دنس أو عار ... وهو مالك بن الحارث الأشتر ... حسام صارم ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد ، حليم في السلم ، رزين في الحرب ، ذو رأي أصيل ، وصبر جميل ... فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلّا بأمري ...

وقد آثرتكم به على نفسي ، نصيحة لكم ، وشدة شكيمة[1] على عدوكم .

عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم بالتقوى ، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ، والسلام عليكم ورحمة الله »[2] .

---

(١) الشكيمة : الأنفة ، والإنتصار من الظلم .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٤ ـ ٧٥ .



مقتل مالك بن الحارث الأشتر

بث معاوية بن أبي سفيان عيونه في الأقطار الإسلامية الخاضعة لحكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) التي بايعته طائعة مختارة فسلكت طريق الصواب ، واستنارت بنور اليقين ، حيث أرسل إليها ولاته المخلصين يديرونها على الوجه الصحيح الذي يرتكز على قواعد الشريعة الإسلامية .. فلا ظلم ... ولا تعسف .. ولا جور .. بل العدل رائدهم .. والمساواة شأنهم .

عرف معاوية ذلك ، واستبان له أنه لا طاقة له على مواجهة علي وأصحابه إلّا بالكيد .. والمكر .. والخديعة .. والغدر .. فما كان منه والحال هذه إلّا أن يكثف جواسيسه ليحصون على علي (عليه السلام) جميع أقواله وأفعاله ، وكل تصرفاته ، من تنظيم الأمور ، إلى إرسال الولاة لأماكن أعمالهم ، إلى غير ذلك مما يهم معاوية أمره .

لذلك نجد أنه لما أرسل علي (عليه السلام) مالك بن الحارث الأشتر إلى مصر والياً عليها خلفاً لمحمد بن أبي بكر ، أتت الأخبار إلى معاوية بواسطة جواسيسه الذين كانوا قد وظفهم لإحصاء كل ما يصدر عن علي وعماله ، بأن مالك الأشتر سيتوجه إلى مصر ليتسلم دفة الحكم فيها .

فكان لإرسال علي (عليه السلام) مالك الأشتر إلى مصر أثر عظيم في نفس معاوية ، إذ خشي على نفسه منه ، فهو يعرفه حق المعرفة . . لأن الأشتر هو الرجل الحكيم المجرب للأمور . . . والشجاع الذي لا يجارى . . . صاحب رأي وحزم ، لا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر .

إغتم معاوية لهذه الأخبار التي كادت أن تسد عليه منافذ الحياة ، وراح يفكر في حيلة للتخلص من هذا الخصم الخطير الداهية الذي تولى مصر ـ إذ هي من أعظم الثغور الإسلامية ، الغنية بالمال والرجال .

حملت معاوية مخاوفه على الكيد والغدر ـ وهما من صفات معاوية وخصائصه المميزة ـ فقرر اغتيال مالك الأشتر قبل أن يصل إلى مصر ويتسلم دفة الحكم فيها مهما كلفه الثمن ، وقام بسرعة النفيذ .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أتت معاوية عيونه ، فأخبروه بولاية الأشتر مصر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع ـ معاوية ـ في مصر ، فعلم أن الأشتر أن قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر .

فبعث ـ معاوية ـ إلى رجل من أهل الخراج[1] يثق به ، وقال له :

أن الأشتر قد ولي مصر ، فإن كفيّتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيتُ ـ أنا ـ وبقيت ـ أنت ـ ، فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه .

خرج الأشتر من عند علي بعد أن زوده (عليه السلام) بكتابه إلى أهل مصر وأوصاه بوصاياه العظيمة وعهد إليه عهده في الولاية عليها وعلى أعمالها ، وجباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ،

---

(١) الخراج : الفيء ـ والخرج الضريبة ، والجزية ، وقيل للجزية التي ضُربت على رقاب أهل الذمة : خراج لأنه كالغلة الواجبة عليهم . لسان العرب لابن منظور .

وعمارة بلادها ، وهو أطول عهد وأجمع للمحاسن وسنذكره في باب لاحق من هذا الكتاب إن شاء الله .

سار الأشتر برحله متوجهاً إلى مصر حتى انتهى إلى القلزم[1] حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز ، فأقام به فقال له ذلك الرجل ـ وهو الذي تواطأ مع معاوية على الغدر بالأشتر ـ وكان ذلك المكان مكانه :

أيها الأمير : هذا منزل فيه طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فأقم واسترح ، وأتاه بالطعام ، حتى إذا طعم ، سقاه شربة عسل ، قد جعل فيها سماً ، فلما شربها مات[2] .

وفي مروج الذهب للمسعودي : وولى علي (عليه السلام) الأشتر مصر ، وأنفذه إليها في جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دس إلى دهقان[3] كان بالعريش ، فأرغبه ، وقال له : اترك خراجك عشرين سنة ، واحتل للأشتر بالسم في طعامه .

فلما نزل الأشتر العريش ، سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحب إليه ؟ ـ أي الأشتر ـ .

فقيل للدهقان : العسل . . .

فأهدى له عسلاً ، وقال : إن من أمره وشأنه ، كذا وكذا ، ووصفه للأشتر . وكان الأشتر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقر في جوفه حتى تلف . وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إن لله جنداً من العسل[4] .

---

(١) القلزم : مدينة بمصر على رأس الخليج المضاف إليها ، وإطلالها الآن قرب مدينة السويس ، وسمي بحر القلزم قلزماً لالتهامه من ركبه : وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله . راجع معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٥ .

(٣) الدهقان : جمع دهاقنة ـ كلمة فارسية : رئيس الإقليم . الدهقنة رئاسة الإقليم المنجد في اللغة .

(٤) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

وفي شرح النهج عن المدائني : إن معاوية ـ بعد أن دبر الأمر للغدر بالأشتر واغتياله ـ أقبل يقول لأهل الشام : أيها الناس ، إن علياً قد وجه الأشتر إلى مصر ، فادعوا الله أن يكفيكموه . . .

فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة .

وأقبل الذي سقاه السم إلى معاوية ، فأخبره بهلاك الأشتر ، فقام معاوية في الناس ، خطيباً فقال :

أما بعد ، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان ، فقطعت إحداهما يوم صفين ، وهو عمار بن ياسر . وقد قطعت الأخرى اليوم ، وهو مالك الأشتر[1] .

وحينما بلغه موت الأشتر ونجاح خطته وغدره هزت الفرحة جوارحه ، وبانت الشماتة على وجهه ، وراحت تتدفق من أقواله .

ومن على منبر دمشق وقف معاوية بكل زهو واعتزاز يوهم أهل الشام أنه صاحب الدعوة المستجابة وقال لهم : ألا ترون كيف استجيب لكم عندما دعوتم على مالك ، وزف إليهم نبأ موت الأشتر .

وهكذا أخذ الدجل مأخذه في عقول أهل الشام ، وانطلت الحيلة عليهم وصدقوا معاوية بأنه مستجاب الدعوة ولم يعلموا أن موت مالك الأشتر من كيده وغدره .

هذا ما كان من أمر معاوية وغدره بالأشتر وكيف هزه الفرح واحتوته الشماتة بموته .

أما في الكوفة حيث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي عصف الأسى به وتأسف وتلهف عندما بلغه خبر موت الأشتر فاسترجع وقال : « أللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر . . . » .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٦ .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : لما بلغ علياً موت الأشتر ، قال :

« إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين . . أللهم إني أحتسبه عندك ، فإن موته من مصائب الدهر ، ثم قال :

« رحم الله مالكاً ، فلقد وفى بعهده ، وقضى نحبه ، ولقي ربه ، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإنها من أعظم المصيبات » .

وفي شرح النهج أيضاً : عن المدائني عن جماعة من أشياخ النخع ، قالوا :

دخلنا على أمير المؤمنين (عليه السلام) حين بلغه موت الأشتر ، فوجدناه يتلهف ، ويتأسف عليه ، ثم قال :

« لله در مالك . . . وما مالك . . . لو كان من جبل لكان فندا[1] ، ولو كان من حجر لكان صلدا . . .

أما والله ليهدّن موتك عالماً . . وليفرحنّ عالماً . . . على مثل مالك فلتبك البواكي . . .

وهل مرجوٌّ كمالك . . . وهل موجود كمالك ! . . . » .

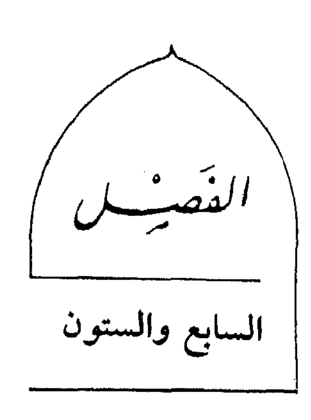
قال علقمة بن قيس النخعي : فما زال علي (عليه السلام) يتلهف ويتأسف ، حتى ظننا أنه المصاب به دوننا ، وعُرف ذلك في وجهه أياماً[2] .

---

(١) الفند : الجبل العظيم .

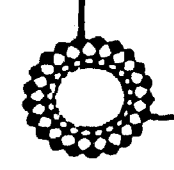
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٦ ص ٧٧ .





الفصل

السابع والستون





الغارات على الأقطار الموالية لعلي أمير المؤمنين

بعد وقعتي صفين والنهروان اللتين مرّ ذكرهما في باب سابق من هذا الكتاب ، اغتنم معاوية بن أبي سفيان الإضطرابات التي حدثت في صفوف العراقيين . . . مع علمه أن الكثير منهم كان يصطنع الإضطرابات ليجعل له من خلالها مركزاً مرموقاً ويحصل على أثرة دنيوية ـ وهؤلاء أنانيون لا يهمهم سوى مصالحهم لأنهم غير راسخي العقيدة ولا عميقي الإيمان ، والدين لعق على ألسنتهم يديرونه ما درت معائشهم . ومع علمه أيضاً أن الكثير من الناس يميلون إلى حب الدنيا وشهواتها ، لا تهمهم الآخرة ، ينعقون مع كل ناعق .

على أن معاوية يعلم التمزق الذي ينخر في جسم الجيش العراقي الحاصل جله من التفاخر بالأنساب ، والتناحر القبلي ، والتسارع إلى الإستغلال وحب السلطنة والمال . . .

ويعلم معاوية أيضاً أنه لا يتمكن من محاربة أمير المؤمنين علي حرباً موجبة للإنتصار عليه فإن له من وقعة صفين أكبر دليل على قصور باعه في هذا المجال . . . ومع علمه أيضاً أن في جيش علي من الرجال الصالحين ، والأبطال المخلصين الذين لا يهمهم إلا مصلحة الإسلام وتركيز دعائمه ، والإخلاص لعلي أمير المؤمنين . وهم البقية الصالحة الذين لا تخدعهم أمواله ووعوده ولا يهابون بطشه وسلطانه .

لذلك نجد معاوية عمل جهده لتوسيع رقعة الإنقسام بين صفوف جيش علي (عليه السلام) ، إذ راح ينثر الأموال الطائلة ، والوعود البرّاقة بالمناصب تارة وتارة يشيع القلق والإضطراب بالتهديد والوعيد لنيل مآربه . . .

وتطالعنا شواهد الحال بما سجله التاريخ على صفحاته بأنه راح يحارب أمير المؤمنين علياً وأصحابه وشيعته بكل وسيلة تمكنه من الفوز والتغلب عليه من دون رادع يردعه من ضمير أو دين . . . بالكيد . . بالمكر . . . بالخديعة واستقطاب الناس بالأموال والمناصب كما أسلفنا ، وأخيراً بالغارات التي كان يرسلها تباعاً على الأقطار الإسلامية الموالية لعلي أمير المؤمنين . . . كالمدينة المنورة . . . ومكة المكرمة . . واليمن . . . إلى غيرها من البلاد المتاخمة لحدود بلاد الشام ، والداخلة في حدود العراق فإنها لاقت من البلاء والتنكيل . . . والقتل والتشريد ما يعجز عن وصفه القلم ، وإلى القارىء لمحة موجزة عن بعض هذه الغارات التي حصلت في سنة تسع وثلاثين .

غارة النعمان بن بشير على عين التمر

ذكر اليعقوبي في تاريخه : أن معاوية بن أبي سفيان وجه النعمان بن بشير فأغار على مالك بن كعب الأرحبي ، وكان عامل علي (عليه السلام) على مسلحة عين التمر[1] فندب علي (عليه السلام) الناس ، فقال :

« يا أهل الكوفة انتدبوا إلى أخيكم مالك بن كعب ، فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع ليس بكثير ، لعل الله أن يقطع من الظالمين طرفاً » .

فأبطأوا ولم يخرجوا ، فصعد علي (عليه السلام) المنبر ، فتكلّم كلاماً خفياً لا يسمع ، فظنّ الناس أنّه يدعو الله ، ثم رفع صوته فقال :

« أما بعد يا أهل الكوفة . . . أكلما أقبل منسر[2] من مناسر أهل الشام أغلق كل امرىءٍ بابه ، وانجحر في بيته انجحار الضب والضبع الذليل في وجاره ! أف لكم . . . لقد لقيت منكم يوماً أناجيكم . . .

---

(١) عين التمر : بلدة قريبةمن الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا . المعجم لياقوت .

(٢) المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . المنجد في اللغة .

ويوماً أناديكم . . . فلا أخوان عند النجاء . . . ولا أحرار عند النداء » .

فلما دخل بيته قام عدي بن حاتم ، فقال : هذا والله الخذلان القبيح ثم دخل إليه فقال : يا أمير المؤمنين ، معي الف رجل من طيء لا يعصونني ، وإن شئت أن أسير بهم سرت .

فقال علي (عليه السلام) : « جزاك الله خيراً يا أبا طريف ، ما كنت لأعرض قبيلة واحدة لحد أهل الشام ، ولكن أخرج إلى النخيلة » .

فخرج وأتبعه الناس فسار عدي على شاطىء الفرات على أدنى الشام .

وفي تاريخ ابن الأثير : إن مالك كان قد أذن لأصابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه إلاّ مائة رجل . فلما سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين ـ علي ـ يخبره ويستمده ، فخطب علي الناس ، وأمرهم بالخروج إليه ، فتثاقلوا . وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه ، وكتب مالك إلى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه .

واقتتل مالك والنعمان أشد قتال ، فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً ، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جفون سيوفهم ، واستقتلوا .

فلما رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنوا أن لهم مدداً . وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر .

ولما تثاقل أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك صعد علي (عليه السلام) المنبر وخطبهم وقال من جملة كلامه : « المغرور من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم . . . عمي لا يبصرون ، وبكم لا ينطقون ، وصم لا يسمعون إنا لله وإنا إليه راجعون » .

غارة الضحاك بن قيس الفهري

ذكر ابن الأثير في تاريخه أنه في سنة ٣٩ وجه معاوية بن أبي سفيان الضحاك بن قيس الفهري ، وأمره أن يمر بـأسفل واقصـة[1] ويغير عـلى كل من مرّ به ممن هو في طاعة علي بن أبي طالب من الأعـراب . وأرسل معه ثلاثة آلاف رجل .

فسار الضحاك وأخذا أموال النـاس ، ومضى إلى الثعلبية[2] وقتـل وأغار على مسلحة علي ، وانتهى إلى القطقطانة[3] .

فلما بلغ ذلك علياً ، أرسل إليه حجر بن عدي في أربعـة آلاف ، وأعطاهـم خمسين درهماً ، خمسين درهماً .

فلحق ـ حجر بن عدي ـ الضحاك بتدمر[4] فقتل منهم تسعة عشر

---

(١) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعـاء نحو مكـة وقبل العقبـة لبني شهاب من طيء ويقال لها واقصة الحزون وهي دون زبالة بمرحلتين . معجم البلدان لياقوت .

(٢) الثعلبية : من منازل طريق مكة إلى الكوفة .

(٣) القطقطانة : بالضم ثم السكون ، موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف به كـان سجن النعمان بن المنذر . معجم البلدان لياقوت .

(٤) تدمر : مـدينة قـديمة مشهـورة في بريـة الشام بينهـا وبين حلب خمسـة أيام ، وسُميت بتـدمر بنت حسـان ابن أذينة بن السميـدع بن مزيـد بن عمليق بن لاوذ ابن سام بن =

رجلاً ، وقُتل من أصحابه رجلان ، وحجز بينهما الليل . فهرب الضحاك وأصحابه ، ورجع حجر ومن معه .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد عن إبراهيم الثقفي أنه قال: دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى ، ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها . فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف .

فأقبل الضحاك ، فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ، حتى مرّ بالثعلبية ، فأغار على الحاج ، فأخذ أمتعتهم ، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الهذلي ، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة . وقتل معه ناساً من أصحابه .

فلما بلغ علياً خرج إلى الناس وصعد المنبر وهو يقول :

« يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس ، وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف . . . اخرجوا فقاتلوا عدوكم ، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين » .

فردوا عليه رداً ضعيفاً ، ورأى منهم عجزاً وفشلاً ، فقال :

« والله لوددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلاً منهم ! ويحكم اخرجوا معي ، ثم فروا عني ما بدا لكم ، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي ، وفي ذلك روح لي عظيم ، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم » ثم نزل .

= نوح (ع) ، وهي من عجائب الأبنية ، موضوعة على العمد الرخام ، زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان (ع) معجم البلدان لياقوت .

فخــرج يمشي حتى بلغ الغـريــين(١) ثم دعــا حجــر بن عـــدي الكندي(٢) فعقد له على أربعة آلاف .

وروى محمـد بن يعقـوب الكليني قـال : استصرخ أمـير المؤمنــين

---

(١) الغريين : موضع قرب الكوفة تقدمت ترجمته .

(٢) في الإصابة لابن حجـر العسقلاني : ج ١ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ حجـر بن عدي الكنـدي المعـروف بحجر بن الأدبـر وحجر الخـير وذكر ابن سعـد ومصعب الـزبـيري. فيـما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو وأخوه هانىء بن عدي وأن حجر بن عدي شهد القادسية ، وأنه شهـد بعد ذلـك الجمل وصفـين ، وصحب علياً فكان من شيعته وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية ، وكـان حجر هـو الذي افتتحهـا فقدّر أن قتل بها وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يـوم صفين ـ وذكـر ابن السكن من طـريق إبراهيم بن الأشـتر عن أبيه أنـه شهـد هـو وحجـر بن الأدبـر مـوت أبي ذر بالربذة .

وفي الإستيعـاب لابن عبد الـبر حاشيـة الإصـابـة ج ١ ص ٣٥٦ ـ ٤٥٨ . حجـر بن عدي بن الأدير الكندي يكنى أبا عبـد الرحمن ، كـوفي وإنما سمي الأدبـر لأنه ضُرب بالسيف على إليته . كان حجر من فضلاء الصحابة ، وصغر سنه عن كبارهم ، وكان على كندة يوم صفين ، وكان على الميسرة يوم النهروان . ولما ولى معاويـة زياداً العـراق وما وراءها وأظهر ـ زياد ـ من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر ، أنكر عليه حجـر وتابعـه جماعة من أصحـاب علي وشيعتـه وحصبه يـوماً في تـأخير الصـلاة فكتب فيه زيـاد إلى معاوية فأمره أن يبعث به إليه ، فبعث بـه مع وائـل بن الحجر الحضرمي في اثني عشر رجلاً كلهم في الحديد فقتل معاوية منهم ستـة وكان حجـر ممن قتل ، وفي الإستيعـاب أيضاً أنه لما حج معاوية جاء المدينة زائراً فاستأذن على عائشة فأذنت له،فلما قعد قـالت له : يا معاوية أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك بـأخي محمد بن أبي بكـر ، فقال : بيت الأمـان دخلت . قالت : يـا معاويـة أما خشيت الله في قتـل حجـر وأصحـابـه . وعن مسروق بن الأجدع قال : سمعت عائشة أم المؤمنـين (رض) تقول : أمـا والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ عى أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام ، ولكن ابن آكلة الأكبـاد علم أنه قـد ذهـب الناس أمـا والله إن كانـوا لجمجمة العرب عزاً ـ ومنعة ـ وفقهاً ـ ولله در لبيد حيث يقول :

ذهـب الــذيـن يـعــاش في أكـنـــافـهـم وبـقـيـت في خـلـف كـجـلد الأجــرب

وفي الإصابة أيضاً : عن أبي الأسود قال : دخل معـاوية عـلى عائشـة فعاتبتـه في قتل حجـر وأصحابـه وقالت : سمعت رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) يقـول : يقتل بعدي أناس يغضب الله لهم وأهل السماء . =

(عليه السلام) الناس عقيب غارة الضحاك بن قيس الفهري على أطراف أعماله ، فتقاعدوا عنه ، فخطبهم فقال :

« أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم . المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء .

تقولون في المجالس كيت وكيت ، فإذا جاء القتال قلتم : حيدي حياد ![1] .

ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم أعاليل بأضاليل ، دفاع ذي الدين المطول[2] .

لا يمنع الضيم الذليل . . . ولا يدرك الحق إلا بالجد .

أي دار بعد داركم تمنعون . . . ! ومع أي إمام بعدي تقاتلون . . . ! المغرور من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل[3] .

أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم . . .

ما بالكم . . . ؟ ما دواؤكم ؟ . . . ما طبكم . . . ؟ القوم رجال أمثالكم . . .

أقوالاً بغير علم . . . وغفلة من غير ورع . . . وطمعاً في غير حق . . . »الخ .

وقال ابراهيم الثقفي : فخرج حجر بن عدي حتى مرّ بالسماوة[4]

= وكان قتله سنة ٥٣ وقيل : سنة ٥١ هذه لمحة عن ترجمة حجر بن عدي وستأتي البقية في باب لاحق إن شاء الله .

(١) حيدي حياد : كلمة يقولها الهارب الفار .

(٢) أعاليل بأضاليل : أي يتعللون بالأضاليل التي لا جدوى لها .

(٣) السهم الأفوق : المكسور الفوق وهو مدخل الوتر . والناصل : : الذي لا نصل فيه .

(٤) السماوة : ماءة بالبادية وكانت أم النعمان سُميت بها فكان اسمها ماء فسمتها العرب =

فلقي بها امرىء القيس بن عدي الكلبي ـ وهم أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ـ فكانوا أدلاءه في الطريق وعلى المياه ، فلم يزل مغذاً في أثر الضحاك ، حتى لقيه بناحية تدمر ، فواقعه فاقتتلوا ساعة .

فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، وقُتل من أصحاب حجر رجلان ، وحجز الليل بينهم . . .

فمضى الضحاك ، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً[1] .

أقول : كل أصحاب معاوية كانوا مخادعين مخاتلين كالضحاك بن قيس فهم يفرون عند الشدائد ويهربون عند لقاء الأبطال لا يلوون على شيء لكنهم أقوياء على العزل والضعفاء ويغيرون على الحجاج كما فعل الضحاك من سلبه أمتعة الحجاج وقتله ابن عميس الذي مرّ ذكره ولو أن الضحاك بقي في الميدان وواجه حجر بن عدي للقي حتفه . . . ولا غرابة فشأن الضحاك كشأن أميره معاوية ـ الغدر والخيانة ـ والهروب عند النزال لاتقاء الأهوال . والضحاك مصداق لقول القائل :

وفي الهيجاء ما جربت نفسي ... ولكن في الهزيمة كالغزال

= ماء السماء وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام . والسماوة اليوم مدينة عامرة من مدن العراق . معجم البلدان لياقوت .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ١١٧ ـ ١١٨ .



غارة سفيان بن عوف الغامدي

من الغارات التي خطط لها معاوية بن أبي سفيان للفتك والتنكيل بأهالي البلاد الإسلامية الموالية لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، التي نفذها بواسطة جلاوزته غارة سفيان بن عوف الغامدي الذي نفذ أوامر أميره معاوية كما اشتهى وأراد .

ذكر صاحب شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد عن ابراهيم الثقفي عن أبي الكنود ، أنه قال : حدثني سفيان بن عوف الغامدي ، قال : دعاني معاوية فقال :

إني باعثك في جيش كثيف ، ذي أداة وجلادة فالزم لي جانب الفرات ، حتى تمر بهيت[1] فتقطعها ، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم ، وإلاّ فامض حتى تغير على الأنبار[2] ، فإن لم تجد بها جنداً

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ، ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية ، وسُميت هيت باسم بانيها وهو هيت بن السندي ، ابن مالك بن دعر بن بويب بن عنقا بن مدين بن ابراهيم (عليه السلام) . معجم البلدان لياقوت .

(٢) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد بينها عشرة فراسخ ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف ، ثم جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ، وبنى بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات . =

فامض حتى توغل في المدائن ، ثم أقبل إليّ واتق أن تقرب الكوفة . . . واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار ، وأهل المدائن ، فكأنك أغرت على الكوفة . إن هذه الغارات ياسفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم ، وتفرح كل من له فينا هوى منهم ، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر . .

فاقتل من لقيته من ليس هو على مثل رأيك ، واخرب كل ما مررت به من القرى ، واحرب الأموال ـ أي اسلبها ـ فإن حرب الأموال شبيه بالقتل ، وهو أوجع للقلب .

قال سفيان : فخرجت في ستة آلاف ، ثم لزمت شاطىء الفرات ، فأغذذت السير حتى أمر بهيت ، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات ، فمررت بها وما بها عريب ـ أي ما بها أحد ـ فوطئتها حتى أمر بصندوداء[1] ففروا فلم ألق بها أحداً .

فمضيت حتى افتتح الأنبار ، وقد نذروا بي ، فخرج صاحب المسلحة إلي ، فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل القرية ، فقلت لهم : أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي . . ؟

قالوا : عدة رجال المسلحة . . . خمسمائة ، ولكنهم قد تبددوا ورجعوا إلى الكوفة ، ولا ندري الذي يكون فيها ، قد يكون مائتي رجل . . .

= وقيل : إنما سُميت الأنبار لأن بخت نصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيها . وقال أبو القاسم : الأنبار حد بابل سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن ، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها ، وكان يقال لها الأهراء ، فلما دخلتها العرب عربتها فقالت : الأنبار ، وقال الأزهري الأنبار أهراء الطعام .

(١) صندوداء : قرية كانت في غربي الفرات فوق الأنبار . وفي معجم البلدان لياقوت : قال ابن الكلبي : سُميت صندوداء باسم امرأة ، وهي صندوداء ابنة لخم بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أد .

فنزلت فكتبت أصحابي كتائب ، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة ، فيقاتلهم ، والله ويصبر لهم ! ويطاردهم ويطاردونه في الآزقة . . .

فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين ، وأتبعتهم الخيل ، فلما حملت عليهم الخيل وأمامها الرجال تمشي ، لم يكن شيء حتى تفرقوا وقتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلاً ، وحملنا ما كان من الأموال في الأنبار ثم انصرفت .

فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال : كنت عند ظني بك ، لا تنزل في بلد من بلداني إلّا قضيت فيه مثل ما يقضي فيه أميره ، وإن أحببت توليته وليتك ، وليس لأحد عليك أمر دوني .

قال سفيان : وبلغني أن هذه الغارة أرعبت الناس فما لبثنا إلا يسيراً حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هراباً من عسكر علي بن أبي طالب .

وفي شرح النهج أيضاً عن حبيب بن عفيف ، قال : كنت مع أشرس بن حسان البكري[1] بالأنبار على مسلحتها ـ حاميتها ـ إذ صبحنا سفيان بن عوف في كتائب تلمع الأبصار منها ، فهالونا والله ـ وعلمنا إذ رأيناهم أنه ليس لنا طاقة بهم ولا يد . . . فخرج إليهم صاحبنا ـ أشرس بن حسان البكري ـ وقد تفرقنا ، فلم يلقهم نصفنا ، وايم الله لقد قاتلناهم فأحسنا قتالهم ، حتى كرهونا ، ثم نزل أشرس صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما**

---

(١) أشرس بن حسان البكري : كان عاملاً لعلي (عليه السلام) على الأنبار ، فأرسل معاوية بن أبي سفيان ، سفيان بن عوف الغامدي في ستة آلاف فأغار بها على الأنبار .
وقد اختلف في اسم عامل علي (عليه السلام) على الأنبار الذي قُتل في هذه الوقعة فقيل اسمه أشرس بن حسان البكري ، وقيل : كان اسمه حسان بن حسان البكري وهو المذكور في نهج البلاغة حيث يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان البكري » .

بدلوا تبديلا ﴾[1] .

ثم قال لنا ـ أشرس صاحبنا ـ : من كان لا يريد لقاء الله ، ولا يطيب نفساً بالموت ، فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم ، فإن قتالنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب ، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار . . .

ثم نزل في ثلاثين رجلاً ، فهممت بالنزول معه ، ثم أبت نفسي ، واستقدم هو وأصحابه ، فقاتلوا حتى قُتلوا رحمهم الله ، وانصرفنا نحن منهزمين .

أقول : كانت فرحة معاوية بن أبي سفيان كبيرة جداً حينها أخبره سفيان بن عوف الغامدي بنتيجة غاراته التي شنها على المسلمين الآمنين الموالين لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وخصوصاً لما أخبره بأنه أمعن في القتل والنهب والسلب لا تأخذه فيهم شفقة ولا رحمة بل عاملهم بمنتهى العنف والقسوة حسب تعاليمه التي زوده بها . . .

وزادت فرحة معاوية أيضاً عندما أخبره الغامدي بأنه أخذهم بالشدة وقد ترك البيوت مهدمة والقتلى ملقاة على وجه الأرض والأشلاء مبعثرة في الأزقة . . وحمل ما وجده من الأموال وأتى بها إليه . . . فقال له معاوية : كنت عند ظني بك .

وفي شرح النهج أيضاً عن ابراهيم الثقفي أنه قال : قدم رجل من أهل الأنبار على علي (عليه السلام) ، فأخبره الخبر ، فصعد ـ عليه السلام ـ المنبر فخطب الناس ، وقال :

« إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار ، وهو معتز لا يخاف ما كان ، واختار ما عند الله على الدنيا ، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم ، فإن أصبتم منهم طرفاً انكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا » .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم منهم متكلم ، فلم ينبس أحد منهم بكلمة ، فلما رأى صمتهم نزل ، وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة ، والناس يمشون خلفه ، حتى أحاط به قوم من أشرافهم .

فقالوا : ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك . . .

فقال : « ما تكفونني . . . ولا تكفون أنفسكم . .

فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله . فرجع وهو واجم كئيب .

ودعا سعيد بن قيس الهمداني[1] ، فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وذلك أنه أخبر أن القوم جاؤوا في جمع كثيف .

فخرج سعيد بن قيس على شاطىء الفرات في طلب سفيان بن عوف ، حتى إذا بلغ عانات[2] ، سرّح أمامه هانىء بن الخطاب الهمداني ، فاتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنسرين ، وقد فاتوه ، فانصرف .

(١) سعيد بن قيس الهمداني : في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢٠٧ أنه من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم قاله الكشي عن الفضل بن شاذان ونقله العلامة .
(٢) عانات : بلد بين الرقة وهيت قريبة من الأنبار .



خطبة الجهاد

حزن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وتأسف حينما بلغه قتل أشرس بن حسان البكري عامله بالأنبار ، واشتد تأسفه لما خلفته غارة سفيان بن عوف الغامدي الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان ليغير على الأنبار ونواحيها ـ من الفتك بالمسلمين الموالين له (عليه السلام) سواء منهم المقاتل وغير المقاتل ، بل شمل عدوانه جميع الأهالي الآمنين .

وزاد تأسفه وتألمه (عليه السلام) عندما بلغه أن الرجل من أتباع سفيان كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فيسلبها بكل وحشية وغلظة حتى أنه كان ينتزع حجلها وقلائدها وجميع ما عليها من حلي دون شفقة أو رحمة . . .

ولم يكن لينفع معه الإستعطاف أو الإسترحام لأنه مأمور بتنفيذ أوامر معاوية الذي أراد أن يباغت المسلمين بهذا العنف وهذه الشدة والقسوة إرهاباً لهم ليستولي الرعب على نفوسهم فيهابونه ولا يقدم أحد منهم بعد ذلك على مقاومته ومحاربته .

وبعد أن رأى علي (عليه السلام) أن أهل العراق قد استولى عليهم الجبن ، واستبطنهم الشيطان ولم تعد تأخذهم الحمية على بلادهم التي استباحها جلاوزة معاوية ، وعملوا على هدمها وحرقها ، وتشريد

أهلها بكل وسيلة بالسلب . . والنهب . . . والتنكيل . . . وقتل كل من لم يكن على رأيهم .

وبعد أن خاب ظنه (عليه السلام) بنجدة أهل العراق ، ولم يفلح باستنهاض هممهم ، ولم ينفع معهم الحث على الجهاد في سبيل الله ، والتحريض للدفاع عن البلاد ، والإسلام والمسلمين قال خطبته الشهيرة المعروفة بخطبة الجهاد التي تحتوي من درر الكلام وجليل المعاني ما يعجز عنه البيان . والتي تفيض أيضاً بالمرارة والتأسف والأسى لما آل وسيؤول إليه حال المسلمين من الذل والهوان ، والركون للظلم والطغيان ، والتسامح في تطبيق شريعة الإسلام .

في نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد : لبث علي (عليه السلام) ترى فيه الكآبة والحزن - بعد الغارة على الأنبار - حتى قدم عليه سعيد بن قيس وكان تلك الأيام عليلاً ، فلم يقو (عليه السلام) على القيام في الناس بما يريده من القول ، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ، ومعه ابناه حسن وحسين(عليهما السلام) وابن أخيه عبد الله بن جعفر ، ودعا سعداً مولاه فدفع إليه الكتاب ، وأمره أن يقرأه على الناس ، فقال سعد بحيث يسمع علي (عليه السلام) صوته ، ويسمع ما يردّ الناس عليه . ثم قرأ الخطبة فقال :

أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديّث بالصغار والقماءة[1] ، وضرب على قلبه بالأسهاب[2] وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف . ومُنع النصف .

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، سراً

---

(١) ديث بالصغار : أي ذُلل ، ومنه الديوث الذي لا غيرة له . والصغار الذل والضيم .

(٢) وفي رواية : بالأسداد وهو الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد : والإسهاب هو ذهاب العقل ، أو كثرة الكلام - أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة .

وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلاّ ذُلوا ، فتواكلتم[1] وتخاذلتم ، حتى شُنت عليكم الغارات ، ومُلكت عليكم الأوطان .

فهذا أخو غامد[2] ، قد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها[3] .

ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة[4] ، فينتزع حجلها وقلبها ، وقلائدها ، ورعوثها ما تمنع منه إلاّ بالإسترجاح والإسترحام . ثم انصرفوا وافرين ، ما نال رجلاً منهم كلم[5] ولا أريق لهم دم ، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . . .

فيا عجباً عجباً ، والله يميت القلب ، ويجلب الهم ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفريقكم عن حقكم . . . !

فقبحاً لكم وترحاً[6] ، حين صرتم غرضاً يُرمى ، يغار عليكم ولا تُغيرون وتُغزون ولا تغزون ، ويُعصى الله وتَرضون !

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ ، أمهلنا يسبخ[7] عنا الحر . . وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم

---

(١) فتواكلتم : وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه ولم يتوله بل أحاله كل على الآخر ، ويوصف الرجل بالوكل : أي العاجز . لأنه يكل أمره إلى غيره .

(٢) أخو غامد هو سفيان ابن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن من ازدشنؤة بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهله فنكل بهم وقتل وشرد .

(٣) المسالح : جمع مسلحة وهي كالثغر والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء .

(٤) المعاهدة : الذمية : والحجل : خلخالها . والقلب بالضم سوارها . والرعاث : بمعنى القرط .

(٥) الكلم بالفتح : الجرح .

(٦) فقبحاً لكم وترحاً : أي هماً ، وحزناً ، أو فقراً ـ دعاء بأن ينحيهم الله عن الخير ، وأن يخزيهم ويسوءهم .

(٧) يسبخ عنا الحر : أي يخف . وحمارة القيظ بتشديد الراء : شدة حره .

هذه صبَّارة القر[1] أمهلنا ينسلخ عنا البرد . .

كل هذا فراراً من الحر والقر ، فإذا كنتم من الحر والقرّ تفرون . . . فأنتم والله من السيف أفرُّ !

يا أشباه الرجال ولا رجال . . . حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال ، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة . . . والله جرت ندما . . . وأعقبت سدما[2] .

قاتلكم الله . . . ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً . . وجرعتموني نُغب التهمام[3] أنفاساً . . . وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب .

لله أبوهم . . . ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني !

لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا ذا قد ذرّفت على الستين[4] ولكن لا رأي لمن لا يطاع[5] .

أقول : لقد تألم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عندما أسرف عليه جنده من أهل العراق في العصيان ، وتمادوا في التمرد ، واشتطوا بالآراء والأفكار ، حتى حمله التألم ، ومرارة ما يلاقيه منهم على أن يصارحهم ، ويشرح لهم خطأ ما يصنعون ، وسوء ما يفعلون ، قائلاً لهم : « قاتلكم الله ، لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً ،

---

(١) صبارة القر : القر بالضم : البرد ، وصبارة الشتاء : شدة برده .

(٢) السدم : الحزن والغيظ .

(٣) نغب التهمام : نغب جمع نغبة وهي الجرعة . والتهمام ، بفتح التاء : الهم .

(٤) ذرفت على الستين : أي زدت عليها . وفي رواية المبرد : « نيفت » .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٧٤ ـ ٧٥ .

وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان »
الخ .

سلام الله عليك يا أمير المؤمنين يا أبا الحسن . . أي امتحان هـذا الذي ابتليت به . . . ! وأي أناس جندك من أهل العراق الـذين أفسدوا عليك رأيك بالعصيان والخذلان . . . حتى وصفتهم بقولك : « يا أشباه الرجال ولا رجال » الخ .

ولكن يا أمير المؤمنين . . ويا إمام المتقين . . . مهما كان البلاء كثيراً تراه بشخصك العظيم في ذات الله قليلاً فتتحمله صابراً محتسباً .



غارة بسر بن أرطأة

لما أسرف معاوية بن أبي سفيان في البغي والطغيان والإغارة على البلاد الإسلامية الموالية لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، واعمل فيها النهب والسلب . . . والتقتيل . . لم يعد لأمير المؤمنين علي مجال للصبر والسكوت عن هذه الأعمال الوحشية التي أصابت المسلمين من معاوية وأتباعه . . .

حينئذٍ جمع علي (عليه السلام) الناس وحرضهم على الجهاد وانقاذ البلاد والعباد من حكام الجور والفساد . وأعلن (عليه السلام) أنه سيسير بنفسه إلى قتال معاوية بالشام ، حماية لمهج المسلمين من بغيه ، وجوره وطغيانه .

شرع (عليه السلام) في تجهيز جيش صالح للزحف على الشام ، وقبل أن يفرغ من تجهيز هذا الجيش جاءته أنباء مروعة عن مجازر حدثت في الحجاز ، واليمن لم يعرف الناس لها مثيلاً في الجاهلية أو في الإسلام .

وسبب تلك المجازر أن معاوية بعث إلى الحجاز واليمن جيشاً كثيفاً بقيادة بسر بن أرطأة العامري وهو رجل شديد الفجور، . . .قاسي القلب . . وكان سفاكاً للدماء شريراً لا رأفة عنده ولا رحمة . . شديد

العداء لآل البيت وعلى الأخص لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

جهز معاوية بسر بن أرطأة في جيش كثيف ، وقال له : سر حتى تمرّ بالمدينة ـ مدينة الرسول ـ فاطرد الناس ، واخف كل من مررت به ، وانهب أموال كل من أحصيت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا .

فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم . . . واخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر . . الخ .

هكذا كانت وصية معاوية لبسر بن أرطأة ، وهكذا كانت وصيته لكل من كان يرسلهم من عصابات الإرهاب للتنكيل بالمسلمين الذين لم يدخلوا في طاعته .

وكان قد أوصى سفيان بن عوف الغامدي ، بقوله : اقتل من لقيت ، وأخرب كل ما مررت به ، وانهب الأموال ، ولا تأخذك بهم شفقة أو رحمة . . .

وكذلك أمر معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، بالفتك والتنكيل بالمسلمين كما أسلفنا . .

وها هو يزود بسر بن أرطأة العامري بوصاياه الخبيثة فيأمره بقوله : اقتل . . واطرد . . . واهدم الدور . . واخف . . وانهب . . . الخ .

وتمضي عصابات الإرهاب بتنفيذ أمر أميرها معاوية وتضيف عليه من لؤمها ، وحقدها على الإنسانية الكثير من الفتك والسفك وهدم المنازل وسلب الأموال وأخيراً سبي النساء والأطفال وبيعهن في الأسواق .

وإنه عندما وصل بسر بن أرطأة إلى المدينة المنورة : شتم أهلها ، وتهددهم ، وتوعدهم ، وأحرق دوراً كثيرة ، منها دار زرارة بن حرون ، ودار عمرو بن عوف ، ودار رفاعة ابن رافع الرزقي ، ودار أبي أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] .

---

(١) الشيعة والحاكمون : للشيخ محمد جواد مغنية ص ٥١ .

وفي مروج الذهب للمسعودي : في سنة أربعين ، بعث معاوي بن أبي سفيان بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف للإغارة على الحجاز واليمن ـ فسار حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري[1] فتنحى .

وجاء بسر حتى صعد المنبر ، وتهدد أهل المدينة بالقتل ، فأجابوه إلى بيعة معاوية[2] .

وفي أعيان الشيعة عن ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات وابن الأثير في حوادث سنة أربعين ، أن معاوية بعث بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف ، وقال : سر حتى تمر بالمدينة ومكة وصنعاء ، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا .

فقدم بسر المدينة وبها أبو أيوب الأنصاري عامل علي عليها ، فهرب أبو أيوب ، ودخلها بسر ، فصعد منبرها ، وشتم الناس ، وتهددهم .

وشتم الأنصار ، فقال : يا معشر اليهود ، وأبناء العبيد . . الخ .

وهدم بها دوراً ، وأكره جماعة على البيعة ، منهم جابر بن عبد الله . واستخلف عليهم أبا هريرة .

ثم أتى بسر مكة ، فهرب عامل علي ، قثم بن العباس ، فشتمهم بسر وأنبهم ، وقتل في طريقة رجالاً ، وأخذ أموالاً ، وأكره الناس على البيعة[3] .

وفي تاريخ الطبري : كتب أبو موسى الأشعري إلى اليمن : أن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس ، وتقتل من أبى أن يقر بالحكومة .

ثم مضى بسر بن أرطأة إلى اليمن ، وكان عليها عبيد الله بن

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٣ ص ٣٠ ط ١٩٥٨ ـ مصر .

(٢) أعيان الشيعة : ج ١ ص ٥٢٩ ـ ط دار التعارف بيروت .

عباس ، عاملاً لعلي . فلما بلغه مسيره فر إلى الكوفة حتى أتى علياً ، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن . فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه .

ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس ، وفيه ابنان له صغيران ، فذبحهما ، وقد قال بعض الناس أنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية .

فلما أراد بسر قتلهما ، قال الكناني : علامَ تقتل هذين ـ الطفلين ـ ولا ذنب لهما . . . ؟! فإن كنت قاتلهما فاقتلني .

قال بسر : أفعل فبدأ بالكناني ، فقتله . ثم قتلهما . ثم رجع بسر إلى الشام . وقد قيل : إن الكناني قاتل عن الطفلين حتى قتل . وكان اسم أحد الطفلين الذين قتلهما بسر عبد الرحمن . والآخر قثم .

وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن[1] .

وفي أعيان الشيعة عن ابراهيم الثقفي : أن بسر قتل في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً ، وحرق قوماً بالنار[2] .

وذكر الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه « علي إمام المتقين » إنه لما دخل بسر بن أرطأة اليمن هدد أهلها بالقتل ، إن لم يبايعوا لمعاوية ، فرفضوا أن ينخلعوا من طاعة علي ، وأبوا أن يبايعوا لمعاوية فأعمل فيهم ابن أرطأة القتل . . .

بدأ بقتل عبد الله بن عبد مدان الحارثي ، الذي استخلفه عبيد الله بن عباس بدلاً منه على اليمن . . .

ثم قتل ـ بسر ـ مالك بن عبد الله بن عبد مدان . . .

وذهب إلى بيت عبيد الله بن عباس فلم يجد به أحداً ، فاحرقه ،

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .
(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٥٣٠ .

وعلم أن امرأة عبيد الله وطفليهما في بادية بني كنانة . . . فلما عرف مكانها ذهب إليها ، فأخذ الطفلين ، وأراد ذبحهما . فقال له صاحب البيت : إن كنت قاتلهما فاقتلني معهما !!

وقاتل الرجل حتى قُتل . . . فأخذ بسر بن أرطأة الطفلين من أحضان أمهما فذبحهما أمامها ، وأمام نسوة بني كنانة . فقالت إمرأة منهن :

ما هذا ؟! قتلت الرجال . . . فلم تقتل الولدان ؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام ! . . . والله إن سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الضعيف والصغير ، والشيخ الكبير ، وبرفع الرحمة ، وعقوق الأرحام لسلطان سوء . . !

فقال لها بسر : والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف . . .

فقالت : والله إنها لأخت التي صنعت - من ذبح الطفلين - وما أنا لها منك بآمنة . . .

ثم قالت للنساء اللائي حولها : ويحكن . . تفرقن ! . . .

وبعد أن فرغ ابن أرطأة من إبادة الرجال والولدان ، سبى النساء المسلمات ، وباعهن في الأسواق !!

فكنّ أول مسلمات تسبين في الإسلام !! . . . كما كانت رأس محمد بن أبي بكر أول رأس طيف به في الإسلام . . . وكما كانت بيعة معاوية خليفة في عهد علي أول انقسام للدولة في الإسلام(١) .

وأما اليعقوبي فقد ذكر في تاريخه قصة بسر بن أرطأة بتمامها وما فعله من أفعال وحشية . . من قتل . . وفتك . . وهدم دور . . . وسبي للمسلمات : قدم الطفلين . فذبحهما فقالت أمهما ترثيهما . . .

ها من أحس من ابني الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

---

(١) علي إمام المتقين : للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي : ج ٢ ص ٣٢١ .

إلى آخر ما هناك من أبيات ذكرناها في ترجمة عبيد الله بن عباس .

ثم جمع بسر أهل نجران فقال : يا أخوان النصارى أما والله لئن بلغني عنكم أمراً أكرهه ، لأكثرن قتلاكم .

ثم سار نحو جيشان[1] وهم شيعة لعلي (عليه السلام) فقاتلهم ، فهزمهم ، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، ثم رجع إلى صنعاء .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد : أن بسر بن أرطأة حينما رجع إلى صنعاء قتل بها مائة شيخ من أبناء فارس ، لأن ابني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم ، تعرف بابنة بزرج[2] .

---

(١) جيشان : باليمن كان ينزلها جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين ، فسميت به وهي مدينة وكورة يُنسب إليها الخمر السود . وقال الكلبي : وبها تعمل الأقداح الجيشانية وقالت أم صريع الكندية :

هوت أمهم ماذا بهم ، يوم صُرعوا	بجيشان من أسباب مجد تصرما
أبوا أن يفروا والقنا في صدورهم	وأن يرتقوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة	ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما

راجع معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ١٦ بزرج كلمة فارسية : معناها الكبير .

مسير جارية بن قدامة السعدي لقتال بسر بن أرطأة

لما بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) خبر غارة بسر بن أرطأة على الحجاز واليمن من قبل معاوية بن أبي سفيان . وما أحدثته هذه الغارة من قتل وتشريد وهدم منازل وأسر للأبرياء وغير ذلك قام (عليه السلام) في الناس خطيباً فقال كما جاء في تاريخ اليعقوبي وغيره :

« أيها الناس أن أول نقصكم أولى النهى والرأي منكم ، الذين يحدثون فيصدقون ، ويقولون فيفعلون .

وإني قد دعوتكم عوداً وبدءاً . . وسراً وجهراً . . . وليلاً ونهاراً . . . فما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً . . . ما تنفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة . . .

أما والله إني لعالم بما يصلحكم . . . ولكن في ذلك فسادي . . .

أمهلوني قليلاً . . . فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ، ويعذبكم . . . ويعذبه الله بكم . . .

إن من ذل الإسلام ، وهلاك الدين ، أن ابن أبي سفيان ـ معاوية ـ يدعو الأراذل ، والأشرار فيجيبون . . . ! وأدعوكم وأنتم لا تصلحون فتراعون . . .

هذا بسر بن أرطأة قد سار إلى اليمن وقبلها إلى مكة والمدينة » .

فقام جارية بن قدامة السعدي[1] فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمنا الله قربك ، ولا أرانا فراقك ، فنعم الأدب أدبك ، ونعم الإمام والله أنت . . .

إنا لهؤلاء القوم . . . فسرحني إليهم .

قال (عليه السلام) : « تجهز فإنك ما علمتك الرجل في الشدة والرخاء . . . المبارك . . . الميمون النقيبة » .

ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي ، فقال : أنا انتدب يا أمير المؤمنين .

---

(١) في الإصابة للعسقلاني : جارية بن قدامة السعدي صحابي ، ذكره ابن سعد فيمن نزل البصرة من الصحابة . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : له صحبة . وفي الإصابة أيضاً بعد سلسلة من الأسناد عن جارية بن قدامة أنه قال : قلت : يا رسول الله أوصني وأقلل . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تغضب . الحديث . وفي الإستيعاب لابن عبد البر : جارية بن قدامة السعدي يكنى أبا عمرو . وقيل أبا أيوب : وقيل أبا يزيد . روى عنه أهل المدينة وأهل البصرة وكان من أصحاب علي (عليه السلام) في حروبه . وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين عن تهذيب التهذيب قال العسكري : جارية بن قدامة السعدي تميمي ، شريف لحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وروى عنه ثم صحب علياً وكان شجاعاً فاتكاً . وأخرج ابن عساكر عن الفضل بن سويد قال : وفد جارية بن قدامة على معاوية ، فقال له معاوية : أنت الساعي مع علي بن أبي طالب والموقد النار في شعلك تجوس قرى عَربية تسفك دماءهم ؟ ـ وقدامة هذا أرسله علي (عليه السلام) إلى البصرة حين قدمها ابن الحضرمي الذي أوقع فيها فتنة كبيرة بأمر معاوية فحاصره قدامة وحرق عليه داره ـ قال جارية : يا معاوية دع عنك علياً فما أبغضنا علياً منذ أحببناه ولا غششناه منذ صحبناه ، قال : ويحك يا جارية ، ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية ، قال : أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سمعوك معاوية . قال : لا أم لك قال : أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها بصفين . قال : إنك لتهددني ؟ قال : إنك لم تملكنا قسرة ، ولم تفتحنا عنوة ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق فإن وفيت وفينا . وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً وادرعاً شداداً واسنة حداداً فإن بسطت إلينا فترا من غدر دلفنا إليك بباع من ختر . قال معاوية : لا أكثر الله في الناس أمثالك .

قال (عليه السلام) : « انتدب بارك الله عليك » .

فخرج جارية في الفين ، ووهب بن مسعود في الفين وأمرهما علي (عليه السلام) أن يطلبا بسراً حيث كان حتى يلحقاه فإذا اجتمعا فرأس الناس جارية فخرج جارية من البصرة ، ووهب من الكوفة حتى التقيا بأرض الحجاز .

وقد عهد علي (عليه السلام) لجارية بن قدامة بقوله :

« أوصيك يا جارية بتقوى الله فأنها جموع الخير ، وسر على عون الله ، فالق عدوك الذي وجهتك له ، ولا تقاتل إلاّ من قاتلك ، ولا تجهز على جريح ، ولا تسخرّن دابة وإن مشيت ومشي أصحابك . ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم ، ولا تشربن إلاّ فضلهم عن طيب نفوسهم .

ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة ، فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه . . .

ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة - أي أهل الذمة - واذكر الله ولا تفتر ليلاً ولا نهاراً ، واحملوا رجالتكم . . وتواسعوا في ذات أيديكم . . .

واجدد السير . . واجل العدو من حيث كان . . . واقتله مقبلاً . . . وارده بغيظه صاغراً . . .

واسفك الدم في الحق . . واحقنه في الحق . . .

ومن تاب فاقبل توبته وإخباري في كل حين بكل حال . . .

والصدق . . الصدق . . فلا رأي للكذوب » .

وفي تاريخ اليعقوبي أيضاً : أن جارية بن قدامة سار في طلب بسر بن أرطأة فما كان يلتفت إلى مدينة ، ولا يعرج على شيء حتى انتهى إلى اليمن ونجران فقتل من قتل ، وهرب منه بسر[1] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ١٨٧ - ١٨٩ .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، عن الكلبي وأبي مخنف : ندب علي (عليه السلام) أصحابه لبعث سرية في أثر بسر ، فتثاقلوا . . . وأجابه جارية بن قدامة السعدي فبعثه في الفين .

فشخص ـ جارية ـ إلى البصرة ، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن . وسأل عن بسر ، فقيل : أخذ في بلاد بني تميم ، فقال : أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم .

وبلغ بسر بن أرطأة مسير جارية ، فانحدر إلى اليمامة . . .

وأغذّ جارية بن قدامة السير ، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها ، ولا إلى أهل حصن ، ولا يعرج على شيء إلاّ أن يُرمل[1] بعض أصحابه من الزاد، فيأمر أصحابه بمواساته . أو يسقط بعير رجل أو تحفي دابته فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن . فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجبال . واتبعهم شيعة علي (عليه السلام) ، وتداعت عليهم من كل جانب ، وأصابوا منهم . . .

وقصد ـ جارية ـ نحو بسر ، وبسر بين يديه يفرّ من جهة إلى جهة أخرى ، حتى أخرجه من أعمال علي (عليه السلام) كلها .

فلما فعل به ذلك ، أقام جارية بحرس[2] نحواً من شهر ، حتى استراح وأراح أصحابه . ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية ، لسوء سيرته ، وفظاظته ، وظلمه ، وغشمه[3] .

---

(١) يقال : أرمل القوم إذا نفد زادهم .

(٢) حرس ساكنه : مياه بني عقيل بنجد. معجم البلدان لياقوت .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ١٦ .

وقفـــة تأمـــل

في الصراع بـين الحق والباطـل . . وبين الـورع والطمـع ، بـون شاسع . . .

هذا الصراع الرهيب الذي كانت الناس تضطرب في بحر أمواجـه خـاصة في الفـترة التي تلت مقتل عثـمان بن عفان ، وبـويع عـلي بن أبي طالب خليفة للمسلمين . .

في تلك الفـترة أطـل أهــل الأطـماع ، والأغــراض ، والأهـواء رؤوسهم ، وراحوا يشنون حرباً شعواء على كل من يدعـوهم إلى الورع والتقوى ، وتجنب الباطـل ، والعمل عـلى طبق شريعة الإسـلام وتعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

هـذه الأطـماع والأغـراض والأهـواء هي التي حملت الصحـابيـين طلحة والزبير على نكث بيعة علي . . .

وهي أيضاً : كانت السبب في معركة الجمل في البصرة . . .

وهي أيضاً : حملت الكثير من المسلمين على اتبـاع معاويـة بن أبي سفيـان والإنحياز إليـه لنيل مـآربها من جـاه . . أو سلطان . . فأيـدته حتى أصبح للباطل صولة . . . فكان من نتائجها حينئذٍ تمادي معاوية في تمرده وعصيانه . . . وشنه حربـاً على الحق وأعـوانه . . . وأوقدها فتنة عميـاء

بقيت آثارها إلى يومنا هـذا فسقمت الضمائـر . . وفسدت السرائـر . . . وألقت الفتنة بجرانها على المسلمين[1] .

ـ ليت شعـري : كيف عميت البصائـر عند الكثير من المسلمـين الذين حفوا بمعاوية واستساغوا أفعاله ، ووراحوا يؤيدونـه تأييـداً أعمى ! يمهـدون له السبـل للوصـول إلى السلطان الـذي كـان يعمـل لـه بكـل وسيلة ، لا يهمه في سبيل الوصول إليـه سلوك أي طريق . . . بـالحلال أو الحلام . . . بالظلم أو الطغيان . . . بالغي أو انتهاك الحرمات . . .

وإذا أمعنا النظر وألقينـا نظرة إلى المـاضي نرى أن جميـع تصرفات معاوية بن أبي سفيـان ، كانت حلقـات متصلة من الأساليب الغـريبة ، تبـدأ بالمـراوغـة . . . مـروراً بـالكيـد والحيـل . . . ووصـولاً إلى القتـل والفتــك ، والنهب والتـدمــير ، وسبي النســاء المسلمات . . وبيعهن في الأسواق . .

ـ ليت شعري : كيف ران على قلوب جمـع كثير من المسلمـين من شيـوخ وشباب فلم يعـوا مـا يفعلون . . ووراء من يلهثـون . . . ! ومن يؤيدون !!

حتى أصبحـوا وكأن عـلى قلوبهم أقفـالهـا فلم يعـودوا يميـزوا بـين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إمـام الحق ، وربيب النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) ووارث علمــه ، ووصيه في أمتـه ، وحامـل لوائـه ، والـذاب عنه في مـواقفه ، حتى قـال (صلى الله عليـه وآله وسلم) يـوم الخندق ـ عندما برز عـلي لعمرو بن عبـد ود العامـري فارس المشركـين ـ « برز الإسلام كله إلى الشرك كله » .

ـ ليت شعــري : كيف لم يميـز الكثـير من المسلمـين بـين عــلي (عليه السلام) إمام الحق صاحب الصفات العظيمـة والأخلاق الكـريمة

---

(١) الجـران من البعير : مقـدم عنقه : ويقـال ألقى البعير جـرانه أي بـرك . وألقي عليه جرانه أي أثقاله . المنجد في اللغة .

سليل هاشم .. وبين معاوية الذي أبوه أبو سفيان رأس الشرك والطغيان ، وأمه هند آكلة الأكباد ... سليل الطلقاء ... ومن المؤلفة قلوبهم ..

ـ وليت شعري : أي وقرٍ آصمّ آذان الكثير من المسلمين حتى نسوا قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق علي إمام المتقين : « علي مع الحق والحق مع علي » .

ـ وليت شعري : أي غشاوة أغشت أبصارهم فراحوا يلهثون وراء ما استحدث معاوية من منكرات ! ... وتغاضوا عن السبل الملتوية التي كان يسلكها معاوية ... ولم يسمعوا منه سوى كلمات كان ظاهرها الإسلام ، وباطنها الغدر ، والخيانة .

كان صاحب الحظوة عند معاوية من ينفذ أوامره ، ويساعده على تركيز سلطانه ولو على جماجم المسلمين ...

ولنا من موقف معاوية مع سفيان بن عوف الغامدي الذي أرسله للإغارة على الأنبار ونواحيها ، فقد أجازه وقربه إليه .

وكذلك موقف معاوية من بسر بن أرطأة الذي أرسله للإغارة على الحجاز واليمن ، وأمره بالتنكيل بأهل الحرمين ـ مكة والمدينة ـ وألا تأخذه على أحد منهم رأفة ولا شفقة .

وعندما نفذ بسر بن أرطأة أوامر معاوية ورجع إليه ملطخاً بدماء الأبرياء وملوثاً بالجرائم والآثام التي ارتكبها ، ومحملاً بالمال الحرام الذي سلبه ونهبه ، استقبله معاوية استقبال الغزاة الفاتحين وكافأه أجزل مكافأة ، وأثنى عليه أعظم الثناء .. !

ـ وليت شعري .. أي خليفة للمسلمين هذا ؟!

وأي عمال عماله ؟! الذين لا هم لهم سوى القتل وسفك الدماء ...

وأين معاوية من أمير المؤمنين علي .. وعماله من عماله ...

ووصاياه التي كان يزودهم بها من وصايا علي التي كان يزودهم بها .

معاوية يوصي عماله بأخذ البيعة له لتركيز سلطانه وقتل كل من لم يكن على رأيه . . .

لكن علياً (عليه السلام) كان على عكس ذلك تماماً . . . ولنا من وصيته لجارية بن قدامة السعدي الذي أرسله (عليه السلام) لقتال بسر بن أرطأة لإنقاذ أهل الحرمين ـ مكة والمدينة واليمن ـ من شره شاهد على ذلك ، ولا بأس بإيراد ملخّص هذه الوصية .

أوصاه (عليه السلام) بقوله : « أوصيك يا جارية بتقوى الله . . ولا تقاتل إلّا من قاتلك ، ولا تجهز على جريح ، ولا تسخرّن دابة وإن مشيت ومشى أصحابك.

ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم . . ولا تشربن إلّا فضلهم عن طيب نفس ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة . . .

ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة . . .

واجل العدو من حيث كان ، واقتله مقبلاً واردده بغيظه صاغراً .

واسفك الدم بالحق واحقنه بالحق .

ومن تاب فاقبل توبته . . . الخ » .

وعلى هذا فقد افترق المسلمون إلى فرقتين . . متقاتلتين . . .

فرقة أعطت ولاءها لعلي (عليه السلام) . . . ولاء تقوى . . . وورع . . . وصلاح وحب في الله . . . واتباع تعاليم الرسول الأعظم ووصاياه . . .

وفرقة أعطت ولاءها لمعاوية بن أبي سفيان . . . ولاء تطلع . . . وطمع وحب للدنيا . . .

واين الثريا وأين الثرى وأين الحسام من المنجل

حول خطبة الشقشقية

لا يخفى أن خطبة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) المعروفة بالشقشقية قد اشتملت على الكثير ما جرى له (عليه السلام) منذ اليوم الأول من وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن وصلت الخلافة إليه وتسلم مقاليدها .

وهذه الخطبة البليغة بما اشتملت عليه من أحداث ووقائع فجاءت صورة ملخصة تبين لنا بوضوح ما لاقاه (عليه السلام) في عهد من سبقه من الخلفاء . . . في أيام أبي بكر . . وعمر . . . وعثمان . . . من الصعوبات والأزمات السياسية والعقبات التي اعترضت خلافته التي لا مجال لذكرها الآن .

على أن هذه الخطبة قد ذكرها المؤرخون ، وأصحاب السير ، ورواها الرواة، وتناقلتها الألسن على مدى الأجيال لأنها كانت صورة واضحة صريحة لمواقفه (عليه السلام) في عهد الخلفاء الثلاثة الذين استولوا على السلطة قبله .

وما كانت تلك الخطبة إلّا تنفيساً لما ضاق به صدره (عليه السلام) ، وما كان يعتلج في قلبه من تألم ، وتأوه على ما لقيه من الظلم . . . والضيم من المسلمين المناوئين له . . . الذين تركوا وصايا

الرسول الأعظم في حقه وذهبوا إلى حيث مطامعهم .

وإذا أمعنا النظر في خطبته ـ الشقشقية ـ نجد مدى التألم الذي كان ينتابه (عليه السلام) في كثير من مراحل حياته حيث يقول :

« أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة[1] وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى[2] ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير[3] فسدلت دونها ثوباً . . وطويت عنها كشحاً[4] وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء . . . أو أصبر على طخية عمياء[5] يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه . . .

فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى[6] فصبرت ، وفي العين قذى[7] وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهباً[8] حتى مضى الأول لسبيله ، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده . ثم تمثل بقول الأعشى :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر[9]

---

(١) لقد تقمصها : أي جعلها كالقميص مشتملة عليه ، والضمير للخلافة .

(٢) وهو أنه (عليه السلام) من الخلافة في الصميم ، وفي وسطها وبحبوحتها ، كما أن القطب وسط الرحى .

(٣) ينحدر عني السيل : يعني رفعة منزلته كأنه في ذروة جبل ينحدر السيل عنه إلى الوهاد ـ ولا يرقى إلى الطير : هذه في الرفعة والعلو لأن السيل ينحدر من الجبال وأما تعذر رقي الطير فكأنه يقول (ع) إني لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها .

(٤) فسدلت . . الخ : كناية عن غض نظره عنها ، وسدل الثوب أرخاه . وطوى عنها كشحاً : مال عنها .

(٥) الجذاء : المقطوعة ، والمراد هنا ليس ما يؤيدها . والطخية : الظلمة ، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق .

(٦) أحجى به : أي أخلق به . والحجى بمعنى العقل . أي رأى الصبر على الحالة التي وصفها أولى بالعقل .

(٧) وفي العين قذى : أي صبرت على مضض كما يصبر الأرمد .

(٨) وفي الحلق شجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . وأرى تراثي نهباً : كنى عن الخلافة بالتراث .

(٩) حيان وجابر ابنا السمين الحنفيان . كان حيان نديم الأعشى ، فغضب عليه في قصة =

فيا عجباً . . بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته . . . ! لشد ما تشطرا ضرعيها . . . ![1] فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها[2] ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم[3] فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة . . .

حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في ستة زعم أني أحدهم . . .[4] .

فيا لله وللشورى . . . ! متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر !

لكني أسففت إذ أسفّوا ، وطرت إذ طاروا[5] فصغا رجل منهم

= طويلة خرج الأعشى على ناقته وهو يقول : شتان بين يومي وأنا في الهاجرة أسير على كور هذه الناقة ويوم حيان وهو في سكرة الشراب . ناعم البال في قصيدة طويلة لا مجال لذكرها .

وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فقد استشهد بقول الأعشى والمراد منه والله العالم : شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض علي من الأمر ومنيت به من انتشار الحبل ، واضطراب أركان الخلافة . . . وبين يوم عمر بن الخطاب حيث وليها على قاعدة ممهدة ، وأركان ثابتة ، وسكون شامل ، فانتظم أمره ، واطرد حاله ، وسكنت أيامه . بعد أن عقدها له أبو بكر وسلمه مقاليدها .

(١) الضرع : مدر اللبن للشاة والبقرة ونحوها وهو كالثدي للمرأة وتشطر ضرعيها : اقتسما فائدتها ونفعها ، والضمير عائد للخلافة .

(٢) فصيرها في حوزة خشناء : أي في جهة معية المرام شديدة الشكيمة . والكلم : الجرح .

(٣) الصعبة من النوق ما لم تُركب ولم ترض ، إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها . وإن أسلس زمامها تقحم في المهالك . والخبط السير على غير جادة . والشماس : النفار . والتلون : التبدل والإعتراض السير بعجرفة .

(٤) الستة هم أصحاب الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب لانتخاب الخليفة . وهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص .

(٥) يقول عليه السلام : إن عمر لما طُعن جعل الخلافة في ستة هو أحدهم ثم تعجب =

لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهنٍ[1] .

إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه ، بين نثيله ومعتلفه[2] . وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع[3] إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته[4] .

فما راعني إلاّ والناس إلي كعرف الضبع ، ينثالون علي من كل جانب ، حتى لقد وطيء الحسنان ، وشق عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم[5] .

فلما نهضت بالأمر ، نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وفسق آخرون[6] كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : ﴿ **تلك الدار الآخرة**

= فقال : متى اعترض الشك فيّ مع أبي ابكر حتى أقرن بسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأمثالهما ! لكني طلبت الأمر وهو موسوم بالأصاغر منهم كما طلبته أولاً وهو موسوم بأكابرهم أي هو حقي فلا استنكف من طلبه . فقال : فأسففت إذا أسفوا . إلخ .

(١) كان سعد بن عم عبد الرحمن وكان في نفسه ضغن على علي لأن أمه حمنة بن أبي سفيان وعلي قتل صناديدهم . وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان لأن زوجته أم كلثوم أخت عثمان لأمه . وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلاة بينهما .

(٢) نافجاً حضنيه : رافعاً لهما . والحضن : ما بين الإبط والكشح ، يقال للمتكبر : جاء نافجاً حضنيه ويقال أيضاً : لمن امتلأ بطنه طعاماً . والنثيل : الروث . والمعتلف : موضع العلف .

(٣) الخضم الأكل بكل الفم ، وهو أنهم على قدم عظيمة من النهم وشدة الأكل وامتلاء الأفواه .

(٤) انتكث فتله : انتقض . وأجهز عليه عمله : أي تمم قتله ، وكبت به بطنته : كبا الجواد إذا سقط لوجهه . والبطنة الإسراف في الشبع .

(٥) كربيضة الغنم : أي القطعة الرابضة من الغنم . يصف (عليه السلام) شدة ازدحامهم حوله .

(٦) فأما الطائفة الناكثة ، فهم أصحاب الجمل ، وأما الطائفة الفاسقة ، فأصحاب صفين وسماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القاسطين . وأما الطائفة المارقة ، فأصحاب النهروان .

وأشرنا بقولنا سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القاسطين إشارة إلى قوله=

نجعلهـا للذين لا يـريـدون علواً في الأرض ولا فسـاداً والعـاقبـة للمتقين ﴾[1] .

بلى والله لقد سمعوها ووعـوها ، ولكنهم حليت الـدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها[2] .

أمـا والذي فلق الحبـة ، وبرأ النسمـة ، لولا حضـور الحـاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر[3] ، وما أخـذ الله على العلماء ألا يقـاروا على كظة ظالم[4] ، ولا سغب مـظلوم لألقيت حبلها عـلى غاربهـا ، ولسقيت آخرها بكأس أولها[5] ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز .

= لعلي : « ستقاتل بعدي الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين » وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه وآله ، لأنه أخبار صريح بالغيب ، لا يحتمل التمويه وصدق قـوله : « والمارقين » في الخوارج : « يمرقـون من الدين كـما يمرق السهم من الـرمية » وصـدّق قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناكثين . كونهم نكثوا البيعة بادىء بدء . وقد كان علي (عليه السـلام) يتلو وقت مبايعتهم لـه :﴿ فمن نكث فـإنما ينكث عـلى نفسه ﴾ سورة الفتح الآية ١٠ وأما أصحاب صفين ، فإنهم القاسـطون وهم المخلدون في النار لفسقهم . فصح فيهم قوله تعالى : ﴿ وأما القاسـطون فكانـوا لجهنم حطبـاً ﴾ سورة الجن الآية ٢١٥ .

(١) سورة القصص : الآية ٨٣ .

(٢) حليت الـدنيا في أعينهم : راقت لهم من حليت المرأة إذا تزينت بحليهـا . والـزبـرج الزينة من وشي أو جوهر أو غيره ، ويقال : الزبرج الذهب .

(٣) قوله : لولا حضور الحـاضر : يمكن أن يريـد به . . لـولا حضور البيعـة ، فإنها بعـد عقدها ، تتعين المحاماة عنها ، ويمكن أن يريد بـالحاضر من حضره من الجيش الـذين يستعين بهم على الحرب . وقولـه : وقيام الحجـة بوجـود الناصر : أي لـولا وجود من ينصرني . . . لا كما كانت الحال عليها أولاً بعد وفاة رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، فـإني لم أكن حينئـذٍ واجـداً للنـاصر مـع كـوني مكلفـاً ألا أمكن الـظالم من ظلمه .

(٤) الكظة : بكسر الكاف : مـا يعتري الإنسـان من الثقل والكـرب . والسغب : الجوع والمراد : هضم حقوق المظلوم .

(٥) لا لقيت حبلها على غاربها الخ : يقال : قد ألقى فلان حبـل فلان عـلى غاربـه : أي تركه هملا يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانـع ، ومراده هنـا ـ لتركت الخـلافة ، ولرفضتها الآن كما رفضتها قبل . ولوجدتم هذه الدنيا عندي أهون من عفطة عنز .

وفي شرح النهج لإبن أبي الحديد . وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته ، فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه . فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت ؟

فقال (عليه السلام) : هيهات يا بن عباس ! . . . تلك شقشقة هدرت ثم قرّت[1] ولهذا سُميت هذه الخطبة . الشقشقية .

أقول : لقد شكك في صدور هذه الخطبة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعض الكتاب ، وراحوا يتناولونها بالشك . . . ويفندونها بالنقد على حسب أهوائهم وميولهم . ودعواهم في هذا أنه لا يمكن أن تصدر هذه الكلمات عن علي (عليه السلام) بحق من تقدمه من الخلفاء ، مع أنه رضي بخلافتهم .

والنفي لهذا الشك عندي هو أن الخطبة قد أظهرت الصورة الواقعية التي كان عليها أمير المؤمنين علي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأظهرت أيضاً : صورة واضحة عن الحياة الإجتماعية والسياسية التي كان عليها المجتمع الإسلامي من حين انتقال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى . . . حتى وصلت الخلافة إليه .

ومن تتبع التاريخ بتحقيق وتدقيق ، وتأمل دامعان ، وتحكيم ضمير يرى أن ما لاقاه (عليه السلام) من جراء يوم السقيفة . . من حين بويع أبو بكر . . . إلى خلافة عمر . . . إلى مقتل عثمان ، تلك

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١ ص ١٥١ إلى صفحة ٢٠٣ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
وشرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده : ج ١ ص ٣٠ ـ ٣٧ طبعة دمشق .

الحقبة من الزمن يجد المتأمل أن الخطبة قد اشتملت على أحداث مؤلمة ، وصعوبات كانت تعترض سبيله .

ـ منها يوم السقيفة . . . ومنها عهد الخليفة الأول لصاحبه عمر بن الخطاب . . . ومنها جعله في أحد الستة أصحاب الشورى ، وتحت مشيئة عبد الرحمن بن عوف واختياره ، حتى كان عثمان صاحب السهم الأوفر وهي آخر حلقة من مؤامرة دبرت لتحول دون وصوله (عليه السلام) للخلافة ولا مجال لسرد الوقائع والأحداث . . . فالتاريخ شاهد على ذلك .

وتوخياً للرد على من شكك بهذه الخطبة ، ووقف منها موقف الحذر أمثال الأستاذ الباقوري الذي يقول في كتابه ـ علي إمام الأئمة ـ ص ٦٨ ـ .

« خطبة الإمام التي نقف منها موقف الحذر الذي لا يرحب بكل ما يلقى إليه من روايات تاريخية لا تسلم من هوى جامح ، ولا من حقد متربص . . »الخ .

ثم يبدأ الأستاذ الباقوري بنقد تلك الخطبة نقداً يتراآى من خلاله التحامل على الكلمات الواردة فيها والتي في نظره تغض من قدر أبي بكر وعمر وعثمان . . . والحقيقة أنها لا تغض من قدر أحد بل هي صورة واضحة شفافة عن حقيقة الحياة الإجتماعية والسياسية التي كانوا عليها .

ولا أبالغ إن قلت أن الأستاذ الباقوري من وراء نقده للكلمات الوااردة في الخطبة الآنفة الذكر والتي لم توافق هواه . . . أنه لم يسلم هو من الهوى الجامح . . . ولا من الحقد المتربص . . .

هدانا الله وإياه لسلوك طريق العدل والإنصاف فلا يأخذه الهوى بعد ذلك عندما يكتب . فلا يميل . . بل يتحرى الحقائق التاريخية بغير غلو أو تحيز .

ولسنا الآن بصدد ردود أو مناقشة ، ولكني أسفت جداً حينما

قرأت هذه الكلمات في كتابه المذكور حيث أن الكتاب صدر عن رجل كاتب كان الأجدر به أن يبذل جهده في التمحيص والتحقيق . . والله ولي التوفيق .

ما نُسب لعبد الله بن عباس من مفارقته لأمير المؤمنين علي وأخذ مال البصرة

خاض كتاب السير والتراجم في موضوع اعتزال عبد الله بن العباس رضي الله عنه لإبن عمه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : وتناولوا هذه القضية بالرواية والتحليل حتى بدت الصورة بألوان كشيفة صارخة ، وحتى أخرجوها على نحو من الدقة والمبالغة ما يكاد يحمل المتأمل العاقل على الشك فيها أصولاً وفروعاً . . .

لكن الحقائق غنية عن الأخذ والرد ، خصوصاً لمن عرف شخصية ابن عباس ، ومدى ولائه وإخلاصه لابن عمه أمير المؤمنين علي(عليه السلام) .

فمن هو ابن عباس يا ترى . . . ؟ هذا الذي استطارت به الأخبار . . وجرت في سيرته أقلام المحدثين والقدامى من كتاب السيرة والتراجم . . ؟

جاء في الإستيعاب لابن عبد البر : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشي الهاشمي ، يكنى أبا العباس وهو ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن عم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

كان ابن عباس جليل القدر ، عظيم الشأن . . يلقب بحبر الأمة . . . والبحر لفيض علمه ومهابته .

وُلد ابن عباس وبنو هاشم بالشعب ـ شعب أبي طالب ـ وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى الطائف ، ومات بها وهو ابن سبعين سنة ، وقيل : ٧١ سنة ، وقُيل : ٧٤ سنة .

وصلى عليه محمد بن الحنفية ـ ابن أمير المؤمنين علي ـ وقال : اليوم مات رباني هذه الأمة ، وضرب عليه فسطاطاً . . .

وفي الإستيعاب أيضاً : أنه روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعبد الله بن عباس : « أللهم علمه الحكمة . . . وتأويل القرآن .

وشهد عبد الله بن عباس مع أمير المؤمنين علي الجمل ، وصفين ، والنهروان . . . الخ .

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني : أن علياً (عليه السلام) ولاه البصرة ، وكان ابن عباس على الميسرة يوم صفين ، واستخلف أبا الأسود على الصلاة ، وزياداً على الخراج . وكان استكتبه .

فلم يزل ابن عباس على البصرة والياً حتى قُتل علي (عليه السلام) ، فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز .

ومواقف ابن عباس مع ابن عمه علي وأولاده مشهورة مشكورة .

ونسب بعض الرواة والمؤرخون أنه أخذ ما في بيت مال البصرة عندما كان والياً عليها من قبل علي أمير المؤمنين ، وهرب بالمال إلى مكة . وانحاز عن ابن عمه علي وفارقه . . . إلى آخر ما هنالك من الروايات . .

واستدلوا على ذلك بكتاب لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) أرسله لابن عباس يعظه فيه . . ويؤنبه . . . الخ .

وقال بعض المؤرخين : هذه الأخبار والروايات غير معلوم صحتها

ويمكن أن تكون في أخيه عبيد الله بن العباس . فإن عبد الله بن العباس لم يفارق علياً (عليه السلام) ، ولا باينه ، ولا خالفه ، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وحال ابن العباس في المحبة والإخلاص لأمير المؤمنين وموالاته والنصر له في حياته وبعد وفاته ، والخصام في رضاه مما لا شبهة فيه .

وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه : كتب أبو الأسود الدؤلي ـ وكان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة ـ إلى علي (عليه السلام) يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم .

فكتب إليه ـ علي (عليه السلام) ـ يأمره بردها . . . فامتنع . . . .

فكتب إليه : ـ عليه السلام ـ يقسم له بالله . . . لتردنها . . .

فلما ردها عبد الله بن عباس ، أورد أكثرها ، كتب إليه علي (عليه السلام) :

« أما بعد : فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته . . . ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه . . . فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً . . . وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً . . . واجعل همك لما بعد الموت والسلام » .

فكان ابن عباس يقول : ما اتعظت بكلام قط اتعاظي بكلام أمير المؤمنين[1] .

وذكر الحر العاملي في وسائله : عبد الله بن العباس ، حاله في الجلالة والأخلاص لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) أشهر من أن يخفى ، ورُوي فيه قدح ، وهو أجل من ذلك . قاله العلامة : وبعض الذم الوارد فيه محمول على أنه في أخيه عبيد الله[2] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ص ١٩٤ .
(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ٢٣٩ .

أقول : بعد الإطلاع على ما خاض فيه المؤرخون وأصحاب السير في قصة عبد الله بن العباس وأخذه ما في بيت المال بالبصرة ، واعتزاله لابن عمه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . . . لا يمكننا نحن إلا القول : بأن لا مجال للنفي . . . أو الإثبات خصوصاً بعدما روى جماعة إنكار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وكتابته له .

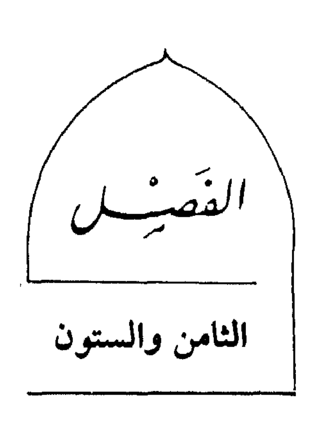
والفصل في هذا المجال صعب جداً خصوصاً بعد ما رُوي الكثير من الروايات في هذا الشأن والتي لا مجال لذكرها الآن .

وعلى كل حال . . . على تقدير صحة الروايات القائلة بأن ابن عباس أخذ ما في بيت مال البصرة لا يمكننا إلّا القول بأن ابن عباس ليس بمعصوم ولا هو من المعصومين ، وهو بشر يمكن أن يصدر منه ذلك وقد طبعت نفوس البشر على حب الدنيا . . . فيجوز أنه أخذ شيئاً من بيت مال البصرة وذهب به .

ولكن لما كتب إليه أمير المؤمنين علي ووعظه ، وطلب منه إرجاع المال ، والعدول عن إطاعة النفس الأمارة بالسوء وألا يفرح لما يحويه في الدنيا بل يكن همه لما بعد الموت . . .

سمع ابن عباس كلام علي واتعظ به وأطاع أوامره ، وأعاد المال لما كان عليه كما ذكر اليعقوبي وغيره من المؤرخين المنصفين الذين بروؤا ابن عباس مما رُوي عنه . . . والله العالم بحقائق الأمور .

وقد ذكرنا بعضاً من ترجمة ابن عباس رضي الله عنه في باب سابق من هذا الكتاب .


الفصل
الثامن والستون



آذنت الشمس بالمغيب

سلام الله عليك يا أبا الحسن . . . يا أمير المؤمنين . . ويا إمام المتقين . . . كان لا بد لجسدك الطاهر أن يرتاح . . .

وكان لا بد له من نهاية جهادية . . . وعبادية . . .

كان لا بد لهذا الجسد الذي أرهقته نفس كبيرة . . . صقلها صدق الإيمان ، وعمق الأخلاص ، وصفاء الرؤيا ، وعظم الشعور بالمسؤولية ، وقمة تحملها . .

وأرهقه قلب كبير جمع بين جموح العاطفة ، وشدة الحزم ، ورجاحة العقل ، ومنتهى الشجاعة .

بدأ (عليه السلام) بداية جهادية ، منذ نعومة أظفاره ، منذ التاسعة من عمره ـ أو العاشرة ـ أي قبل بلوغه الحلم . . . وتدور الأيام . . . وله في كل يوم واقعة . . . أو معضلة ، أو معركة ، أو تعليم ، أو عطاء ، أو تضحية . . . فإننا لا نجد صورة فنية لمسلم مجاهد أروع من علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

جسد أتعبته الأيام ، ومرور السنين ، وتعاقب الأحداث ، مع العقلية السخيفة ، والدنيا المنافقة التي كانت حوله ، والمجتمع البالي الذي كان يرزح تحت الأطماع والأحقاد الجاهلية . . . فكان لا بد له أن يرتاح . . .

أوليس هـو القائـل : « والله لولا حضـور الحاضر ، وقيـام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله عـلى العلماء ألّا يقاروا عـلى كظة ظـالم ولا سغب مـظلوم ، لألقيت حبلها عـلى غاربهـا ، ولسقيت آخـرهـا بكـأس أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز » .

لقد قُيض لهذا الجسد الطاهر أن يكون الوحيد في بني البشر . . . يبدأ وليداً في بيت الله ـ في الكعبـة المشرفة أعـلا الله شأنها . . . وينتهي شهيداً في بيت آخر من بيوت الله . . . في مسجد الكـوفة الـذي ورد في فضله أمر عظيم .

كـان (عليه السـلام) يسعى لهذه النهـاية ، ويتمنى قـربهـا لحـظة بلحظة . . . يحن إليها حنين النيب ، وينشدّ إليها إشداد الرضيع لثـدي أمه . . . ويشتاقها اشتياق يعقوب ليوسف . . .

وكـــانت صرختـه المشهــورة ســلام الله عليــه : « فـــزت ورب الكعبة . . » .

كانت هذه الصرخة تعبيراً صادقاً لهذا الجسد الـذي أنهكته عـظم المسؤوليـة : عن عشقه لهـذه اللحظة . . لحـظة الراحـة وبدايـة السعادة الأبدية .

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير خبر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب (عليـه الســلام) بسيف عبـد الـرحمن بن ملجم المـرادي الخـارجي لعنه الله في سنـة أربعين للهجـرة في شهر رمضـان المبارك . . واختلفـوا في تحـديـد الليلة التي ضُرب فيهـا (عليــه السـلام) ، فمنهم من قال : قتل علي بن أبي طالب في شهر رمضان ـ يـوم الجمعة ـ لتسـع عشرة خلت منـه ، وقيـل : لسبــع عشرة ، وقيـل : لإحــدى عشرة ، وقيل : لثلاث عشرة بقيت منه . . . والأول أصح ، وهـو المشهور عنـد أكثر المؤرخين ، وعلى الأخص الشيعة الإمامية[1] .

---

(١) في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير : أنه قُتل (عليه السلام) يـوم الجمعة . ولعـل =

جـاء في تاريـخ ابن الأثير عن عثـمان بن المغـيرة أنـه قـال : كـان علي(عليه السلام) لما دخل شهر رمضـان ، يتعشى ليلة عند الحسن . . وليلة عند الحسين (عليهـما السلام) وليلة عنـد عبد الله بن جعفـر ، لا يزيد على ثلاث لقم ، ويقول :

« أحب أن يـأتيني أمـر الله وأنــا خميص . . . وإنمـا هي ليلة أو ليلتان . . . »

فلم تمض ليلة حتى قُتل (عليه السلام) .

وقال الحسن بن كثير عن أبيـه قال : خـرج علي (عليـه السلام) من الفجـر ، فأقبـل الأوز يصحن في وجهه ، فـطردوهن عنه ، فقـال : « ذروهن فإنهن نوائح . . . » فضربه ابن ملجم لعنه الله في ليلته .

وقـال الحسن بن علي (عليهـما السلام) يـوم قُتل عـلي : خرجت البارحة وأبي يصلي في مسجد داره ، فقال لي :

« يـا بُني إني بت أوقظ أهـلي . . . . لأنها ليلة الجمعـة ، صبيحـة بدر . . . فملكتني عيناي ، فنمت ، فسنح لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت :

- يا رسول الله . . . ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟[1] .

فقال لي رسول الله : ادع عليهم . . .

فقلت : اللهم ابدلني بهم من هو خير منهم . . وابدلهم بي من هو شر مني » .

فجـاء ابن النبـاج ، فـآذنـه بـالصـلاة . . . فخـرج وخـرجت خلفه . . .

= الصواب . . . ما يأتي عن الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد ناقلاً عن أبي مخنف أنه ضرب (عليـه السلام) ليلة الأربعـاء ، وقبض ليلة الجمعة . . . وإنـه وقع اشتبـاه بـين ليلة الضرب وليلة الوفاة والله أعلم .

(١) الأود : العوج - واللدد : الخصومات .

وفي المسجد ضربه ابن ملجم وهو ساجد في محرابه . . فقتله .

وكان علي (عليه السلام) إذا رأى ابن ملجم قال : أريد حياته ويريد قتلي . . الخ .

وفي تاريخ ابن الأثير أيضاً : أن علياً (عليه السلام) كان يقول : « ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذه » يعني لحيته من دم رأسه[1] .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٩٥ .

الفاجعة الأليمة

ذكر الشيخ المفيد في إرشاده : ما رواه جماعة من أهل السير : منهم أبو مخنف ، وإسماعيل بن راشد ، وأبو هاشم الرفاعي ، وأبو عمرو الثقفي وغيرهم : إن نفراً من الخوارج ، اجتمعوا بمكة ، فتذاكروا الأمراء ، فعابوهم . . . وعابوا أعمالهم . . .

وذكروا أهل النهروان أيضاً : وترحموا عليهم ، فقال بعضهم لبعض : لو أنا شرينا أنفسنا لله ، فأتينا أئمة الضلال ، فطلبنا غرتهم ، وأرحنا منهم العباد والبلاد لله . . . وثأرنا لأخواننا الشهداء بالنهروان .

فتعاهدوا عند انقضاء الحج على ذلك .

فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ : أنا أكفيكم علياً . .

وقال البرك بن عبد الله التميمي : أن أكفيكم معاوية . . .

وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفكم عمرو بن العاص . . .

وتعاهدوا على ذلك . . وتواثقوا على الوفاء . . . واتعدوا لشهر رمضان في ليلة تسع عشرة منه ، ثم تفرقوا على ذلك .

أقبل ابن ملجم ـ لعنه الله ـ وكان عداده في كنده ، حتى قدم

الكوفة ، فلقي بها أصحابه ، وكتمهم أمره ، مخافة أن ينتشر منه شيء . فهو في ذلك إذ زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب ، فصادف عنده قطام بنت الأخضر التيمية ـ لعنها الله ـ وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قتل أباها ، وأخاها بالنهروان ، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها .

فلما رآها ابن ملجم شغف بها ، واشتد إعجابه بها ، وسأل في نكاحها . وخطبها . . . فقالت له : ما الذي تُسمي لي من الصداق . . ؟

فقال لها ـ ابن ملجم ـ : احتكمي ما بدا لك . . .

فقالت له : أنا محتكمة عليك ، ثلاثة آلاف درهم ، وعبداً ، وقينة ، وقتل علي بن أبي طالب . . .

فقال لها : لك جميع ما سألتِ . . فأما قتل علي بن أبي طالب فأنّى لي بذلك . . ؟

فقالت : تلتمس غرته . . فإن أنت قتلته ، شفيت نفسي . . وهنأك العيش معي . . وإن أنت قُتلت ، فما عند الله خير لك من الدنيا .

فقال : أما والله ما أقدمني هذا المصر ، وقد كنت هارباً منه ، لا آمن مع أهله ، إلاّ ما سألتيني من قتل علي بن أبي طالب . . . فلك ما سألت . .

قالت : فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ، ويقويك .

ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب ، فخبرته الخبر ، وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله ، فتحمل ذلك لها . .

وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع ، يقال له ـ شبيب بن بجرة فقال له : يا شبيب . . هل لك في شرف الدنيا والآخرة . . .

قال شبيب : وما ذاك ؟

قال ـ ابن ملجم ـ : تساعدني على قتل علي بن أبي طالب . . . وكان شبيب على رأي الخوارج . . .

فقال له : يا بن ملجم . . . هبلتك الهبول . . لقد جئت شيئاً إداً . . ! وكيف تقدر على ذلك؟[1] .

فقال له ابن ملجم : نكمن له في المسجد الأعظم ، فإذا خرج لصلاة الفجر ، فتكنا به ، وإن نحن قتلناه شفينا أنفسنا . . وأدركنا ثأرنا .

فلم يزل به حتى أجابه . . فأقبل معه حتى دخلا المسجد على قطام وهي معتكفة في المسجد قد ضربت عليها قبة .

فقالا لها : قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل .

فقالت لهما : إذا أردتما ذلك فأتياني في هذا الموضع . فانصرفا من عندها . فلبثا أياماً ، ثم أتياها ومعهما الآخر ـ وردان ـ ليلة الأربعاء لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة . . .

فدعت لهم قطام بحرير فعصبت به صدورهم ، وتقلدوا أسيافهم ، ومضوا وجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الصلاة .

وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

فواطأهم الأشعث على ذلك ـ ووعدهم بالإعانة ـ .

---

(١) وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : قال له شبيب : ويحك لو كان غير علي كان أهون ، قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام ، وما أجدني أنشرح لقتله ، قال ـ ابن ملجم ـ : أما تعلمه قتل أهل النهروان والعباد الصالحين ؟ قال : بلى : قال : فنقتله بمن قتل من أصحابنا فأجابه . .

وحضر الأشعث بن قيس لعنه الله في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه .

وكان حجر بن عدي رحمه الله في تلك الليلة بائتاً في المسجد ، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم : النجاء . . . النجاء . . لحاجتك فقد فضحك الصبح .

فأحس حجر بما أراد الأشعث ، فقال له : قتلته يا أعور . . .

وخرج حجر مبادراً ليمض إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليخبره الخبر ، ويحذره من القوم .

فخالفه أمير المؤمنين (عليه السلام) في الطريق ـ حيث جاء المسجد من طريق آخر ـ فدخل (عليه السلام) المسجد ، فسبقه ابن ملجم لعنه الله ، فضربه بالسيف .

فأقبل حجر بن عدي والناس يقولون قُتل أمير المؤمنين[1] .

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني عن أبي مخنف أنه قال : حدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي ، قال :

إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره ، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريباً من السدة[2] قياماً وقعوداً ، وركوعاً وسجوداً ، ما يسأمون . . . إذ خرج علي (؛ عليه السلام) لصلاة الفجر .

فأقبل ينادي : الصلاة . . الصلاة ، فما أدري أنادى أم رأيت بريق السيف . . . وسمعت قائلاً يقول : الحكم لله يا علي لا لك ، ولا لأصحابك . . ثم رأيت بريق سيف آخر ثانياً ، وسمعت علياً يقول : لا يفوتنكم الرجل .

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد : ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢) السدة : بالضم ـ كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه ، وقيل : هي الساحة بين يديه .

وفي مقاتل الطالبيين أيضاً عن اسماعيل بن راشد : إن شبيب بن بجرة ضرب علياً (عليه السلام) فأخطأه ، ووقعت ضربته في الطاق - وفي رواية الطبري وابن الأثير : وقع سيفه بعضادة الباب - .

وضربه ابن ملجم لعنه الله فأثبت الضربة في وسط رأسه .

وقال عبد الله بن محمد الأزدي : وشد الناس عليه من كل ناحية حتى أخذوه .

وقيل أخذه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب طرح عليه قطيفة ثم صرعه ، وأخذ السيف من يده ، وجاء به .

وأما شبيب بن بجرة فإنه خرج هارباً ، فلحقه رجل - من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فأخذه الحضرمي وصرعه ، وجلس على صدره بعد أن أخذ السيف من يده ليقتله ، فرأى الناس يقصدون نحوه ، فخشي أن يعجلوا عليه ولا يسمعوا منه ، فوثب عن صدره ، وخلاه ، وطرح السيف من يده . . .

ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله ، ودخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره ، فقال له : ما هذا . . .؟! لعلك قتلت أمير المؤمنين . . . فأراد أن يقول له : لا . . . فقال : نعم . . .

فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه ، ثم دخل عليه ، فضربه به حتى قتله .

وذكر الطبري أما وردان الذي طلبته قطام ليساعد ابن ملجم على قتل أمير المؤمنين علي - ووردان من تيم الرباب من قومها - فقد هرب حتى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه ، وهو ينزع الحرير عن صدره . . . فقال له : ما هذا الحرير والسيف ؟ .

فأخبره بما كان .

فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله . الخ .

وذكر الأصفهاني أيضاً عن عبد الله بن محمد الأزدي أنه قال : أدخل ابن ملجم لعنه الله على علي (عليه السلام) ، ودخلتُ عليه فيمن دخل ، فسمعت علياً يقول :

« النفس بالنفس . . . إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني ، وإن سلمت رأيت فيه رأي » .

فقال ابن ملجم لعنه الله : والله لقد ابتعته ـ أي السيف ـ بألف ، وسممته بألف ، فإن خانني فأبعده الله .

ونادته أم كلثوم : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين . . .

قال ـ ابن ملجم ـ : إنما قتلت أباك .

قالت أم كلثوم : يا عدو الله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس . . .

قال لها ابن ملجم : فأراك إنما تبكين علياً . . . إذاً والله لقد ضربته ضربة لو قُسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم[1] .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة : أُدخل ابن ملجم على علي بعد ضربه إياه ، فقال (عليه السلام) :

« أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا ولي دمي ، إما عفوت . . . وإما اقتصصت . وإن أمت فألحقوه بي . . الخ »[2] .

وفي الإستيعاب لابن عبد البر : اختلف في صفة أخذ ابن ملجم . فلما أُخذ قال علي (عليه السلام) : أحبسوه ، فإن مت فاقتلوه ، ولا تمثلوا به ، وإن لم أمت فالأمر إلي في العفو أو القصاص . . . الخ .

واختلفوا أيضاً : هل ضربه ـ ابن ملجم ـ في الصلاة أو قبل الدخور فيها . . . ؟

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١٦٠ .

وهـل استخلف من أتم بهم الصـلاة ؟ . . . أو هـو أتمهـا . . . ؟ والأكـثر أنـه استخلف جعــدة بن هبـيرة فصــلى بهم تلك الصـلاة والله أعلم[1] .

وفي بحار الأنوار للمجلسي : بإسناد أخي دعبل عن الرضا ، عن آبائه ، عن علي بن الحسين (عليهم السلام) قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان معـه آخر ، فوقعت ضربته على الحائط .

وأمـا ابن ملجم ، فضربه ، فـوقعت الضربـة وهـو سـاجـد عـلى رأسه .

والمشهـور أنه (عليـه السلام) ضـرب وهـو سـاجـد في محـرابـه بمسجد الكوفة صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان والله العالم .

هذا ما كان من أمر عبد الرحمن بن ملجم المرادي مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

وأما البرك بن عبد الله التميمي الخارجي وهو أحد الذين تعاقـدوا عـلى قتـل كــل من ـ عـلي بن أبي طــالب ـ ومعـاويــة بن أبي سفيـان ـ وعمرو بن العاص ـ فإنه ذهب إلى الشـام ليقوم بـالمهمة المـوكولـة إليه ، ويفي بما اتفق عليه مع صاحبيه من قتل معاوية .

فقد ذكر الأصفهاني في مقاتـل الطالبيـين عن أبي مخنف أنه قـال : أمـا صاحب معـاوية وهـو البرك بن عبـد الله التميمي فإنـه قصده ، فلما وقعت عينه عليه ، فضربـه فوقعت ضربتـه في إليته . وأخـذ . . . فجاء الطبيب إلى معاوية ، فنظر إلى الضربة فقال :

إن السيف مسموم . . . فاختر ، إما أن أحمي لك حديدة فاجعلها في الضربة فتبرأ . . . وإما أن أسقيك دواء فتبـرأ وينقطع نسلك . .

---

(١) الإستيعاب لابن عبد البر : حاشية الإصابة لابن حجر العسقلاني : ج ٣ ص ٥٩ .

قال معاوية : أما النار فلا أطيقها . . . وأما النسل ففي يزيد ، وعبد الله ما يقر عيني ، وحسبي بهما . . .

فسقاه الطبيب الدواء ، فعوفي وعالج جرحه حتى التأم ، ولم يولد بعد ذلك .

وقال البرك بن عبد الله التميمي لمعاوية : إن لك عندي بشارة .

قال معاوية : وما هي ؟

فأخبره البرك بخبر صاحبيه ، وقال له : إن علياً يقتل في هذه الليلة ، فأحبسني عندك ، فإن قُتل فأنت ولي ما تراه في أمري ، وإن لم يُقتل أعطيتك العهود . . والمواثيق أن أمضي فأقتله ، ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم بما تراه . فحبسه عنده ، فلما أتاه أن علياً قد قتل خلى سبيله .

وأما عمرو بن بكر التميمي وهو صاحب عمرو بن العاص ، فإنه وافاه في تلك الليلة وقد وجد علة ، فأخذ دواء ، واستخلف رجلاً يصلي بالناس ، يقال له خارجة بن أبي حبيبة أحد بني عامر بن لؤي .

فخرج للصلاة ، وشد عليه عمرو بن بكر فضربه بسيفه فأثبته ، وأخذ الرجل فأتي به عمرو بن العاص فقتله[1] .

---

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٣٠ ط دار المعرفة بيروت .

بعد ضربة ابن ملجم

كانت برهة من الهول والجزع . . وساعة ضجيج تكـاد أن تزلـزل الأرض من جرائها ، حينما ضرب اللعين ابن ملجم المرادي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

عصف الحـزن والأسى بأهـل الكوفـة . . . وأصابهم الـذهول لمـا وقع . . . وكأنهم من شدة حزنهم وذهولهم أشباح بلا أرواح . . .

اشتد الحزن عليهم وذهبت بهم المخاوف لما سيترتب على فقـد أمير المؤمنـين (عليه السـلام) وقتله من المحن والمصائب . . . وضيـاع آمال المسلمين الصالحين التي عقدوها عليه بعد أن تسلم مقاليد الخلافة حيث أصبح بيده الحل والربط . . .

كـان المسلمون الصـالحون يـأملون أن ينجـز متـطلبـات الخـلافـة الإسـلامية العـادلة ، ويعيـد مـا كـان قـد اضمحـل وانهار من المسـاواة والعـدل والإنصاف . . . ويسـير بهم بسيرة الـرسول الأعـظم (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) فيحملهم عـلى سلوك الـطريق الـواضـح والمحجـة البيضاء .

أحـاط الناس بـأمير المؤمنـين علي (عليـه السـلام) بعـد الضربـة الفـاتكـة الأثيمة ، وحملوه إلى منـزلـه بعـد أن قـدم جعـدة بن هبـيرة

المخزومي[1] ليصلي بالناس الغداة .

وعلت على وجوه الذين أحاطوا به سحائب قاتمة من الألم ، والأسى ، والحزن والتأسف حزناً على أمير المؤمنين (عليه السلام) . وأدخل إلى منزله ليؤتى له بالطبيب .

ففي مقاتل الطالبيين للأصفهاني عن أبي مخنف بعد سلسلة من الأسناد : إن علياً (عليه السلام) لما ضرب ، جُمع له أطباء الكوفة فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانيء السكوني[2]

---

(١) في الإصابة لابن حجر العسقلاني : ج ١ ص ٢٥٧ جعدة بن أبي هبيرة القرشي المخزومي ، أمه أم هاني بنت أبي طالب ، ولد على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وولي خراسان لعلي(عليه السلام) . وقال البخاري : له صحبة . وقال الحاكم في تاريخه : إن له رؤية . وفي الإصابة أيضاً : أما كونه له رؤية ، فحق . . . لأنه ولد في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو ابن بنت عمه أبي طالب وخصوصية أم هانىء بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيرة . وروى الطبراني من طريق ابن جريج عن أبي الزبير ، أنه حدثه عن مجاهد أنه حدثه عن جعدة بن هبيرة قال : نهاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أتختم بالذهب . . الحديث . وفي الإستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة ج ١ ص ٢٤٠ جعدة بن هبيرة القرشي المخزومي أمه أم هانىء بنت أبي طالب ولاه خاله علي بن أبي طالب على خراسان . قالوا : كان فقيهاً . وجعدة هو الذي يقول :

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ... ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى[1] علي بخاله ... كخالي علي ذي الندى وعقيل

وفي أعيان الشيعة عن الكشي : قال : وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان : إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك علي . فقال له جعدة : لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك . وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين : كان لجعدة في قريش شرف عظيم ، وكان له لسان ، وكان من أحب الناس إلى علي (عليه السلام) . وعن مصعب بن عبد الله الزبيري استعمل علي على خراسان جعدة بن هبيرة المخزومي وانصرف إلى العراق . ثم حج وتوفي بالمدينة .

(١) يبأى : بأى عليهم : فخر وتكبر : المنجد في اللغة .

(٢) كان أثير بن عمرو بن هاني السكوني من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم .

وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات .

وإن أثيراً ـ الطبيب لما نظر إلى جرح أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا برئة شاة حارة ، واستخرج عرقاً منها ، فأدخله في الجرح ، ثم استخرجه ، فإذا عليه بياض الدماغ . . . فقال له : يا أمير المؤمنين . . أعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك[1] .

وأما في خارج منزله (عليه السلام) فقد تدافعت الجموع بهلع وجزع . . جاؤا من جميع أنحاء الكوفة للإستفسار عن صحته وما آل إليه حاله بعد ضربة ابن ملجم الأثيمة . ولم يكن ليؤذن بالدخول عليه لكثرتهم إذ حالة أمير المؤمنين لا تساعد على استقبالهم .

وقف بالباب جماعة منهم يطلبون الأذن بالدخول عليه وفي مقدمتهم الأجلاء من أصحابه (عليه السلام) .

ففي بحار الأنوار عن الأصبغ بن نباتة ، قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) . عدونا[2] نفر من أصحابنا ، أنا ، والحارث ، وسويد بن غفلة[3] وجماعة

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٣٨ .

(٢) وفي آمالي الطوسي : غدونا عليه .

(٣) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢١٣ : سويد بن غفلة . . من أولياء أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قاله العلامة نقلاً عن البرقي . وفي الإستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة ج ٢ ص ١١٦ سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي ، يكنى أبا أمية ولد عام الفيل وكان قد أدّى الصدقة إلى مصدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قدم المدينة يوم دفن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم شهد القادسية ثم شهد سويد بن غفلة مع علي (عليه السلام) صفين وتزوج سويد بن غفلة جارية بكراً وهو ابن مائة وست عشرة سنة فافتضهاوكان يختلف إليها وقد أتت عليه سبع وعشرون ومائة سنة . سكن الكوفة ومات بها في زمن الحجاج بن يوسف سنة إحدى وثمانين وقيل ٨٢ .

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني : روى ابن عساكر في سلسلة من الأسناد عن أسامة بن أبي عطاء قال : كنت عند النعمان بن بشير فدخل سويد بن غفلة فقال له النعمان : ألم يبلغني أنك صليت خلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قال : =

معنا . فقعدنا على الباب . . . فسمعنا البكاء . . فبكينا . . .

فخرج إلينا الحسن بن علي (عليهما السلام) ، فقال : يقول لكم أمير المؤمنين (عليه السلام) انصرفوا إلى منازلكم . . .

فانصرف القوم غيرى ، فاشتد البكاء من منزله . . . فبكيت . . .

وخرج الحسن (عليه السلام) وقال : ألم أقل لكم . . انصرفوا ؟

فقلت : لا والله يا ابن رسول الله . . . لا تتابعني نفسي . . ولا تحملني رجلي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين (عليه السلام) . .

قال ـ الأصبغ بن نباتة ـ فبكيت . . .

ودخل الحسن (عليه السلام) فلم يلبث أن خرج فقال لي : ادخل . . .

فدخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فإذا هو مستند ، معصوب الرأس بعمامة صفراء . . . قد نزف الدم . . . واصفر وجهه . . ما أدري وجهه اصفر . . . أو العمامة . . . !

فأكببت عليه ، فقبلته ، وبكيت . . .

فقال لي : لا تبك يا أصبغ . . . فإنها والله الجنة . . . » .

فقلت له : جُعلت فداك إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة . . . وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين[1] .

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني عن أبي الطفيل : إن صعصعة بن صوحان[2] استأذن على أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

= مرة . . . ! لا . . بل مراراً وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا نودي بالأذان كأنه لا يعرف أحداً . وقيل جاوز المائة والثلاثين والله العالم .

(١) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢٠٤ .

(٢) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢١٧ . صعصعة بن صوحان ، عظيم القدر ، من أصحاب علي (عليه السلام) قاله العلامة وروى الكشي وغيره له مدحاً =

وقد أتاه عائداً . فلم يكن له عليه إذن . . .

فقال صعصعة للآذن : قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً ، فوالله لقد كان الله في صدرك عظيماً ، ولقد كنت بذات الله عليماً . . .

فأبلغه الآذن مقالة صعصعة . .

فقال له علي (عليه السلام) : قل له : وأنت يرحمك الله ، فلقد كنت خفيف المؤونة ، كثير المعونة[1] .

= جليلاً . وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني : ج ٢ ص ٢٠٠ . صعصعة بن صوحان العبدي كان مسلماً في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد صفين مع علي (عليه السلام) وكان خطيباً فصيحاً . وفي أعيان اشيعة : قام صعصعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر فقال : يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك ، اعتدل . . . تعتدل أمتك ، وقدم وفد أهل العراق على معاوية فقال : مرحباً بكم يا أهل العراق قدمتم أرض الله المقدسة منها المنشر وإليها المحشر . قدمتم على خير أمير يبر كبيركم ، ويرحم صغيركم . ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء وعقلاء . فأشار الناس إلى صعصعة بن صوحان فقام : فحمد الله وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدس الناس إلا أعمالهم . وأما قولك : إن منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها كافراً ولا يضر بُعدها مؤمناً . وأما قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء وعقلاء . فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان آدم (عليه السلام) ، فمنهم الحليم ، والسفيه ، والجاهل ، والعالم . فقال له معاوية : والله لأجفينك عن الوساد ، ولأشردن بك في البلاد ، فقال له صعصعة : والله إن في الأرض لسعة ، وإن في فراقك لدعة . في حوار طويل لا مجال لذكره . وذكر العسقلاني في إصابته : إن صعصعة مات بالكوفة في خلافة معاوية وقيل أن المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة ، أو إلى البحرين وقيل إلى جزيرة ابن طافان فمات بها رحمه الله . وفي الإستيعاب لابن عبد البر : صعصعة بن صوحان كان سيداً من سادات قومه عبد القيس وكان مسلماً على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يعد في أصحاب علي (عليه السلام) وكان ديناً فاضلاً بليغاً . . الخ .

(١) مقاتل الطالبيين لابن الفرج الأصفهاني : ص ٣٧ .

وفي أعيان الشيعة عن ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن عمرو وذي مر ، قال :

لما أصيب علي بالضربة ، دخلت عليه ، وقد عصب رأسه ، فقلت : يا أمير المؤمنين . . . أرني ضربتك ؟ . . . فحلها . . .

فقلت : خدش . . . وليس بشيء . . .

قال (عليه السلام) : إني مفارقكم . . .

فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب ، فقال لها : « اسكتي . . . فلو ترين ما أرى لما بكيت . . .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ماذا ترى ؟ .

قال (عليه السلام) : هذه الملائكة وفود ، والنبيون ، وهذا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « يا علي أبشر . . . فما تصير إليه خير مما أنت فيه . . »[1] .

وفي بحار الأنوار للمجلسي عن الأصبغ أن علياً (عليه السلام) قال : « لقد ضربت في الليلة التي قُبض فيها يوشع بن نون ، ولأقبضن في الليلة ، التي رُفع فيها عيسى بن مريم (عليه السلام) .

أقول : بعد أن أعطى الطبيب أثير بن عمرو بن هانىء السكوني رأيه عن مدى مفعول ضربة ابن ملجم لعلي (عليه السلام) . وإن الضربة كانت بسيف مسموم وقد وصلت إلى أم رأسه الشريف ، قال له : أعهد عهدك يا أمير المؤمنين . عند ذلك دعا ولديه الحسن والحسين فقال لهما كما جاء في تاريخ الطبري :

« أوصيكما بتقوى الله ، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما . . . وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغيثا الملهوف ، واصنعا للآخرة . . .

---

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٥٣٣ .

كونا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً . . . واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم . . .

ثم نظر إلى ـ ولده ـ محمد بن الحنفية ، فقال : « هل حفظت ما أوصيت به أخويك » ؟

قال : نعم . . .

قال (عليه السلام) : « فإني أوصيك بمثله . . . وأوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما . . . » .

ثم قال (عليه السلام) : « أوصيكما به ، فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه . . . » .

ثم قال للحسن : أوصيك أي بني بتوقوى الله وإقام الصلاة لوقتها . . . وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة إلّا بطهور .

وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش . . . »[1] .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : إن علياً (عليه السلام) قال لابنه الحسن : « أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي » ثم قال للحسن : إذا مت فلا تغال في كفني . . . وصل علي ، وكبّر علي سبعاً . . . وفي رواية خمساً . . . وغيب قبري . . . » .

وفي كتاب البحار للمجلسي عن أمالي الشيخ عن جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

لما احتضر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، جمع بنيه حسناً وحسيناً

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١١٣ .

ومحمد بن الحنفية ، والأصاغر من ولده ، فوصاهم ، وكان في آخر وصيته لهم :

« يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم . . . وإن فُقدتم بكوا عليكم . . يا بنيّ إن القلوب جنود مجندة ، تتلاحظ بالمودة . . . وتتناجى بها . . . وكذلك هي في البغض . فإذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم ، فارجوه . . . وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه .

وفي بحار الأنوار أيضاً عن نهج البلاغة : من كلام لعلي (عليه السلام) قُبيل موته على سبل الوصية :

« وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً . . . ومحمد (صلى الله عليه وآله) فلا تضيعوا سنته . . . أقيموا هذين العمودين ، وخلاكم ذم . . .

أنا بالأمس صاحبكم . . واليوم عبرة لكم . . . وغداً مفارقكم .

إن أبق فأنا ولي دمي . . وإن أفنى فالفناء ميعادي . . وإن أعف فالعفو لي قربة ، وهو لكم حسنة ، فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم . . ؟

والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته ، وما كنت إلّا كقارب ورد ، وطالب وجد ، وما عند الله خير للأبرار .

الوصيـــة

إن وصيـة أمير المؤمنـين علي بن أبي طـالب (عليـه السـلام) التي أوصى بهـا بعد ضربـة ابن ملجم لعنه الله وقبـل وفاتـه (عليه السـلام) ذكرها المؤرخون وأصحاب السير ، منهم أبو الفرج الأصفهاني : في كتابه مقـاتـل الـطالبيـين . . . . والـطبري في تـاريخـه : الأمم والملوك . . . والمجلسي في كتابه : بحار الأنوار . . . وغيرهم ، مع اختـلاف بسيط في بعض الألفاظ والعبارات .

ونحن الآن نذكرها حرفياً كما ذكرها العـلامة السيـد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة وهي . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى بـه أمير المؤمنـين علي بن أبي طـالب . . . أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأن محمداً عبـده ورسولـه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . .

ثم أن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمـين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . . .

أوصيكما ـ الحسن والحسين ـ بتقوى الله ، وأن لا تبغيا الـدنيا وإن

بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا بالحق ، واعملا للأجر ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً . . .

أوصيكما . . وجميع ولدي ، وأهل بيتي ، ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ، ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام ، وإن البغضة حالقة الدين » ولا قوة إلّا بالله . . . .

ـ انظروا ذوي أرحامكم ، فصلوهم يهون الله عليكم الحساب . . .

ـ والله الله في الأيتام . . لا تغيروا أفواههم[1] ولا يضيعوا بحضرتكم ، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار » .

ـ والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم . . .

ـ والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ، ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم . . .

ـ والله الله في بيت ربكم ، فلا يخلون منكم ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا وإن أدنى ما يرجع به من أمّه أن يغفر له ما سلف من ذنبه . .

ـ والله الله في الصلاة فإنها خير العمل ، وأنها عمود دينكم . . .

---

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في معنى قوله (عليه السلام) : « والله الله في الأيتام ، فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم » يحتمل تفسيرين : أحدهما لا تجيعوهم ، فإن الجائع يخلف فمه وتتغير نكهته . والثاني : لا تحوجوهم إلى تكرار السؤال ، والطلب ، فإن السائل ينضب ريقه ، وتنشف لهواته ، ويتغير ريح فمه .

ـ والله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم . . .

ـ والله الله في صيام شهر رمضان ، فإن صيامه جنة من النار . . .

ـ والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان ، إمام هدى . . ومطيع له مقتد بهداه . . .

ـ والله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم . .

ـ والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ، ولم يأووا محدثاً ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى بهم ، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم . والمؤوي للمحدث . . .

والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معايشكم . . .

ـ والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم ، فإن آخر ما تكلم به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » .

ثم قال : الصلاة الصلاة ،ولا تخافنّ في الله لومة لائم ، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم .

قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل . . ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الله الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . . .

عليكم بالتواصل . . والتبادل . . . والتبار ، وإياكم والتقاطع ، والتدابر ، والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، والتقوا الله إن الله شديد العقاب .

حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم ، واستودعكم الله خير مستودع ، واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته[1] .

---

(١) أعيان الشيعة : للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٥٣٣ ط دار التعارف في بيروت .

ثم لم ينطق إلاّ بلا إله إلاّ الله حتى تُوفي سلام الله عليه .

أقول : سكت سلام الله عليه عن الكلام ، ولم ينطق إلاّ بكلمة ـ لا إله إلاّ الله ـ كما روى ذلك المؤرخون واصحاب السير .

أجل سكت عن الكلام . . . وخفت صوته . . لكن صدى هذا الصوت العظيم اخترق المسامع عبر القرون والأجيال . . وبقيت تعاليمه القيمة وإرشاداته الصحيحة . . . وكلماته الرائعة نبراساً تضيء ظلمات النفوس . . . وشعلة من نور تنير طرق الهداية للسالكين .

سلام الله عليك يا أبا الحسن لقد عهدت عهدك ، وأوصيت بوصيتك التي استقرت في ضمير الإنسانية ، ونفوس المؤمنين . . . أديت ما عليك وجالدت الدنيا لتطهر القلوب ، وتنقي الأنفس ، وتركز قواعد الشريعة المقدسة ، وتنشر العدالة والمساواة بين الناس .

وما هو إلاّ يوم أو بعض يوم لترحل عن هذه الدنيا الزائلة ثم يكون اللقاء بأحب الخلق إليك ابن عمك وأخيك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

عاصفة هادرة تفجرت كأنها بركان ثائر حين أعلن نبأ وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الثلث الأخير من ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة . . .

تدفقت الجموع نحو بيت أمير المؤمنين مذعورة لهذا النبأ وكأنهم في يوم المحشر ، يلفها الذعر والأسى والألم وقد غاصت نفوسهم في الجزع لهول الفاجعة الأليمة . .

تعالت الصائحة واختلط النواح بانين التلهف والحسرات . . حتى غرقت مدينة الكوفة ـ حاضرة العراق ـ بالضجيج والبكاء الذي شق عنان السماء . .

وما تصنع هذه الأنفس الملتاعة المكلومة التي أحست بالضياع عندما انطفأ ذلك النور الذي كانت تستضيء به . . . وانهد الركن العظيم الذي كانت تلجأ إليه . . وتعتمد عليه . .

ففي أصول الكافي للكليني عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :

لما كان اليوم الذي قُبض فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ارتج

ـ إضطرب ـ الموضع بالبكاء ، ودُهش الناس كيوم قُبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجعٌ وهو يقول :

اليوم انقطعت خلافة النبوة . . . حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال :

رحمك الله يا أبا الحسن ، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناء ، وأحوطهم[1] على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وآمنهم على أصحابه ، وأفضلهم مناقب ، وأكرمهم سوابق ، وأرفعهم درجة ، وأقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأشبههم به هدياً ، وخلقاً ، وسمتاً[2] وفعلاً . . وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه . فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً . . .

ـ قويت حين ضعف أصحابه للّه أصحاب رسول الله ـ وبرزت حين استكانوا ، ونهضت حين وهنوا ، ولزمت منهاج رسول الله إذ همّ أصحابه ، وكنت خليفته حقاً لم تنازع ، ولم تضرع برغم النافقين ، وغيظ الكافرين ، وكره الحاسدين ، وصغر الفاسقين[3] .

ـ فقمت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت حين تتعتعوا ،[4] ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، فاتبعوك فهدوا ، وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلاهم قنوتاً[5] وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم نطقاً ، وأكبرهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم بالأمور .

---

(١) أحوطهم على رسول الله : أشدهم حياطة وحفظاً وصيانة وتعهداً له .
(٢) الهدى : الطريقة والسيرة . والسمت : هيئة أهل الخير .
(٣) في بعض النسخ : وضغن الفاسقين ، وهو الحقد ، والفشل ، والجبن .
(٤) التعتعة في الكلام : التردد فيه من حصر أو وعي .
(٥) في بعض النسخ : أعلاهم قدماء ، وأطيبهم كلاماً ، وأوصوبهم منطقاً .

ـ كنت والله يعسوباً للدين . . أولاً وآخراً : الأول حين تفرق الناس . . والآخر حين فشلوا . . .

ـ كنت للمؤمنين أبا رحيماً ، إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا ، وحفظت ما أضاعوا ، ورعيت ما أهملوا ، وشمرت إذ اجتمعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ أسرعوا ، وأدركت أوتار ما طلبوا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا . . .

ـ كنت على الكافرين عذاباً صباً ونهباً ، وللمؤمنين عمداً وحصناً ، فطرت والله بنعمائها ، وفزت بحبائها ، وأحرزت سوابقها ، وذهبت بفضائلها ، لم تفلل حجتك ، ولم يزغ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، ولم تخرّ[1] .

ـ كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف . . .

ـ كنت كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : أمن الناس في صحبتك ، وذات يدك . . .

ـ وكنت كما قال : ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، كبيراً في الأرض ، جليلاً عند المؤمنين .

ـ لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقائل فيك مغمز . . ولا لأحد فيك مطمع . . ولا لأحد عندك هوادة . . . الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه . . . والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق . والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء .

ـ شأنك الحق والصدق والرفق ، وقولك حكم ، وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، فيما فعلت . وقد نهج بك السبيل ، وسهل بك العسير ، وأطفئت بك النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوي بك الإسلام ، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، وثبت بك الإسلام

---

(١) من الخرور وهو السقوط ، وفي بعض النسخ : ولم تخن .

والمؤمنون ، وسبقت سبقاً بعيداً ، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً . . فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك في السماء ، وهدت مصيبتك الأنام . . فإنا لله وإنا إليه راجعون . .

رضينا عن الله قضاه . . . وسلمنا لله أمره . . فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وقنة راسياً[1] وعلى الكافرين غلظة وغيظاً فألحقك الله بنبيه ، ولا حرمنا أجرك ، ولا أضلنا بعدك . . .

وسكت القوم حتى انقضى كلامه ، وبكى وبكى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم طلبوه فلم يصادفوه[2] وفي عمدة الزائر للسيد حيدر الحسني الكاظمي : أن الرجل المذكور هو الخضر (عليه السلام) .

وفي تاريخ الطبري بعد سلسلة من الأسناد عن أبي خالد بن جابر أنه قال : سمعت الحسن يقول لما قُتل علي (عليه السلام) : وقد قام خطيباً فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن . .

وفيها رُفع عيسى بن مريم (عليه السلام) .

وفيها قُتل يوشع بن نون . . . فتى موسى (عليهما السلام) . .

والله ما سبقه أحد كان قبله . . . ولا يدركه أحد يكون بعده . . .

والله إن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليبعثه في السرية وجبرئيل عن يمينه . . وميكائيل عن يساره . .

والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا ثمانمائة ، أو سبعمائة أرصدها لخادمه[3] .

---

(١) القنة : الجبل . وراسياً : ثابتاً .
(٢) الأصول من الكافي الكليني الرازي : ج ١ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦ .
(٣) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١٢١ .

تغسيله عليه السلام . . وتكفينه . . والصلاة عليه

التحق أمير المؤمنين (عليه السلام) بالرفيق الأعلى فكان وقع نبأ وفاته خطباً عظيماً ، ومصاباً أليماً على أهل بيته وذويه وأصحابه المخلصين وجميع المؤمنين .

نهض الحسن والحسين (عليهما السلام) بأعباء ما يترتب عليهما من فعله ، وقاما بتنفيذ وصيته من حيث الغسل . . . والتكفين . . . والصلاة عليه . . ودفنه ،

ففي بحار الأنوار للمجلسي عن محمد بن الحنفية (رض) أنه قال : أخذنا في جهازه (عليه السلام) ليلاً . وكان الحسن (عليه السلام) يغسله . . . والحسين (عليه السلام) يصب الماء عليه . وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر . .

ثم نادى الحسن (عليه السلام) بأخته زينب ـ وأم كلثوم لله وقال : يا أختاه . . . هلمي بحنوط جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به . . فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة ، وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب . ـ فإنه من كافور الجنة جاء به جبريل (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم لفوه بخمسة أثواب كما أمر (عليه السلام)[1] .

وفي تاريخ ابن الأثير : لما مات علي رضي الله عنه وأرضاه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر . وكفن في ثلاثة أثواب ، ليس فيها قميص . وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات . . وفي تاريخ الطبري : تسع تكبيرات[2] .

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني : تُوفي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان سنة أربعين ، وولي غسله ابنه الحسن بن علي ، وعبد الله بن العباس .

وكفن في ثلاثة أثواب ، ليس فيها قميص .

وصلى عليه ابنه الحسن وكبر عليه خمس تكبيرات[3] .

وفي أعيان الشيعة : وكفن (عليه السلام) في ثلاثة أثواب بيض ، ليس فيهما قميص ، ولا عمامة ، بل كان القميص والعمامة من غيرها . وحُنط ببقية حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم وضعوه على سريره، وصلى عليه الحسن ابنه، وكبر خمساً . . . وقيل ستاً وقيل : سبعاً . . . وقيل : تسعاً . وحمل في جوف الليل من تلك الليلة إلى ظهر الكوفة إلى النجف فدفن بالثوية عند قائم الغريين[4] .

وفي هدأة الليل انتهى أولاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من تجهيز والدهم .

ووضعوه على سريره وصلى عليه ولده الحسن (عليه السلام) . . .

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢٩٤ .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٧ .
(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٤١ .
(٤) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج١ ص ٥٣٣ .

وحملوه في الثلث الأخير من الليل إلى ظهر الكوفة يحف به أولاده وذووه وخاصة أصحابه ليدفن في النجف ـ قرب الغريين ـ حسب وصيته (عليه السلام) .

ففي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في سلسلة من الأسناد عن الحسن بن علي الخلال ، عن جده ، قال : قلت للحسين[1] بن علي (عليه السلام) :

أين دفنتم أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟

قال : خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ، ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري[2] .

---

(١) في مقاتل الطالبيين : « الحسن بن علي » .

(٢) في تاج العروس للزبيدي : الغريان . . . وهما بناءان مشهوران بالكوفة عند الثوية حيث قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) . زعموا أنهما بناهما بعض ملوك الحيرة . وفي معجم البلدان لياقوت الحموي : الغري : نصب كان يذبح عليه القائر ـ وهي ذبائح الأصنام ـ والغريان طربالان ـ الطربال قطعة من جبل ـ أو قطعة من حائط تستطيل في السماء وتميل . . ـ وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإن الغريين بظاهر الكوفة بناهما المنذر بن امرىء القيس ابن ماء السماء . وكان السبب في ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد ، يقال لأحدهما : خالد بن نضلة . . . والآخر عمرو بن مسعود . فثملا ، وراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران ، فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ، ودفنهما حيين . فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر بالذي أمضاه فيهما ، فغمه ذلك . وقصد حفرتهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان ، فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري . . . لا يمر أحد من وفود العرب إلاّ بينهما ، وجعل لهما في السنة . . يوم بؤس ، ويوم نعيم . يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ، ويغري ـ أي ويطلي ـ بدمه الطربالين . فإن رفعت له الوحش طلبتها الخيل . . . وإن رُفع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ويطليان بدمه ـ وفي معجم البلدان أيضاً : مر معن بن زائدة بالغريين ، فرأى أحدهما قد شعث وهدم ، فأنشأ يقول :

لو كان شيء له أن لا يبيد على ... طول الزمان لما باد الغريان

ففرق الدهر والأيام بينهما ... وكل ألف إلى بين وهجران



دفن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

قضى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسيف الغدر صابراً محتسباً . . مجاهداً في سبيل الله . . . راضياً بما عند الله . . . وما عند الله خير وأبقى .

ـ قضى (عليه السلام) بعد جهاد طويل ، فكان المجاهد العظيم الذي لا يجاري جهاده جهاد . . ولا يصل إلى بطولته الرائعة بطولة التي يعجز عن وصفها القلم . . .

ـ قضى (عليه السلام) وهو الإمام العادل . . . الزاهد الورع الذي أعطى الإنسانية دروساً تضيء لها ظلمات النفوس . . .

ـ قضى (عليه السلام) بعد أن أعطى من علمه الشيء الكثير . . . فبقيت كلماته وتعاليمه منارات إشعاع . . . ومنابع حكمة . . ومثار عزائم . . . وعدة للمتقين المؤمنين . . . وقدوة يقتدى بها بعد كتاب الله عز وجل . . . والأحاديث النبوية الشريفة . . . أليس هو باب مدينة العلم . . . كما قال الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . أنا مدينة العلم وعلي بابها . . .

ـ قضى (عليه السلام) فريد زمانه فكان الأوحد الذي اجتمع له من عناصر العلم والحكمة والشرف ، ما لم يجتمع لأحد قبله ولا بعده

من بني البشر سوى الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ـ قضى (عليه السلام) فكان المثل الأعلى الذي اجتمعت في شخصه السامي المروءة والشجاعة والإقدام ، واجتمع فيه من مقومات القيادة ومعطيات الحكم . . . ونيل السياسة والنزاهة ما لم يجتمع في غيره . . . فكان (عليه السلام) العالم العامل . . . والقائد المحنك . . والحاكم العادل . . . والفقيه المتبحر . . والمربي العظيم .

ـ قضى (عليه السلام) في أقدس بقعة في بيت الله ـ بالكوفة ـ كما ولد في أقدس بقعة في بيت الله في الكعبة المشرفة . . . فكان فريداً في مولده . . فريداً في استشهاده . . . فسلام عليه يوم ولد . . ويوم استشهد . . ويوم يبعث حياً . .

جاء في الإرشاد للشيخ المفيد عن حيان بن علي العنزي[1] قال : حدثني مولى لعلي بن أبي طالب ، قال : لما حضرت أمير المؤمنين الوفاة قال للحسن والحسين (عليهما السلام) :

إذا أنا مت فاحملاني على سرير ، ثم اخرجاني واحملا مؤخر السرير ، فإنكما تكفيان مقدمه ، ثم إئتيا بي الغريين ، فإنكما ستريان صخرة بيضاء ، تلمع نوراً فاحتفرا فيها ، فإنكما تجدان فيها ساجة[2] فادفناني فيها .

---

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ١٨٤ حيان بن علي العنزي ، ثقة ، قاله العلامة . وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين حيان بن علي العنزي ـ هو حيان بن علي العنزي ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الصادق (عليه السلام) ، ووثقه النجاشي ، وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان صالحاً ديناً . . وفي تهذيب التهذيب ذكره ابن حيان في الثقاة . وقال : كان يتشيع . وقال العجلي كوفي صدوق كان وجهاً من وجوه أهل الكوفة ، وكان فقيهاً . وقال البزاز في السنن : صالح . وقال حجر بن عبد الجبار بن وائل : ما رأيت فقيهاً بالكوفة أفضل منه . وفي القاموس : حيان بن علي العنزي محدث . وفي تاج العروس : من أهل الكوفة ، روى عن الأعشى والكوفيين . مات سنة ١٧٢ .

(٢) الساجة : الأرض التي ليست بصلبة ولا لينة . وريح سجسج : الهواء المعتدل بين الحر والبرد .

قال : فلما مات أخرجناه وجعلنا نحمل مؤخر السرير ونكفى مقدمه ، وجعلنا نسمع دوياً وحفيفاً حتى أتينا الغريين ، فإذا صخرة بيضاء ، فاحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها . . هذه مما أدخرها نوح لعلي بن أبي طالب . . .

فدفناه فيها وانصرفنا[1] وفي حال ثبوتها تكون كرامة لعلي (عليه السلام) كما كانت ناقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مأمورة حين دخوله المدينة . وفي بحار الأنوار أنه قال لولده الحسن (عليهما السلام) : إذا أنا مت فادفنوني في هدا الظهر في قبر أخوي هود وصالح .

وفي رواية ثانية عن فرحة الغري أنه قال ادفنوني في قبر أخي هود .

وفي بحار الأنوار أيضاً عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه ضجت الكوفة بالبكاء والنحيب ، وخرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات ، فمنعهم الحسن (عليه السلام) ونهاهن عن البكاء والعويل وردهن إلى أماكنهن والحسين (عليه السلام) يقول :

لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . . إنا لله وإنا إليه راجعون . . . يا أباه وانقطاع ظهراه . . من أجلك تعلمت البكاء . . إلى الله المشتكى .

فلما انتهيا إلى قبره وإذا مقدم السرير قد وضع ، فوضع الحسن (عليه السلام) مؤخره ، ثم قام فصلى عليه والجماعة خلفه ، فكبر سبعاً كما أمره به أبوه (عليه السلام) .

ثم زحزحنا سريره وكشفنا التراب ، وإذا نحن بقبر محفور ، ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها : « هذا ما ادخره له جده نوح النبي للعبد الصالح الطاهر المطهر » .

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ص ١٩ .

وألحد أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل طلوع الفجر .

ولما ألحد أمير المؤمنين (عليه السلام) وقف صعصعة بن صوحان العبدي[1] رضي الله عنه على القبر ، ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب يضرب به رأسه ، ثم قال :

بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . . .

ثم قال : هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فلقد طاب مولدك ، وقوي صبرك ، وعظم جهادك ، وظفرت برأيك ، وربحت تجارتك وقدمت على خالقك ، فتلقاك الله ببشارته ، وحفّتك ملائكته ، واستقررت في جوار المصطفى ـ في الجنة ـ فأكرمك الله بجواره ، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى ، وشربت بكأسه الأوفى . .

فاسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك ، والعمل بسيرتك ، والموالاة لأوليائك ، والمعاداة لأعدائك ، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك . . .

لقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه أحد ، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده . وقمت بدين الله حق القيام ، حتى أقمت السنن ، وأبرت الفتن[2] واستقام الإسلام ، وانتظم الإيمان ، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام . . .

بك اشتد ظهر المؤمنين ، واتضحت أعلام السبل ، وأقيمت السنن ، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك . . .

سبقت إلى إجابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مقدماً مؤثراً ، وسارعت إلى نصرته ، ووقيته بنفسك ، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف ، والحذر .

---

(١) في وسائل الشيعة : صعصعة بن صوحان العبدي : عظيم القدر ، من أصحاب علي (عليه السلام)

قاله العلامة ، وروى الكشي وغيره له مدحاً جليلاً . وقد تقدمت ترجمته .

(٢) وأبرت الفتن : أبره : أصلحه .

قصم الله بك كل جبار عنيد ، وذل بك كل ذي بأس شديد ، وهدم بك حصون أهل الشرك ، والكفر والعدوان والردى ، وقتل بك أهل الضلال من العدى .

فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين . . كنت أقرب الناس من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قرباً ، وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً وفهماً . .

فهنيئاً لك يا أبا الحسن ، لقد شرف الله مقامك ، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نسباً ، وأولهم إسلاماً ، وأوفاهم يقيناً ، وأشدهم قلباً ، وأبذلهم لنفسه مجاهداً ، وأعظمهم في الخير نصيباً فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أذلنا بعدك .

فوالله لقد كانت حياتك مفاتيح للخير ، ومغاليق للشر . . . وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير . ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . . ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة .

ثم بكى بكاء شديداً ، وأبكى كل من كان معه . . وعدلوا إلى الحسن والحسين (عليهما السلام) ، ومحمد وجعفر والعباس ويحيى وعون وعبد الله رضي الله عنهم فعزوهم بأبيهم (عليه السلام) وانصرف الناس .

ورجع أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وشيعتهم إلى الكوفة ، ولم يشعر بهم أحد من الناس[1] .

(١) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .



لماذا دفن أمير المؤمنين علي ليلاً . . ؟

سلام الله عليك يا أبا الحسن . . لقد حوربت حياً . . وميتاً . . .

حوربت حياً من لدن التحاق الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرفيق الأعلى . وبقيت تلك الحرب مستعرة يذكيها نار الحقد والبغضاء من أعدائك إلى حين وفاتك حين ذهبت إلى جنان الخلد شهيداً محتسباً . . .

وحوربت سلام الله عليك حرباً لا هوادة فيها . . لماذا ؟ . .

حتى لا تتنغص على سلاطين الجور حياتهم . . . والإحتفاظ بعروشهم . . .

سعى أعداؤك جهدهم في حربك وإقصائك عن حقك . . وكل هذا وأنت صابر محتسب لا تريد من جهادك وصمودك إلاّ وجه الله ، وتثبيت قواعد الإسلام ونشر العدل والطمأنينة بين الناس . .

حوربت سلام الله عليك لأن الحق الذي هو معك يدور حيثما درت كان معولاً هداماً يدك عروش الطغاة الظالمين . . .

حوربت سلام الله عليك لأن تعاليمك الجليلة ، وعدلك ومساواتك بين الناس ، كل هذه كانت خناجر تدمي صدور الحاقدين . . فثقلت عليهم حتى لم يعد لصبرهم موضع . .

واستفزهم الحقد حتى زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فاتبعوه . . وراحوا يحيكون المؤامرات ويكيدون المكائد للتخلص منك .

وحين انتقلت إلى جوار ربك كان لا بد من إلحاق الأذى بك وباهل بيتك وأصحابك للتنفيس لما في صدورهم من غل . . وذلك بكشف حرمة رفاتك الطاهرة نكاية في الأذى . . وكنت تعلم بذلك . .

وخوفاً مما ذكرنا كان العمل على إخفاء قبرك الشريف بإشارة منك لئلا ينبشوا القبر إذ لم يكن لهم دين يمنعهم ولا شرف يردعهم .

ففي إرشاد القلوب للديلمي : وأما السبب الموجب لإخفاء قبر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو أنه قد تحقق ، وعلم مما جرى لأمير المؤمنين علي من الوقائع العظيمة ، والحروب الكثيرة ، زمان النبي المعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده . . . أوجب ذلك حقد المنافقين والمارقين عليه . كمعاوية بن أبي سفيان وأصحابه ، وبني أمية ، والدولة لهم ، والملك بيدهم . . . وكانوا يبالغون في إطفاء نور أهل البيت ، وإخفاء آثارهم . . .

ولهذا السبب أوصى (عليه السلام) أن يدفن سراً خوفاً من بني أمية وأعوانهم من الخوارج ، وأمثالهم أن يتهجموا على قبره الشريف لو كان ظاهراً[1] .

وفي بحار الأنوار للمجلسي : إن أمير المؤمنين علي (عليه السلام أمر ابنه الحسن (عليه السلام) أن يحفر له أربع قبور[2] في أربع مواضع : في المسجد . . . وفي الرحبة . . وفي الغري . . وفي دار جعدة بن هبيرة . وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره[3] .

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي : ج ٢ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .
(٢) هكذا وردت في الأصل . والأصح : أربعة قبور .
(٣) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢١٤ .

وفي الأصـــول من الكـــافي للكليني الـــرازي . . . عن صـفـــوان الجـــمال[1] قال : كنت أنـا وعامـر وعبد الله بن جـذاعة الأزدي عنـد أبي عبـد الله ـ الصـادق ـ (عليـه السـلام) . فقـــال لـه عـــامـر : جعلت فداك . . . إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين علي (عليه الســلام) دُفن بالرحبة . . . ؟

قال أبو عبد الله (عليه السلام) : لا . . .

قال عامر : فأين دُفن . . ؟

قال (عليه السلام) : إنه لما مات احتمله الحسن (عليه السلام) فأتى به ظهر الكوفـة ، قريبـاً من النجف ، يسرة عن الغري ، يمنـة عن الحيرة . . . فدفنه بين ذكوات[2] بيض[3] .

---

(١) في وسـائل الشيعـة للحر العـامـلي : ج ٢٠ ص ٢١٧ صفـوان بن مهـران بن المغـيرة الأسدي كوفي يكنى أبا محمد الجـمال ، ثقة ، قـال العلامـة ، ووثقه النجـاشي أيضاً ، وروى الكشي مدحه ، ووثقه المفيد في الإرشاد ، وأثنى عليه وفي حاشية الوسائل أيضاً عن الحسن بن عـلي بن فضال قـال : حدثني صفـوان بن مهران الجـمال قال : دخلت على أبي الحسن الأول ـ موسى بن جعفـر ـ (عليه السـلام) فقال لي : يـا صفوان كـل شيء منك حسن جميل مـا خلا شيئـاً واحداً . قلت : جعلت فـداك . . . أي شيء ؟ قال : إكراؤك جمالك من هذا الرجل ـ يعني هارون الـرشيد ـ قلت : والله مـا أكريتـه أشـراً ولا بطراً ، ولا للصيـد ، ولا للهو ، ولكني أكـريته لهـذا الطريق ـ يعني طـريق مكـة ولا أتولاه ، ولكن أبعث معـه غلماني . فقال لي : يـا صفوان . . . أيقـع كراك عليهم ؟ قلت : نعم جعلت فـداك . فقـال لي : أتحب بقـاءهم حتى يخـرج كـراك ؟ قلت : نعم . قـال : فمن أحب بقـاءهم فهـو منهم . . . ومن كـان منهم كـان ورد النـار . فقال صفـوان : فذهبت وبعت جمـالي من آخرهـا ، فبلغ ذلك إلى هـارون ، فدعاني إليه وقال : يـا صفوان بلغني أنـك بعت جمالـك ؟ قلت : نعم . فقال : لِمَ ؟ قلت : أنـا شيـخ كبـير . . وهن الغلمان لا يقـوون بـالأعـمال . فقـال هـارون : هيهات . . . إني لأعلم من أشار عليـك بهذا . . أشـارك موس بن جعفـر . قلت : ما لي ولموسى بن جعفر . . فقال : دع هذا عنك ، فوالله لولا حُسن صحبتك لقتلتك .

(٢) كـذا في أكـثر نسـخ الحـديث ، ولعله أراد التـلال الصغـيرة التي كـانت محيـطة بقـبره صلوات الله عليـه شبهها لضيـائها وتوقـدها عند شروق الشمس عليها لاشتـمالها عـلى الحصيـات البيض والـدراري ـ المعـروفـة بـدر النجف ـ بـالجمـرة الملتهبـة كـما ذكـره اللغويون .

(٣) الأصول من الكافي للكليني الرازي : ج ١ ص ٤٥٦ .



لمحة عن موضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

ذكــر القمي في كتــابــه ـ من لا يحضره الفـقيــه ـ : إنــه روى صفـوان بن مهران الجـمال عن الصـادق بن محمـد (عليهـما السـلام) : فقـال : ســار وأنــا معـه في القادسيـة ، حتى أشرف عــلى النجف ، فقال : هو الجبـل الذي اعتصم بـه ابن جدي نـوح (عليه السـلام) ، فقال : ﴿ **سآوي إلى جبل يعصمني من الماء** ﴾[1] فـأوحى الله عز وجـل إليه للجبل ـ يا جبل أيعتصم بـك مني أحد ؟ فغـار ـ الجبل ـ في الأرض وتقطع . . .

ثم قال ـ الصادق ـ (عليه السلام) : إعدل بنا . . .

قال ـ صفوان ـ : فعدلت به ، فلم يزل سائـراً حتى أتى الغري ، فوقف على القـبر فساق السـلام من آدم على نبي نبي (عليهم السـلام) وأنا أسوق السلام معه حتى وصل السلام إلى النبي ـ محمـد ـ (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، ثم خـر على القـبر فسلم عليه وعـلا نحيبه ثم قـام فصلى أربع ركعات .

وفي خبر آخر : ست ركعات . وصليت معه ، وقلت لـه : يا بن رسول الله ما هذا القبر ؟ . .

(١) سورة هود : الآية ٤٣ .

قال : هذا القبر قبر جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1] .

وذكر الخليلي في موسوعته : إن زين العابدين (عليه السلام) ورد إلى الكوفة ودخل مسجدها ، وبه أبو حمزة الثمالي[2] ، وكان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها فصلى ركتين . قال أبو حمزة : فما سمعت أطيب من لهجته ، فدنوت منه لأسمع ما يقول . . فسمعته يقول : إلهي إن كان قد عصيتك فإني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك ، الإقرار بوحدانيتك ، منّا منك علي لا منّاً مني عليك . ثم نهض . .

قال أبو حمزة : فتبعته إلى مناخ الكوفة ، فوجدت عبداً أسوداً ، معه نجيب وناقة . فقلت : يا أسود . . من الرجل ؟

فقال : أو تخفى عليك شمائله . . . هو علي بن الحسين . . .

قال أبو حمزة : فأكببت على قدميه - قدمي علي بن الحسين - أقبلها ، فرفع رأسي بيده وقال : لا يا أبا حمزة ، إنّما يكون السجود لله عزّ وجل .

قلت : يا بن رسول الله ، ما أقدمك إلينا ؟

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٢ - ط دار التعارف بيروت .

(٢) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ثابت بن دينار أبو حمزة الثمالي ، ثقة ممدوح قاله العلامة ، ووثقه الشيخ أيضاً ، وقال النجاشي : إنه ثقة من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث ، ووثقه الصدوق ومدحه ، وروى الكشي وغيره له مدايح جليلة ، وذكروا أنه يروي عن علي بن الحسين ، والباقر ، والصادق ، والكاظم (عليهم السلام) .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن لأمين كان أبو حمزة من أصحاب علي بن الحسين والباقر والصادق والكاظم (عليهم السلام) . وهو الراوي عن زين العابدين (عليه السلام) دعاء السحر الكبير في شهر رمضان المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي . الذي تشهد بلاغته ومضامينه بصحة نسبته . ورُوي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه - ولأبي حمزة الثمالي رسالة الحقوق عن علي بن الحسين (عليهما السلام) ، وروى عنه العامة وله كتاب تفسير القرآن . ومات في خلافة المنصور سنة ١٥٠ وأولاده نوح ومنصور وحمزة قتلوا مع زيد .

قال : ما رأيت . . . ولو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولو حبواً . .

ثم قال : هل لك أن تزور معي قبر جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؟ .

قلت : أجل . .

فسرت في ظل ناقته يحدثني حتى أتينا الغريين ، وهي بقعة بيضاء . تلمع نوراً . . . فنزل عن ناقته ومرغ خديه عليها .

وقال يا أبا حمزة . . هذا قبر جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1] .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : عن أبي الغنائم وهو محمد بن علي بن ميمون المعروف بأبيّ[2] لجودة قراءته . وكان محدثاً من أهل الكوفة ثقة حافظاً . وكان من قوام الليل ومن أهل السنة وقد توفي سنة عشر وخمسمائة وكان أبو الغنائم يقول :

ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث غيري . وكان يقول : مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلّا قبر أمير المؤمنين ـ علي ـ ، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن .

جاء جعفر بن محمد (عليه السلام) وأبوه محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) إليه ، فزاراه، ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً ، وإنما كان به سرح عضاه[3] حتى جاء محمد بن زيد الداعي[4] صاحب الديلم فأظهر القبر .

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة : لجعفر الخليلي ج ١ من قسم النجف ص ٧٢ .

(٢) نسبة إلى أبيّ بن كعب بن قيس أحد القراء كما في حاشية شرح النهج .

(٣) العضاه : الواحدة عضاهة : كل شجر يعظم وله شوك . المنجد في اللغة .

(٤) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن =

والروايات الواردة في موضع قبر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كثيرة ، وإنه دفن في المقام المعروف الآن في النجف الأشرف لا غبار عليها . وهذا هو الصحيح وعليه المعول .

وأما ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي حسان الزيادي ، إنه قال : دفن علي بن أبي طالب بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً . . . وعُمّي موضع قبره .

وإنه قال أبو حسان : حدثني النخعي عن شريك : أن الحسن بن علي حمله بعد صلح معاوية والحسن فدفنه بالمدينة .

ويقال : دُفن في موضع القصر . . ويقال : في الرحبة التي تنسب إليه .

ويقال : في الكناسة[1] . . . ويقال : حمله الحسن بن علي فدفنه بالثوية[2] .

= الحسن بن زيد بن الحسن السبط الملقب بالداعي استولى على طبرستان مدة طويلة وأقام مستولياً عليها سبع عشرة سنة وسبعة أشهر حتى خطب له رافع بن هرثمة بنيسابور . ثم حاربه محمد بن هارون السرخسي صاحب إسماعيل ابن الساماني ، فقتله ، وحمل رأسه وابنه زيد بن محمد إلى بخارى ودفن بدنه بجرجان عند قبر الديباج محمد بن الصادق (عليه السلام) . وللداعي هذا أخبار كثيرة تشهد بجلالة قدره وسخائه وشجاعته ومن أراد المزيد من أخباره فليراجع كتب التاريخ .

(١) الكناسة : وهي محلة بالكوفة ، عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٢) الثوية : بالفتح ثم الكسر ، وياء مشددة ، ويقال : الثوية بلفظ التصغير : موضع قريب من الكوفة ، وقيل : بالكوفة ، وقيل : خريبة إلى جانب الحيرة على ساعة منها . ذكر العلماء أنها كانت سجناً للنعمان بن المنذر ، كان يحبس بها من أراد قتله ، وكان يقال لمن حُبس بها . . ثوى أي أقام ، فسُميت الثوية بذلك . وقال ابن حبان : دفن المغيرة بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثوية . وهناك دُفن أبو موسى الأشعري في سنة ٥٠ للهجرة . ولما مات زياد بن أبي سفيان ـ زياد بن أبيه ـ دُفن بالثوية أيضاً ، معجم البلدان لياقوت الحموي .

ويقال : دفن بالبقيع مع فـاطمة بنت رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم)[1] فهذا غـير صحيح ولا يستنـد إلى ثقة إلى غـير ذلك من الأخبار التي لا تستند على شيء من الصحة ، وإنما أتى بها من أتى تزويراً للحقيقـة وإرضاء للحكـام . . . والقصد منهـا عدم جعـل الناس يـأتون لزيارة قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) . إذ أنهم يعلمون حق العلم بأن الناس يأتون بالألـوف ومن الأمكنة البعيـدة . . . لأن أفئدتهم تهـوي إلى علي وأولاده الأئمة الأطهار والتمسك بهم أحياء ، والتبرك بزيارة قبورهـم الشريفة . . . وهذا ما كان يقض مضـاجع سـلاطين الجـور من بني أمية وبني العباس ، لأنه يضر بمصالحهم الدنيوية . . .

في تلك السنـين الغابـرة لاقى أهـل البيت (عليهم السـلام) من الإضطهاد والتشريد والأذى والنكيل الشيء الكثير. فأصبحـوا مع ذويهم بـين قتيل وفقيـد وسجين وشريـد وما ذنبهم إلا أنهم يسعـون إلى إحقاق الحق وإماتة الباطل .

فمعاوية بن أبي سفيان الأموي مثلاً عمل على قتل عـلي غيلة بعد أن عجز عن مواجهته وعمل أيضاً على قتـل الحسن بن علي بـالسم . . . والحسـين بن علي سيـد الشهـداء عمـل يـزيـد بن معـاويـة جهـده عـلى قتله . . . فكانت موقعة كربلاء الشهيرة سنة ٦١هـ .

ولقد فعل بنو العباس بعدما فقدوا شرف المروءة وكـرم الدين مـع أبناء عمومتهم العلويين أفعالاً منكرة من قتل وتشريد . .

ألم يهدم المتوكل العباسي قبر الحسين (عليه السلام) ؟ ليعفي أثره ويمنـع زائـريـه . . وكـل زائـر للحسـين كـان يـلاقي الشيء الكثـير من الإضطهاد . . . والتهديد بالقتل . . . وبعـد أن أعيت الحيل طـاغية بني العباس المتوكل في منع زوار قبر الحسين الشريف أدار مـاء الفرات عليـه ليخفي أثـره تحت بحيرة . . . لكن عنـاية الله سبحـانـه منعت المـاء من

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ج١ ص ١٣٨ .

طمس القبر الشريف فحارت الماء حوله حتى سُمي - الحائر الحسيني - في قصة طويلة لا مجال لذكرها الآن .

وفي أفعال بين أمية وبني العباس قال الشاعر :

تا الله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتى ابن بني أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على ألا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

بالإضافة إلى ما ذكرناه من رواية الحسن بن علي الخلال عن جده أنه قال : قلت للحسين (عليه السلام) : أين دفنتم أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟

قال : خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ، ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري .

ويقول صاحب شرح نهج البلاغة : وهذه الرواية هي الحق ، وعليها العمل . . . وقد قلنا فيما تقدم أن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب ، وهذا القبر بالغري ، هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً ، وحديثاً ، ويقولون : هذا قبر أبينا ، لا يشك أحد في ذلك من الشيعة ولا من غيرهم . أعني من بني علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته ، المتقدمين منهم والمتأخرين ، ما زاروا ولا وقفوا إلّا على هذا القبر بعينه .

وفي شرح نهج البلاغة أيضاً : عن أبي الغنائم أنه قال : سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه . أن قوماً يقولون : إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة . فقال : غلطوا في ذلك ؛ قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا[1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

وما رواه الخطيب البغدادي أيضاً : من أن جثمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) صُيّر في صندوق . . . وأكثر عليه من الكافور ، وحمل على بعير يريدون به المدينة .

فلما كان ببلاد طيء ، أضلوا البعير ليلاً . . فأخذته طيء وهم يظنون أن بالصندوق مالاً . .

فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا . . فدفنوا الصندوق بما فيه ، ونحروا البعير فأكلوه . .

أقول : هذه الرواية لا يقبلها العقل لأنها رواية كذوب . . ومن نسج خيال حاقد . . وكذب هذه الرواية ظاهر لمن له أدنى تأمل وتفكير . لأنه لا يعقل أن يقدم الإمام الحسن (عليه السلام) وهو خليفة أبيه ، والقابض على زمام الحكم في ذلك الحين ، على وضع جثمان أبيه في صندوق وحمله على بعير بدون حراسة استهتاراً . مع عدم الإطمئنان بوصول الجثمان إلى المدينة : وهذا غير معقول . .

أولاً : إن عمل الحسن (عليه السلام) هذا إذا كان صادراً عن خوف من القتل أو الإغتيال . . . فضيع جثمان أبيه . . فغير صحيح . لأن الإمام الحسن (عليه السلام) كان في أوج سلطانه والخوف غير وارد في هذا المجال .

ثانياً : إن دفن المسلم واجب شرعي ، والإمام الحسن أعلم بذلك وهو الإمام المعصوم العارف بالأمور الدينية وخفايا الشريعة الإسلامية . . فلا يقدم على وضع جثمان أبيه في صندوق على ظهر بعير وهو لا يعلم ما يكون من أمر الجثمان فيما بعد . . .

ولرب قائل يقول : لماذا دُفن أمير المؤمنين ليلاً وعُمّي موضع قبره الشريف ؟ ويأتي الجواب كما ذكرنا سابقاً : إنّما دفن أمير المؤمنين علي ليلاً بوصية منه لئلا ينبش قبره في المستقبل من قبل الأمويين الذين سيؤول أمر السلطة إليهم فيما بعد .

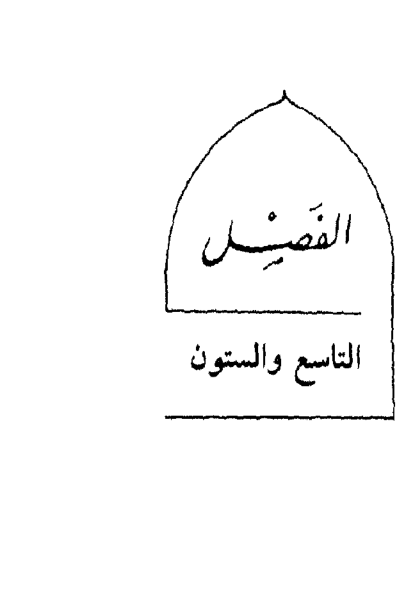
وعلى كل حال إنما وضعت هذه الرواية من الحاقدين على علي وأولاده الميامين (عليهم السلام) ليس المراد منها سوى توهين شأن الإمام الحسن (عليه السلام) الذي هو الخليفة الحق بعد أبيه أمير المؤمنين .

وقد عمل الأمويون بعد ذلك وعلى رأسهم معاوية على نزع الخلافة من الإمام الحسن (عليه السلام) جهدهم بالخدع والتضليل تارة ، والتهديد والوعيد . . والإغراء بالأموال والمناصب تارة أخرى .

فكان من نتيجة ذلك على ما سيأتي في باب لاحق من هذا الكتاب إن شاء الله أن تخلى الحسن لمعاوية عن السلطة موقتاً حفظاً على دماء أصحابه الصالحين وحفاظاً على وحدة المسلمين بعد أن انخدع بعض أصحابه ببريق وعود معاوية ، وتسللوا إليه .

على أن الحسن قبل المصالحة كان قد اشترط على معاوية شروطاً لم يف معاوية بها . . .بل غدر وفجر . ولما لم يف معاوية بالشروط انتفت المصالحة . . . ومن المعلوم أنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط ، وعلى هذا أيضاً فخلافة الحسن باقية وهي الصحيحة شرعاً وعرفاً .

أما خلافة معاوية فهي باطلة بحكم الشرع لأنها بنيت على الغدر والخيانة والإخلال بالشروط .



الفصل

التاسع والستون



إظهار قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

سبق منا الكلام على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قام بدفنه أولاده وأعضاء أسرته المقربون . . في ظهرالكوفة التي هي مدينة النجف اليوم .

وسبق منا الكلام أيضاً عن سبب دفنه (عليه السلام) سراً في الليل . . وعن الأسباب التي دعت العلويين إلى إخفاء موضع قبره . . وقد عُمّي قصداً عن جميع الناس سوى أهله والثقاة المقربين إليه .

بقي الحال على ما ذكرناه من التستر طيلة أيام حكم الأمويين الظالمين . . لم يعلن عن موضع القبر ولم يشيد عليه بناء . . وإنما كان العلويون يزورونه من حين إلى آخر ، ويطلعون بعض ثقاتهم وذويهم عليه ريثما تزول الموانع .

ولما انقضى دور السلطة الأموية . . وانطوت صحائف أعمالها السوداء ، التي تضج بالمخازي والمنكرات التي ارتبكها الأمويون خاصة بحق أهل بيت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصتهم شعر العلويون بشيء من الإطمئنان فباحوا بالسر المكتوم . . وأخبروا عن موضع القبر الشريف .

ولا يخفى أنه عندما قامت الدولة العباسية ، تنفس العلويون

الصعداء . . لأنه غير خاف على كل من تتبع التاريخ من أن دعاة الدولة العباسية كان شعارهم الـذي واجهوا بـه الناس لـلإنقلاب عـلى بني أمية هو . . الدعـوة للرضا من آل بيت محمـد . . فأيـدهم العلويون في بـدء الدعوة مع الناس الناقمين على الأمويين .

وعندما ذهب ما كان يحـذره العلويون من أعـدائهم الأمويين دلـوا عـلى موضـع القبر الشريف بعض ثقـاتهم كما أسلفنـا ، وجعلوا يترددون إليه هم وبعض شيعتهم المخلصين ، للزيـارة والتبرك . . . لأنـه لم يكن القـبر الشريف في ذلك الحـين إلاّ أكمة مـاثلة . . أو ربوة قـائمـة وسرح عضاه ـ أي شجر عظيم ـ كما ذكرنا سابقاً .

ولما رأى داود بن علي العباسي المتوفى سنـة ١٣٣ إقبال النـاس على موضع القـبر الشريف وتهافتهم عليـه ،أراد أن يقف على الحقيقـة فبعث غلاماً له ليحفر موضع القبر ويكشف عن المخبأ .

ففي كتاب مـاضي النجف وحـاضرهـا ، عن إسـماعيـل بن عيسى العباسي أنه قال :

لما رأى داود بن علي إقبال الناس على هذا القبر ـ قبر أمـير المؤمنين عـلي بن أبي طالب ـ وتهـافتهم عليه ، أمـر بعض حـاشيتـه ، وأحضروا الفعلة ، وبعث معهم غلاماً لـه أسوداً، وكـان قويـاً شديـد البطش . . اسمه الجمل . . .

قال لهم داود بن علي : امضـوا إلى هذا القـبر الذي افتتن النـاس به ، ويقولون . . . إنه قبر علي بن أبي طالب . . حتى تنبشوه ، وتجيئوني بأقصى ما فيه . . .

قال اسماعيل بن عيسى : فمضينا إلى الموضع . . . فقلنا : دونكم وما أمر به . . فحفر الحفارون وهم يقولون : لا حول ولا قوة إلاّ بالله في أنفسهم . . . حتى نزلوا خمسة أذرع . .

فلما بلغـوا الصـلابـة ، قـال الحفـارون : قـد بلغنـا إلى مـوضـع

صلب ، وليس نقوى على نقره . . . فأنزلوا الحبشي ـ العبد الأسود ـ فأخذ المنقار، فضرب ضربة سمعنا لها طنيناً شديداً في البر . . ثم ضرب ثانية فسمعنا طنيناً أشد من الأولى . . ثم ضرب ثالثة ، فسمعنا أشد مما تقدم .

ثم صاح الغلام صيحة عظيمة ، فقمنا ، وأشرفنا عليه ، وقلنا للذين كانوا معه : سلوه . . ما باله ؟ فلم يجيبهم . . . وهو يستغيث ولا يكلمنا ، ولا يحير جواباً . . .

فحملناه على بغل ورجعنا . . . فلم يزل لحم الغلام ينتثر من عضده ، وشقه الأيمن وسائر جسده ، حتى انتهيت إلى عمي داود .

فقال ـ داود ـ : أيش[1] وراءكم ؟!

فقلنا له : ماترى . . وحدثناه بالصورة ـ بالقصة ـ .

فالتفت داود إلى القبلة . . فتاب عما هو عليه . . ورجع إلى المذهب . . وركب بعد ذلك في الليل إلى علي بن معصب بن جابر ، فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً ، ولم يخبره بشيء مما جرى .

ووجه ـ داود ـ من طمّ الموضع ، موضع الحفر وعمر الصندوق عليه . ومات الغلام الأسود من وقته[2] .

ولما تبدلت نيات العباسيين ، وقلبوا للعلويين ظهر المجن . . هجر القبر الشريف ، فعفي أثر ذلك الصندوق ، وانطمس رسمه حتى جاء عصر الرشيد فأظهره[3] .

ومما ذكره الشيخ المفيد في إرشاده بعد سلسلة من الأسناد عن ابن عائشة قال : حدثني عبد الله ابن حازم قال :

---

(١) هكذا وردت في الأصل .

(٢) حاشية ماضي النجف وحاضرها . للشيخ جعفر آل محبوبة ج ١ ص ٤٠ وفرحة الغري : ص ٦١ .

(٣) ماضي النجف وحاضرها : ج ١ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد ، فصرنا إلى ناحية الغريين ، والثوية . فرأينا ظباء ، فأرسلنا عليها الصقور والكلاب ، فجاولتها ساعة . . .

ثم لجأت الظباء إلى أكمة ، فوقفت عليها ، فسقطت الصقور ناحية . . . ورجعت الكلاب . . فتعجب الرشيد من ذلك . .

ثم إن الظباء هبطت من الأكمة ، فهبطت الصقور والكلاب ـ نحوها ـ فرجعت الظباء إلى الأكمة . . فتراجعت عليها الصقور والكلاب .

ففعلت ذلك ثلاثاً . في كل مرة تلجأ الظباء إلى الأكمة فتتراجع عنها الصقور والكلاب .

فقال هارون الرشيد : اركضوا . . . فمن لقيتموه فأتوني به . . .

قال ـ ابن حازم ـ فأتيناه بشيخ من بني أسد . .

فقال له هارون الرشيد : أخبرني ما هذه الأكمة . . ؟

قال الشيخ : إن جعلت لي الأمان أخبرتك . . ؟

قال ـ هارون ـ لك عهد الله وميثاقه ألا أهيجك . . ولا أوذيك . .

فقال : الشيخ الأسدي : حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون : إن في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلّا أمن . . .

فنزل هارون ، فدعا بماء فتوضأ وصلى عند الأكمة ، وتمرغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا .

قال محمد بن عائشة : فكان قلبي لا يقبل ذلك . فلما كان بعد أيام حججت إلى مكة ، فرأيت بها ياسراً ، رحال الرشيد ، وكان يجلس معنا إذا طفنا ، فجرى الحديث إلى أن قال :

قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقدمنا من مكة فنزلنا الكوفة يا ياسر . . . قل لعيسى بن جعفر فليركب ، فركبا جميعاً وركبت معهما . . حتى إذا صرنا إلى الغريين . . فأما عيسى فطرح نفسه فنام . . .

وأما الرشيد فجاء إلى أكمة فصلى عندها ، فكلما صلى ركعتين دعا وبكى ، وتمرغ على الأكمة ثم يقول :

يا بن عم . . أنا والله أعرف فضلك وسابقتك . . . وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه . . . وأنت أنت . . ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون علي . ثم يقوم فيصلي ، ثم يعيد هذا الكلام ، ويدعو ، ويبكي .

حتى إذا كان وقت السحر قال لي : يا ياسر أقم عيسى ـ أيقظه ـ فأقمته . . .

فقال له الرشيد : يا عيسى قم فصل عند قبر ابن عمك . .

فقال له عيسى : وأي ابن عمومتي هذا . . ؟

قال الرشيد : هذا قبر علي بن أبي طالب . فتوضأ عيسى وقام يصلي فلم ير إلّا كذلك حتى طلع الفجر ، فقلت : يا أمير المؤمنين أدركك الصبح . فركبنا ورجعنا إلى الكوفة[1] .

وهذه القصة التي ذكرها الشيخ المفيد[2] ذكرها الديلمي في كتابه

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد : ص ١٩ ـ ٢٠ ط بيروت .

(٢) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢ ص ٣٤١ الشيخ المفيد هو محمد بن محمد بن النعمان المفيد أبو عبد الله ، ويعرف بابن المعلم . أجل مشايخ الشيعة ، ورئيسهم ، وأستاذهم ، وكل من تأخر عنه استفاد منه . وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية . أوثق أهل زمانه وأعلمهم . انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه . وكان حسن الخاطر ، دقيق الفطنة . حاضر الجواب . له قريب من مائتي مصنف . قاله العلامة . ونحوه الشيخ وقال النجاشي أنه شيخنا وأستاذنا . . الخ وقد تقدمت ترجمته في باب سابق من هذا الكتاب .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن =

إرشاد القلوب عن عبد الله بن حازم أيضاً : إن الرشيد أمر أن يبنى فيه - بنية - بأربعة أبواب . . وبقي البناء إلى أيام السلطان عضد الدولة فجاء وأقام في ذلك الطرف قريباًمن سنة هو وعساكره وبعث بالصناع والأسانيد من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالاً كثيرة جزيلة ، وعمّره عمارة جليلة حسنة وهي العمارة التي كانت قبل عمارة اليوم[1] .

وفي موسوعة العتبات المقدسة للخليلي : أنّه نتيجة للأخبار التاريخية تعتبر عمارة هارون الرشيد العباسي أول عمارة للقبر الشريف . وبداية الدفن في منطقة النجف ونزول الناس ذلك المكان تبركاً بالراقد الكريم .

وعقبت عمارة الرشيد ، عمارة محمد بن زيد بن محمد بن الحسن العلوي الحسني ، صاحب طبرستان والديلم الذي ولي الأمرة بعد وفاة أخيه الحسن بن زيد سنة ٢٧٠ هجرية . فقد بنى على قبره الشريف - قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) - قبة .

وممن اشتهر أنه عني في بناء قبة على القبر الشريف وجعلها مرتفعة الأركان من كل جانب لها أبواب ، وسترها بفاخر الستور ، وفرشها بثمين الحصر السامان ، أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي المقتول سنة ٣١٧هـ - ٩٢٩م .

ولعل أجل العمارات وأهمها تلك التي قام بها الملك البويهي عضد

= النعمان الحارثي البغدادي المعروف بابن المعلم . ولد سنة ٣٣٦ وقيل سنة ٣٣٨ في عكبرة - وهي بلدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . وتوفي سنة ٤١٣ ه وشيعه ثمانون ألفاً من الباكين عليه . وصلى عليه تلميذه الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي بميدان الأشنان . وهو الميدان الرئيسي بكرخ بغداد ، وضاق على الناس مع كبره . ودفن الشيخ المفيد بداره ببغداد ، ثم نقل إلى الكاظمية فدفن بمقابر قريش ، بالقرب من رجلي الإمام الجواد (عليه السلام) ، إلى جانب أستاذه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولوي القمي . وقبره الآن معروف في وسط الرواق الشرقي من المشهد الكاظمي .

(١) إرشاد القلوب للشيخ أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي : ج ٢ ص ٤٣٦ ط بيروت .

الدولة ، وأنه صرف أموالاً طائلة . . وعمر المشهد ـ مقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ عمارة جليلة . والتي ظلت حتى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ـ ٧٥٣ ـ وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش ، فاحترقت تلك العمارة ، وجُددت عمارة المشهد على ما هي الآن .

وفي الموسوعة أيضاً : أنه ذكر ابن طحال أنّ الرشيد بنى على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بنياناً بآجر أبيض ، أصغر من الضريح اليوم من كل جانب بذراع . ولما كشفنا الضريح الشريف وجدنا مبنياً عليه تربة وجصاً .

وأمر الرشيد أيضاًأن يبنى عليه قبة . فبنيت من طين أحمر . . وطرح على رأسها جرة خضراء . وهي في الخزانة اليوم .

وزار الخليفة المستعصم مرقد أمير المؤمنين وفرق الأموال الجليلة عنده .

وأما الخليفة المستنصر فقد زار مرقد أمير المؤمنين ، وعمل الضريح الشريف ، وبالغ فيه[1] .

وخلاصة القول : لو أردنا أن نذكر جميع من زار قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعمره وبنى عليه . . وزينه بالقباب ، وزخرفه بالنقوش بالذهب والفضة ، وغير ذلك تقرباً إلى الله تعالى من الخلفاء ، والملوك ، والعظماء ، والأمراء ، والوزراء ، والأدباء ، والفقهاء ، والمحدثين ، والنبلاء من أكابر الناس من شرق الأرض وغربها لطال بنا المقام . . واحتجنا إلى موسوعات كبيرة ولعلنا لا نفي هذا الموضوع حقه .

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف للأستاذ جعفر الخليلي : ج ١ ص ١٤٦ .



فضل الدفن في جوار أمير المؤمنين علي

يتهافت المسلمون وخاصة الشيعة منهم على دفن موتاهم بجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما ذاك إلاّ تبركاً . . وإيماناً منهم بما لعلي (عليه السلام) من القدسية والكرامة على الله سبحانه وتعالى .

وقد وردت أخبار كثيرة تدل على أن الدفن في جوار مرقده الشريف (عليه السلام) مُسقط لحساب البرزخ[1] وهذا أمر مشهور يرويه الخلف عن السلف .

وبما أن الإنسان المسلم مؤمن بحساب القبر وإنه سوف يحاسب على أعماله التي عملها في أيام حياته . . . وبطبيعته البشرية لا بد أن يلوذ بكل ما من شأنه أن يخفف ما يخشاه من هول القبر وحسابه . . الذين يؤمن بأنه لا مفر منها وبأنه ملاق حسابه في تلك الحفرة الرهيبة .

---

(١) البرزخ : في الصحاح : الحاجز بين الشيئين : والبرزخ : ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ . وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ قال : البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث . ومنه قيل للميت : هو في برزخ ، لأنه بين الدنيا والآخرة ، لسان العرب لابن منظور .

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قوله : « حتى إذا رجع المشيع وانصرف المتفجع أقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة الإمتحان . . . » .

ومن هذا المنطلق . . وتوقياً لهول هذا الموقف الرهيب . . . آثر المؤمنون من المسلمين الدفن بجوار مرقد علي (عليه السلام) والإستجارة به ليكون شفيعه يوم الحساب . . .

ففي إرشاد القلوب للديلمي : روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه كان إذا أراد الخلوة بنفسه ، أتى إلى طرف الغري . .

فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف ، وإذا برجل قد أقبل من البرية ، راكباً على ناقة ، وقدامه جنازة . فحين رأى علياً (عليه السلام) قصده حتى وصل إليه وسلم عليه . . .

فرد علي (عليه السلام) ، وقال له : من أين ؟

قال ـ الرجل ـ : من اليمن . . .

قال علي (عليه السلام) : وما هذه الجنازة التي معك ؟

قال ـ الرجل ـ : جنازة أبي . . . أتيت لأدفنها في هذه الأرض . .

فقال له علي (عليه السلام) : لم لا دفنته في أرضكم . . ؟

قال ـ الرجل ـ : أوصى أبي إلي بذلك . . وقال : إنه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .

فقال له علي (عليه السلام) : أتعرف ذلك الرجل . . ؟

قال ـ الرجل ـ : لا . . .

فقال علي(عليه السلام) : أنا والله ذلك الرجل . . أنا والله ذلك الرجل . . . قم فادفن أباك . فقام فدفن أباه . .[1] .

---

(١) إرشاد القلوب : للديلمي : ج ٢ ص ٤٤٠ .

وفي بحار الأنوار للمجلسي أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان ذات يوم يصلي بالغري ، إذ أقبل رجلان معهما تابوت على ناقة ، فحطا التابوت وأقبلا إليه ، فسلما عليه .

فقال لهما أمير المؤمنين (عليه السلام) : من أين أقبلتما . . ؟

قالا . . من اليمن . .

قال (عليه السلام) : وما هذه الجنازة . . ؟

قالا : كان لنا أب شيخ كبير ، فلما أدركته الوفاة أوصى إلينا أن نحمله وندفنه في الغري . .

فقلنا له يا أبانا أنه موضع شاسع بعيد عن بلدنا . . وما الذي تريد بذلك . . ؟

فقال لنا : إنه سيدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : الله أكبر . . الله أكبر ، أنا والله ذلك الرجل .

ثم قام فصلى عليه ، ودفناه . . . ومضيا من حيث أقبلا[1] .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي : إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، خرج من بابل على حمار له ، ومعه ابن أخيه لوط ، يسوق غنماً ويحمل دلواً على عاتقه ، حتى نزل بانقيا[2] وكان أهلها يزلزلون في كل ليلة ، فلما بات إبراهيم عندهم لم يزلزلوا .

فقال لهم شيخ بات عنده إبراهيم (عليه السلام) : والله ما دُفع عنكم إلا بشيخ بات عندي ، فإني رأيته كثير الصلاة . .

---

(١) بحار الأنوار : للمجلسي ج ٤٢ ص ٣٣٤ .

(٢) بانقيا : بكسر النون : ناحية من نواحي الكوفة . معجم البلدان لياقوت الحموي .

فجاؤوه ، وعرضوا عليه المقام عندهم ، وبذلوا له البذول .

فقال لهم إبراهيم (عليه السلام) : إنما خرجت مهاجراً إلى ربي . . وخرج حتى أتى النجف . فلما رآه رجع أدراجه . . . فظنوا أنه رغب فيما بذلوا له . .

فقال لهم : لمن تلك الأرض ؟ يعني النجف . . . قالوا : هي لنا . .

قال (عليه السلام) : فتبيعونها . . ؟

قالوا : هي لك . . . فوالله ما تنبت شيئاً . .

فقال (عليه السلام) : لا أحبها إلّا شراءً ، فدفع إليهم غنيمات كنّ معه . .

وذكر إبراهيم (عليه السلام) : إنه يحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد[1] .

وفي موسوعة العتبات المقدسة عن فرحة الغري : إن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) اشترى ما بين الخورنق وإلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم ، واشهد على شرائه .

فقيل له : يا أمير المؤمنين تشتري هذا . . بهذا المال وليس تنبت خمطاً ؟[2] .

فقال (عليه السلام) : سمعت من رسول الله (صلى الله عليه

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ مادة بانقيا ، ص٣٣١ .

(٢) الخمط : قال الله عز وجل في قصة أهل سبأ : ﴿ **وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات أكل خمط وأثل** ﴾ قال الليث : الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل . وقال الزجاج : يقال لكل نبت قد أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله خمط .
وقال الفراء : الخمط في التفسير ثمر الأراك . وقيل شجر له شوك . لسان العرب لابن منظور .

وآله وسلم) يقول : « كوفان يرد أولها على آخرها . . يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » واشتهيت أن يحشروا في ملكي .

وفي الإرشاد للديلمي : روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) نظر إلى ظهر الكوفة فقال : ما أحسن منظرك ، وأطيب قعرك ، أللهم اجعل قبري بها . . ومن خواص تربته ، إسقاط عذاب القبر ، وترك لمحاسبة منكر ونكير للمدفون هناك[1] .

وفي نقل عظام آدم ، ونوح . . ودفن هود وصالح في النجف أعظم دليل على فضل الدفن في النجف ووادي السلام الملاصق للنجف من الجهة الشمالية . .

وتعتبر مقبرة النجف المعروفة بوادي السلام من أوسع المقابر في العالم ، وتاريخ هذه المقبرة قديم جداً من زمن التعرف على مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وتعتبر أيضاً وادي السلام من أقدس وأطهر الأماكن للدفن في نظر المسلمين عامة والشيعة بشكل خاص .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) : وادي السلام . . إنها البقعة من جنة عدن[2] .

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي : ج ٢ ص ٤٣٩ .
(٢) موسوعة العتبات المقدسة : للأستاذ جعفر الخليلي : قسم النجف . ج ١ ص ٦٩ .



المؤامرة التي طمسها التاريخ

مهم جداً أن يتعرف الإنسان على بعض الماضي من التاريخ ، وخصوصاً إذا كان هذا البعض له صلة في سير حياته واعتقاده . . فسياسة التاريخ وفلسفة المجتمعات الكبيرة والصغيرة كلها تدور في فلك هذا البعض . .

والذي له اطلاع على النواحي التاريخية ورجالاتها يجد أن عيسى بن مريم (عليه السلام) مثلاً قد اضطهد وأوذي من قبل اليهود لأنه لم يوافق مذهبه مذهبهم حتى أنقذه الله تعالى . . ﴿ **إذا قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي** . . ﴾ الآية[1] وهكذا كل من جاء بالإصلاح والعدل ، وخالف سياسة الظالمين يلاقي الكثير من الأذى والإضطهاد .

ولما جاء دور الإسلام وأخذ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نشر دعوته المقدسة وتطبيق الشريعة الإسلامية . . لاقى في ابتداء أمره الشيء الكثير من الأذى من طواغيت قريش ومن تحالف معهم . . حتى أنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما أوذي نبي مثل ما أوذيت . . » .

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٥ .

وبعد انتصار الإسلام على الشرك ، وفتح مكة المكرمة عام ثمانية للهجرة . . واستتباب الأمن وبعد أن أخذت طلائع الإسلام في الإنتشار . . برزت شخصيات استظلت بظل الإسلام منها من أسلمت طوعاً . . ومنها ومن أسلمت كرهاً . . كالمؤلفة قلوبهم وراحت تلك الشخصيات تبحث عن المركز المرموق لعلها تحقق بذلك ما تصبو إليه وتتمناه .

لكن العدل الإسلامي والمساواة بين جميع المسلمين لا يتماشيان مع الأهواء والمطامع . . .

لذلك عمدت بعض تلك الشخصيات بحسب غريزتها النفسية من حب السيطرة والتربع على سدة الحكم إلى تنحية من له أهلية . . وله الحق . .

فكانت النتيجة أن حصل الشرخ الكبير بين صفوف المسلمين ولم بعد يلتئم الشمل .

حينئذٍ أطل أخصام علي والحاقدون عليه برؤوسهم ووجدوا الفرصة سانحة وعلى الأخص بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، فكان لهؤلاء وأتباعهم الدنيويين من أخصام علي والموتورين بسيفه جولات وجولات من الخروج عليه وحربه كما حصل من الناكثين . . والقاسطين . . والمارقين .

وأخذت المؤامرات تحاك لاغتيال علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك البطل العظيم العالم العابد . . . . والزاهد المجاهد في سبيل الله ، بعد أن عجزت الأبطال عن منازلته في ميادين القتال .

أخذت المؤامرات ضد أمير المؤمنين علي الذي قام الدين بسيفه كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « قام الدين بسيف علي ومال خديجة . . . » .

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخندق : « برز الإسلام كله إلى الشرك كله . . » .

إن كل متتبع لأحداث التاريخ بتحقيق عادل ، وتدقيق منصف يجد أن المؤامرة ليست وليدة اجتماع ابن ملجم ورفيقيه في مكة سنة ٣٩هجرية . .

وليست هي أيضاً وليدة صدفة وارتجالية ليقوم ابن ملجم المرادي مع رفيقيه بهذا العمل الخطير الذي غيّر مسار التاريخ وبقي وصمة عار في جبين الأمة الإسلامية .

وليست هذه المؤامرة الخطيرة . . وتنفيذها من السهولة بحيث يقوم بها من ليس هم بذي شأن . .

وليست هذه المؤامرة أيضاً : حدثت بمجرد اجتماع ابن ملجم ورفيقيه بمكة . . الناقمين على حكامهم . . بل المؤامرة أبعد من ذلك . . وأبعد . . .

ومن المعلوم أن ابن ملجم ورفيقيه هم من عامة الناس . . وليسوا من زعماء القبائل التي يحسب لها حساب . . وليسوا هم من الزعماء الكبار أهل الحل والربط . .

والذي يتراءى لنا مما بيّناه أن ابن ملجم مع رفيقيه ما كانوا إلّا أداة تنفيذ للمؤامرة الخطيرة التي استهدفت علي بن أبي طالب (عليه السلام) . وقام بتخطيطها أعداؤه وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ، وعمروبن العاص ، وعبد الله بن الزبير ومن لف لفهم من الطامعين بالخلافة . . . والموتورين من علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ومن سياق الأحداث التاريخية نستنتج أن المؤامرة دُبرت في مكة أيام الحج وبعد عشرة أشهر نفذت في الكوفة . . أي بعد مدة طويلة . . ولم يطلع عليها حسب زعم المؤرخين أحد سوى المنفذين .

أقول : هنا تساؤلات . . وتساؤلات . . إذا كانت المؤامرة وليدة صدفة في مكة ، أو مجرد اجتماع ثلاثة من عامة الناس كما أسلفنا فلماذا

حضر ابن ملجم إلى الكوفة قبل مدة طويلة . . ؟

ولماذا نزل على الأشعث بن قيس صاحب التاريخ المعروف بأنه من المنافقين الكبار ومن المضمرين السوء لعلي . . ؟

وماضي الأشعث يشهد عليه بأنه لم يكن شر أو فتنة تحدث بين صفوف جيش علي (عليه السلام) من أهل العراق إلّا كان الأشعث محدث ذلك الشر أو مثير تلك الفتنة . .

ونكرر القول : بأنه يستنتج مما ذكرنا إلى أن المؤامرة دبرت بإحكام بين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والأشعث بن قيس بالإتفاق مع عبد الله بن الزبير وغيرهم من الحاقدين على علي والموتورين منه .

والدليل الواضح على ما ذكرناه من المؤامرة وجود الأشعث في الليلة التي أغتيل بها علي (عليه السلام) . . . وقرب الفجر إذ صاح بابن ملجم وقال له : فضحك الصبح . . يستحثه على سرعة التنفيذ لاغتيال علي (عليه السلام) .

وقول حجر بن عدي رحمه الله للأشعث : قتلته يا أعور ؟!

وتوكيداً لما ذكرناه . . نجد أن عمرو بن العاص تمارض في وقت تنفيذ المؤامرة ولم يخرج إلى المسجد للصلاة بل أرسل بدلاً منه خارجة بن حذافة العدوي فشد عليه عمرو بن بكر الخارجي فقتله . ونجا عمرو بن العاص من أصابع الإتهام من تدبير المؤامرة لقتل علي .

وأما قطب رحى المؤامرة معاوية بن أبي سفيان الذي كان شبح الخوف من علي مسيطراً عليه . فقد خرج في ليلة المؤامرة للصلاة في المسجد دارعاً . . ولم يكن من عادة المسلمين في ذلك الوقت الخروج إلى الصلاة في المساجد دارعين . .

وبعض المحققين يشكك بأن يكون معاوية كان مقصوداً بالقتل والإغتيال . . بل كانت الضربة التي وقعت على إليته من الخارجي الحجاج بن عبد الله الصريمي الملقب ـ بالبرك ـ مجرد تمثيلية للتمويه على

أعين الناس بأنه المقصود بالمؤامرة . . ومن جملة المتآمر عليهم . .

وبعض المحققين أيضاً ينفي أن يكون معاوية قد لقي أية ضربة سيف على إليته . . وإنما كانت مجرد دعاية لنفي التهمة عنه باغتيال علي وإبراز شخصية معاوية ذاته .

ويستدل على أن معاوية كان ضليعاً بالمؤامرة أيضاً : قول أبي الأسود الدؤلي(1) :

---

(1) في الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج ٢ ص ٢٤١ أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ـ وقال الواقدي : إسمه عويمر بن ظويلم ـ وقيل هو عمرو بن عمران وقيل : عثمان بن عمرو . وأبو الأسود الدؤلي مشهور بكنيته ، وهو من كبار التابعين . مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

ولي قضاء البصرة ووثقه ابن معين والعجلي وقال أبو عمر كان ـ أبو الأسود الدؤلي ـ ذا دين وعقل ، ولسان وبيان ، وفهم وحزم . استخلفه ابن عباس على البصرة ، فأقره علي (عليه السلام) عليها . وقال أبو الفرج الإصبهاني : ذكر أبو عبيدة أنه ـ أبو الأسود الدؤلي ـ أدرك الإسلام ، وشهد بدراً مع المسلمين . قال المرزباني : هاجر أبو الأسود الدؤلي إلى البصرة في خلافة عمر ، وولاه علي البصرة خليفة لابن عباس . وكان ـ أبو الأسود الدؤلي ـ علوي المذهب .

وقال الجاحظ : كان أبو الأسود معدوداً في طبقات من الناس ، مقدماً في كل منها ، كان يعد في التابعين ، وفي الشعراء ، والفقهاء ، والمحدثين ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والنحاة ، والحاضري الجواب . وفي الإصابة أيضاً عن أبي العباس المبرد أنه قال : أول من وضع العربية ، ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي . . . وقد سُئل أبو الأسود عمن نهج له الطريق ، فقال : تلقيته عن علي بن أبي طالب .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي: أدرك حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهاجر إلى البصرة على عهد عمر بن الخطاب . وتوفي سنة ٦٩ في خلافة عمر بن عبد العزيز عن عمر يناهز ٨٥ عاماً . وكان أبو الأسود الدؤلي من علماء التابعين ، وأصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حضر معه صفين . وينسب إليه وضع علم النحو أخذه عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال له : الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف . وأراد زياد منه أن يكتب في ذلك كتاباً فلم يقبل إلى أن سمع يوماً قارئاً يقرأ : إن الله بريء من المشركين ورسوله بكسر لام رسوله . فوضع كتاباً في النحو وهو أول كتاب كتب .

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللها ومن ركب السفينا

ويشير أبو الأسود الدؤلي إلى خلافة الحسن بن علي (عليهما السلام) بقوله :

فلا تشمت معاوية بن حرب ... فإن بقية الخلفاء فينا

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني : أنه لما أتى أم المؤمنين عائشة نعي علي أمير المؤمنين (عليه السلام) : تمثلت :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم قالت : من قتله . . . ؟

فقيل لها : رجل من مراد .

فقالت :

فإن يك نائياً فلقد بغاه ... غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أم سلمة : ألعلي تقولين هذا . . . ؟ !

فقالت ـ عائشة ـ : إذا نسيت فذكروني . . . ثم تمثلت :

ما زال إهداء القصائد بيننا ... باسم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم ... في كل مجتمع طنين ذباب[1]

وفي رواية : إن أم المؤمنين عائشة عندما أتاها خبر مقتل علي (عليه السلام) سجدت . . .

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٤٢ راجع ابن سعد : ج ٣ ص ٢٧ والطبري ج ٤ ص ١١٥ ط بيروت . وابن الأثير في الكامل في التاريخ : ج ٣ ص١٩٨؛ ، وغيرهم .

صفة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فريد زمانه ، قد خصه الله سبحانه وتعالى بصفات . . مادية ومعنوية مميزة عن غيره من الرجال . . .

وقد تبارى المؤرخون في ذكر أوصافه ، فمنهم من أطال وأسهب ، ومنهم من اختصر وأوجز . .

ولما كنا في سياق الكتابة عنه (عليه السلام) لا بد لنا من ذكر أوصافه ولو بلمحة موجزة إتماماً للفائدة .

ذكر ابن عبد البر في كتابه الإستيعاب : أنه (عليه السلام) كان ربعة من الرجال إلى القصر هو أقرب ، أدعج العينين[١] ، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسناً . . ضخم البطن ، عريض المنكبين ، شثن الكفين[٢] أغيد كأن عنقه إبريق فضة[٣] أصلع ، ليس في رأسه شعر

(١) الدعج : شدة سواد العين مع سعتها .

(٢) شثن كفه : أي خشنت وغلظت . وفي النهاية أي يميلان إلى الغلظ والقصر .
وقيل : أن يكون في أنامله غلظ بلا قصر ، ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم ، ويذم في النساء .

(٣) لعل المراد : أن عنقه كإبريق فضة في البريق واللمعان .

إلاّ من خلفه ، كبير اللحية ، لمنكبه مشاش كمشاشي السبع الضاري[1] لا يتبين عضده من ساعده قد ادمجت إدماجاً ، إذا مشى تكفأ[2] وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه ، فلم يستطع أن يتنفس ، شديد الساعد واليد ، وإذا مشى للحرب هرول ، ثبت الجنان ، قوي شجاع منصور على من لاقاه[6] .

ومما ورد في صفته (عليه السلام) ما رواه صاحب كشف الغمة عن صديقه المعز المحدّث ، وذلك حين طلب منه السعيد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل رحمه الله أن يخرج أحاديث صحاحاً ، وشيئاً مما ورد في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفاته ، وكتبت على الأنوار الشمع الأثنى عشر التي حُملت إلى مشهده (عليه السلام) قال : وأنا رأيتها . ثم أخذ في وصفه (عليه السلام) كما وصفه ابن عبد البر في الإستيعاب مغ تغيير طفيف في بعض الكلمات .

وفي كشف الغمة أيضاً : إن معاوية بن أبي سفيان قال لضرار بن ضمرة : صف لي علياً . . . ؟

قال ضرار : اعفني . .

قال معاوية : لتصفنه . .

قال ضرار : أما إذا لا بد . . . فإنه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً . . . يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته . .

كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة . . يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب . . . ـ أي ما غلظ ـ .

---

(١) المشاش : بالضم : رؤوس العظام ، والمراد أن رؤوس عظام المنكبين منه كرؤوس عظام منكبي الأسد في الغلظ .

(٢) تكفأ : أي تمايل إلى الأمام .

(٣) الإستيعاب لابن عبد البر : هامش الإصابة للعسقلاني : ج ٣ ص ٥٧ .

وكان ـ عليه السلام ـ فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه هيبة له . . .

يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين . . لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . .

وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم[1] ويبكي بكاء الحزين ، وهو يقول : يا دنيا غري غيري . . . إلي تعرضت أم إلي تشوقت . . هيهات . . . هيهات . . . قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك . . فعمرك قصير، وخطرك كبير ، وعيشك حقير . . .

آه . . . من قلة الزاد . . وبعد السفر . . ووحشة الطريق . . .

فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك . فكيف حزنك عليه يا ضرار . . ؟

قال ضرار : حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[2] .

وفي الإستيعاب لإبن عبد البر : إنه سُئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال :

كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ، ذا قرابتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . .

لم يكن ـ علي بن أبي طالب ـ بالنومة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله . .

---

(١) سلمته الحية : لدغته . . السليم : اللديغ .
(٢) كشف الغمة : للأربلي ج ١ ص ٧٦ .

أعطى القرآن عزائمه . . ففاز منه برياض مونقة . . ذاك علي بن أبي طالب يا لكع[1] .

(١) الإستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة للعسقلاني ج ٣ ص ٤٧ .

زوجات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده

في أعيان الشيعة : أول زوجات أمير المؤمنين علي فاطمة الـزهراء سيدة النساء (عليها السلام) بنت رسول الله سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده (عليه السلام) .

- ثم تـزوج بعدهـا أمـامـة بنت أبي العـاص بن الـربيـع بن عبـد العزي بن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم)[1] .

- ثم تزوج أم البنين بنت حزام بن دارم[2] الكلابية . . .

- وتزوج ليلى بنت مسعو بن خالد النهشلية التميمة الدارمية .

- وتـزوج أسماء بنت عميس الخثعميـة ،كانت تحت جعفـر بن أبي طالب فقتل عنهـا ، ثم تزوجهـا أبو بكـر فتوفي عنهـا ، ثم تزوجهـا أمير المؤمنين علي .

---

(١) في كتاب المرأة في ظل الإسلام للسيـدة مريم نـور الدين فضـل الله ، ص ٢٢٧ : إن الزهراء (عليها السلام) أوصت زوجهـا (عليه السـلام) أن يواري جثمانها في غسق الليل ، حتى لا يحضر جنازتها أحد من الذين ظلموهـا ، وجحدوا حقهـا ، وأن يعفى موضع قبرها . وأوصته أيضاً : أن يتزوج ابنة أختها أمامة ، لتقوم عـلى رعايـة أبنائهـا قـالت له : يـا بن عم لا بد للرجـال من النساء ، فـإذا أنا مت ، فعليـك بابنـة أختي أمامة . . . فإنها تكون لأولادي مثلي .

(٢) في الطبري والإرشاد : بنت حزام .

ـ وتزوج أم حبيب بنت ربيعة التغلبية ، واسمها الصهباء من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر .

ـ وتزوج خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفية ، وقيل : خولة بنت أياس .

ـ وتزوج أم سعد ـ أو سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية .

ـ وتزوج مخبأة بنت امرىء القيس بن عدي الكلبية[1] .

وأما أولاده (عليه السلام) . . فقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير : أن علياً أمير المؤمنين توفي عن عدد من الأولاد واختلفوا في عددهم . فالمسعودي قال في مروجه : أولاد علي ن أبي طالب خمسة وعشرين ما بين ذكر وأنثى .

وفي الطبري وابن الأثير والواقدي : أن جميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكراً . . وسبعة عشر امرأة . . فيكون المجموع ٣١ ولداً .

وأما اليعقوبي فقد ذكر في تاريخه : أن له (عليه السلام) من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً ، ومن البنات ثماني عشر ابنة ، من أمهات شتى . . .

وأما الشيخ المفيد فقد ذكر في إرشاده : أن أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى الذكور ـ ١٢ ـ والإناث ـ ١٥ ـ .

وذكر بعض المؤرخين من أن لعلي (عليه السلام) ثلاثة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى ويمكن في هذا الحال تفسير هذه الزيادة من أنهم عدّوا الإسم واللقب اثنين مع أنهما لشخص واحد . .

ولا بأس بذكرهم تفصيلاً ، ونكتفي الآن بما ذكره الشيخ المفيد في إرشاده حيث قال :

---

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٣٢٦ ط دار التعارف بيروت .

أولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى ١ ـ الحسن ٢ ـ الحسين (عليهما السلام) ٣ ـ زينب الكبرى ٤ ـ زينب الصغرى المكناة بأم كلثوم . أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ٥ ـ محمد المكنى بأبي القاسم . أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية . ٦ ـ عمر ٧ ـ رقية ، كانا توأمين ، أمهما أم حبيب بنت ربيعة ٨ ـ العباس ٩ ـ جعفر ١٠ ـ عثمان ١١ ـ عبد الله الشهداء مع أخيهم الحسين (عليه السلام) بطف كربلاء . أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم ١٢ ـ محمد الأصغر المكنى بأبي بكر ١٣ ـ عبيد الله الشهيدان مع أخيهما الحسين (عليه السلام) بطف كربلاء . أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية . ١٤ ـ يحيى ، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها . ١٥ ـ أم الحسن ١٦ ـ رملة . أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ١٧ ـ نفيسة ١٨ ـ زينب الصغرى ١٩ ـ رقية الصغرى ٢٠ ـ أم هاني ٢١ ـ أم الكرام ٢٢ ـ جمانة المكناة أم جعفر ٢٣ ـ إمامة ٢٤ ـ أم سلمة ٢٥ ـ ميمونة ٢٦ ـ خديجة ٢٧ ـ فاطمة رحمة الله عليهن لأمهات شتى .

ويذكر الشيخ المفيد أيضاً : وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكراً كان سماه رسول الله وهو حمل محسناً . . فعلى قول هذه الطائفة : أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمانية وعشرون ولداً . . .[1] على أن ابن الأثير والطبري قالا : أن المحسن توفي صغيراً . . وكان النسل من ولد علي (عليه السلام) لخمسة .

ـ الحسن والحسين ابني الزهراء (عليهم السلام) ومحمد بن الحنفية . . والعباس بن الكلابية ـ وعمر بن التغلبية .

وقد كثر الله تعالى نسل علي وفاطمة (عليهما السلام) بدعوةالنبي

(١) الإرشاد للشيخ المفيد : ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(صلى الله عليه وآلـه وسلـم) ليلة زفافهـما بقولـه : « أللهم اخرج منهـما الكثير الطيب » .

وعن الجـاحظ أنه قـال : قال عـلي بن أبي طالب (رض) : بقيـة السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً ووجد الناس ذلك بالعيان الذي صار إليـه ولده من نهك السيف ، وكثرة الذرء وكرم النجل .

ماذا ترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . .

رحـل أمير المؤمنين عـلي بن أبي طـالب (عليـه السـلام) من دار الفناء . . إلى دار البقاء . . تـاركاً مـيراثاً عـظيماً لـلإنسانيـة جمعاء ، من العلم ، والحكمة ، والموعظة الحسنة .

رحـل (عليه السـلام) . . ولم يترك صفـراء ولا بيضـاء . . . ولا العبيـد ولا الإمـاء . . ولا أي شيء من المتـاع . . من دور أو قصـور أو ضياع ، ليهنأ بها غيره من بعده كما يفعل أهل الدنيا من طـلاب اللذائذ والشهوات . . .

أجل . . رحل (عليه السلام) ولم يخلف تـراثاً من مـال جمعه من الـدنيا الفـانية التي كـان يخاطبهـا بقولـه : « يا دنيـا . . . يا دنيـا إليـك عني . . . أبي تعرضت . . . أم إلي تشوقت . . . الخ .

أجـل . . . رحل (عليـه السلام) في وقت كـان سلطانـاً وأميـراً تجبى إليـه الأموال فهي تحت تصرفـه ليفعل بهـا ما يشـاء . . فقـد كـان بـاستطاعتـه (عليه السـلام) التمتع بمـلاذ الدنيـاوشهواتهـا . . لكنـه لم يفعل . . .

وكان باستطاعته أيضاً أن يترك لأولاده وذويـه الأموال والضيـاع ، والعبيد والإماء لكنه (عليه السـلام) ترفـع عن ذلك كله ولم يفعله لأنـه كان للدنيا زاهداً ولبهارجها قالياً .

رحل (عليه السلام) . . . ولم يترك ميراثاً لـورثته بـل كان يكنس بيت المال بكمه . . كما هو معـروف عنه . . بعـد أن يفرق الأمـوال على المسلمـين بالعـدل والقسطاس . . ثم يعـود ويخاطب المـال بقولـه : «يـا صفراء ويا بيضاء غري غيري . . . الخ .

ومما وعاه التـاريخ أن الإمـام الحسن بن علي لما مـات أبـوه أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قام في النـاس خطيبـاً فقال : بعد أنْ حمد الله وأثنى عليه وصلّى عـلى النبيّ محمد (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) .

« ألا أنه قد مضى في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولـون . . . ولن يرى مثله الآخرون . . . من كان يقاتـل وجبريـل عن يمينه ، وميكـائيل عن شماله .

والله لقـد توفي في الليلة التي قبض فيهـا مـوسى بن عمـران . . . ورفع فيها عيسى بن مريم . . . وأنزل القرآن . .

ألا وأنـه (عليه السـلام) ما خلف صفـراء . . . ولا بيضاء . . . إلّا سبعـمائـه درهم فضلت من عـطائـه ، أراد أن يبتـاع بهـا خـادمـاً لأهله »[1] .

روى المؤرخون وأصحاب السير أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقف جميع ما عنده من ضياع وغيرها .

حتى أنه (عليه السلام) كانت له دار في المدينة جعلها صدقة على ما سيأتي .

ومن جملة الضيـاع التي أوقفهـا ـ البغيبغـة ـ وهي ضيـعـة قـرب المدينة[2] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٢) معجم البلدان لياقوت الحمـوي : بغيبغة تصغـير البغبغة . وهـو ضرب من الهدير ، وقال ابن الأعرابي : البغيبغ ماء كـان قامـة أو نحوهـا . قال محمـد بن يزيـد في كتاب الكامل : رووا أن عـلي بن أبي طالب (عليـه السلام) ، لمـا أوصى إلى ابنه الحسن في =

= وقف أمواله ، وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة .
وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة : أن يخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن معاوية . وأن يرغب له في الصداق .
توجه مروان إلى عبد الله بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية : فقال عبد الله : إن خالها الحسين بينبع ، وليس يفتأت عليه بأمر ، فانظرني إلى أن يقدم . وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
فلما قدم الحسين (عليه السلام) ذكر له ذلك عبد الله بن جعفر . فقام من عنده ودخل على الجارية ، وقال : يا بنية . . . إن ابن عمك القاسم ابن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق . . . وقد نحلتك البغيبغات . فلما حضر القوم للأملاك ، تكلم مروان : فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة .
فتكلم الحسين (عليه السلام) : وزوجها من القاسم بن محمد ، فقال له مروان : أغدراً يا حسين ؟ فقال الحسين : أنت بدأت . خطب أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) عائشة بنت عثمان بن عفان ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمت أنت وزوجتها من عبد الله بن الزبير . فقال مروان : ما كان ذلك ، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب وقال : أنشدك الله . . أكان ذلك ؟ فقال : أللهم نعم .
وفي مناقب ابن شهر آشوب بعد ذكر هذه القصة قال : أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين وقال أن معاوية أمرني أن أخطب أم كلثوم لابنه يزيد ، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ . قال الحسين لعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناته ونسائه وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً . وبعد حوار دار بينهما قال الحسين : اشهدوا أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً . . . . وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة : أو قال : أرضي بالعقيق ، وإن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار . . . الحديث .
أقول : الصداق هو المهر . . . والنحلة غير المهر .

(١) في معجم البلدان لياقوت الحموي نيزر ، من النزارة وهو القليل أو من النزر وهو الإلحاح في السؤال . وعين أبي نيزر : روى يونس عن محمد بن إسحاق بن يسار أن أبا نيزر الذي تنسب إليه العين ، هو مولى علي بن أبي طالب (عليه السلام) . كان ابناً للنجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون . . . لصلبه . وأن علياً (عليه السلام) وجده عند تاجر بمكة . فاشتراه منه وأعتقه مكافأه بما صنع أبوه =

تصدق بها على فقراء أهل المدينة وكتب بذلك كتاباً ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذا ما تصـدق بـه عبـد الله علي أمـير المؤمنـين ، تصـدق بالضيعتين . . بعين أبي نيزر ، والبغيبغة على فقـرء أهل المـدينة ، وابن السبيل ليقي بهما وجهه حر النار يوم القيامة . . . لا تبـاعاً ، ولا تـوهبـا

= ـ النجاشي ـ مع المسلمين حين هاجروا إليه ـ في بدء الدعوة الإسلامية ـ .

وذكروا أن الحبشة مرج ـ اضطرب ـ عليها أمرها بعد مـوت النجاشي ، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي (عليه السـلام) ليملكوه عليهم ويتـوجوه . . ولا يختلفـوا عليـه ، فـأبى . . . وقـال : مـا كنت لأطلب الملك بعـد أن منّ الله عـلي بالإسلام . وكـان أبو نيـزر من أطول النـاس قامـة ، وأحسنهم وجهاً ، ولم يكن لـونه كألوان الحبشة ، ولكنه إذا رأيتـه قلت هذا رجـل عربي . وفي معجم البلدان ليـاقوت أيضاً : عن أبي ملحم محمد بن هشام في أسناده قـال : كان أبـو نيزر من أبنـاء بعض الملوك الأعـاجم قال : وصـح عندي ، بعـد أنه من ولـد النجاشي فـرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وكـان معه في بيـوته ـ مؤنتـه ـ فلما تـوفي رسول الله (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) صار مـع فاطمـة وولـدهـا سـلام الله عليهم . قال أبو نيزر : جاءني علي بن أبي طالب ـ أمير المؤمنين ـ (عليه السلام) وأنـا أقـوم بالضيعتـين ، عين أبي نيـزر . . . والبغيبغة . فقـال : هـل عنـدك من طعـام ؟ فقلت : طعـام لا أرضاه لأمـير المؤمنين قـرع من قرع الضيعـة صنعته بـإهالـة سنخـة ـ والإهالة ما أذيب من الشحم ـ فقال (عليه السلام) : عليَّ به . ثم قـام إلى الربيـع وهو جدول فغسل يديه . . . ثم أصاب من ذلك شيئاً . ثم رجع إلى الربيـع ، فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ، ثم ضم يديه كل واحدة منهما إلى أختها ، وشرب بهما حسـاً من ماء الربيع ثم قال : يا أبا نيـزر . . إن الأكف أنظف من الآنيـة . ثم مسح نـدى ذلك الماء على بطنه ، وقال : من أدخله بطنه النـار ، فأبعـده الله . . ثم أخذ المعـول وانحدر فجعل يضرب وأبـطأ عليه المـاء ، فخرج وقـد تنضح جبينـه عرقـاً ، فانتكف العـرق من جبينه ، ثم أخـذ المعول وعـاد إلى العين ، فـأقبـل يضرب فيهـا ، وجعـل يهمهم ، فانثالت كأنها عنق جزور ، فخرج مسرعاً وقال : أشهد الله أنها صدقة . ثم قـال : علي بـدواة وصحيفة . قـال أبو نيـزر : فعجلت بهـا إليـه . فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . . . هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصـدق بالضيعتـين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيـل ليقي بهما وجهـه حر النـار يوم القامة . . . إلخ .

حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلّا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما ، وليس لأحد غيرهما » .

ويذكر ياقوت في معجمه أيضاً عن محمد بن هشام : ركب الحسين (عليه السلام) دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار ، فأبى أن يبيع وقال :

« إنما تصدق بهما أبي ليقي الله وجهه حر النار . . . ولست بائعهما بشيء »[1] .

ومن جملة موقوفاته(عليه السلام) ينبع[2] التي كان يتولاها ولده .

ومن جملة موقوفات أمير المؤمنين علي (عليه السلام) داره في المدينة .

ففي الوسائل للحر العاملي عن الأسود بن أبي الأسود الدؤلي عن ربعي بن عبد الله ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : تصدق أمير المؤمنين (عليه السلام) بدار له في المدينة في بني زريق ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تصدق به علي بن أبي طالب وهو حي سوي ، تصدق بداره التي في بني زريق صدقة لا تباع ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث السماوات والأرض .

وأسكن هذه الصدقة خالاته ما عشن ، وعاش عقبهن ، فإذا انقرضوا فهي لذي الحاجة من المسلمين »[3] .

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي : ج ٤ ص ١٧٥ .

(٢) في معجم البلدان لياقوت أيضاً عن الأصبغ السلمي : ينبع هي عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر ، وهي لبني حسن بن علي وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث . وفيها عيون عذاب غزيرة . وهي قرية غناء . وفي المعجم أيضاً : ينبع : حصن به نخيل وماء وزروع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) يتولاها ولده .

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ١٣ ص ٣٠٤ ط دار إحياء التراث العربي . بيروت =

وفي الوسائل للحر العاملي أيضاً : عن أيوب ابن عطية قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفيء ، فأصاب علياً (عليه السلام) أرضاً ، فاحتفر فيها عيناً ، فخرج منها ماء ينبع في السماء ، كهيئة عنق البعير ، فسماها ينبع .. فجاء البشير يبشره ، فقال (عليه السلام) :

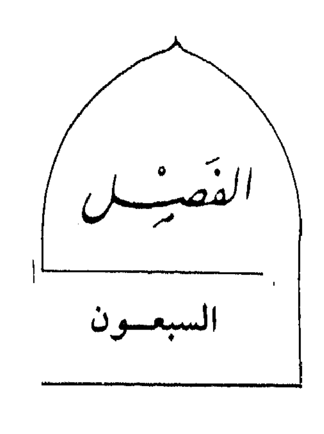
« بشر الوارث .. بشر الوارث ، هي صدقة بتاً .. بتلا[1] في بيت الله ، وعابر سبيله . لا تباع ، ولا توهب ، ولا تورث ، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » .

أقول : ورواية رجوع الوقف إلى الورثة تخالف ما اشتهر بين الفقهاء من وجوب تنجيز الوقف ، وعدم جواز الرجوع إلى الملك الخاص .

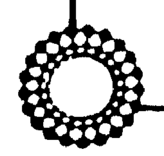
بخلاف الرواية الثانية التي توافق مشهور الفقهاء .

= ورواية الوسائل رواها الصدوق بإسناده عن ربيعي بن عبد الله أيضاً : راجع كتاب المتاجر في جواز بيع الوقف للشيخ الأنصاري .

(٤) بت الأمر : قطعه ... وأمضاه .. وبتل الشيء : قطعه وأبانه عن غيره .



الفصل
السبعون





عهد أمير المؤمنين علي .. للأشتر

لم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام حاكماً عادياً . . . لأنه ربيب صاحب الرسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلميذه . . . تخلق بأخلاقه ، ونهل العلم من منهله . . لذلك كانت رعايته لشؤون الأمة مختلفة جداً عن غيره من الحكام . . .

حمل (عليه السلام) أمانة الرسالة من المصدر الرئيسي سيد البشر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأداها بإخلاص . . حكم فعدل . . ونصح فأرشد . . . وجاهد في سبيل الله بسيفه ولسانه . . .

خاض الحروب بشجاعة وإقدام وأفاض على الناس من علمه ما أنار لهم دروب الحياة . . . حيث وسعهم نصحه ورأيه ، وتدبيره في جميع المجالات . . .

كانت وصيته لمالك الأشتر رضي الله عنه عظيمة في معانيها . . غنية في المواقف والآراء التي يجب على كل حاكم إسلامي أن يتحلى بها . . . ويسير على طبقها .

اشتملت الوصية على كل ما ينظم أمور الدولة . . ومن خلالها تتجلى بلاغة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . وسمو مواقفه . . . وكذلك غناه الفكري حيث تحدث عن كل ما يهم الحاكم . . وأمده بكل ما يعينه في إدارة ولايته .

فكانت وصيته (عليه السلام) برنامج حكم متكامل ، لم ينس فيها أياً من الجوانب السياسية . . . والإقتصادية . . . والعسكرية . وكذلك أمور الرعية الخاصة . . أي الشؤون الإجتماعية . واختتمها بنصائح خاصة للأشتر حول علاقته بربه وعلاقته بالناس . . .

وإليك أيها القارىء الكريم العهد الذي كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر . . . كما في نهج البلاغة .

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمره به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلاّ باتباعها ، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بيده ، وقلمه . ولسانه . فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه . . .

وأمره أن يكسر نفسه(١) عند الشهوات وينزعها عند الجمحات(٢) فإن النفس أمارة بالسوء إلاّ ما رحم الله » .

---

(١) وفي شرح ابن أبي الحديد : وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات .

(٢) وفي شرح ابن أبي الحديد : وينزعها عند الجمحات : والجمحات : منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها ، ونزعها بكفها عن مطامعها .

العدل والإنصاف مع الرعية

ولنستمع لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو يوصي مالك الأشتر أن يعمل بالعدل والإنصاف والمساواة ، ويعلمه كيفية التعامل مع الرعية يقول له :

ثم اعلم يا مالك ، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده .

فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح . فأملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت .

واشعر قلبك الرحمة للرعية ،والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم . . . فإنهم صفنان : أما أخ لك في الدين . . . وأما نظير لك في الخلق[1] ،يفرط منهم الزلل ، وتعرض

---

(١) إماا أخ لك في الدين : أي أنه مسلم والمسلم أخ المسلم . وأما نظير لك في الخلق : معناه أنه إنسان مثلك له إحساسه البشري الذي يتميز بالعقل . ويقتضي هذا الإحساس منك الرحمة له والرأفة به والعطف عليه ومعاملته كإنسان .

لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ . . . فاعطهم من عفوك وصفحك ، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ،ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ، وقد استكفاك أمرهم ، وابتلاك بهم .

ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدى لك بنقمته[1] ولا غنى بك عن عفوه ورحمته .

ولا تندمن على عفو ، ولا تبجّحن بعقوبة ، ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت عنها مندوحة .

ولا تقولن أني مؤمر . . . آمر فأطاع ، فإن ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير[2] .

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة أو مخيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك[3] ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك .

إياك ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال .

انصف الله ، وانصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك هوى فيه من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب .

---

(١) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور . وليس لك يد أن تدفع بها نقمة الله أو غضبه .

(٢) أدغال القلب : إفساده . ومنهكة الدين : ضعف وسقم ، والغير : حادثات الدهر بتبدل الدول .

(٣) الغرب : حد السيف : ويستعار للسطوة والسرعة في البطش والفتك .

وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته . من إقامة على ظلم ، فإن الله يسمع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد[1] .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، واعمها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة .

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي معونة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ، وأكره للإنصاف ، واسأل بالإلحاف ، وأقل شكراً عند الإعطاء ، وابطأ عذراً عند المنع ، واضعف صبراً عند ملمات الدهر ، من أهل الخاصة ، وإنما عمود الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء العامة من الأمة . فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم[2] .

---

(١) قوله : أنصف الله : أي قم بما فرض عليك من العبادة والواجبات العقلية والسمعية .

ثم قال له : وانصف الناس من نفسك ومن ولدك وخاصة أهلك ومن تحبه وتميل إليه . فمتى لم تفعل ذلك كنت ظالماً فإنّ الله يسمع المضطهدين المظلومين . ومنه قول الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم آخره يأتيك بالندم

تنام عينك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

(٢) عرفه (عليه السلام) أن قانون الإمارة الإجتهاد في رضا العامة ، فإنه لا مبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة . فأما إذا سخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة ، وذلك مثل أن يكون في البلد عشرة . . أو عشرون من أغنيائه ، وذوي الثروة من أهله ، يلازمون الوالي ويخدمونه ، ويسامرونه ، وقد صار كالصديق لهم ، فإن هؤلاء ومن ضارعهم من حواشي الوالي وأرباب الشفاعات والقربات عنده لا يغنون عنه شيئاً عند تنكر العامة له . وكذلك لا يضر سخط هؤلاء إذا رضيت العامة . وذلك لأن هؤلاء عنهم غنىً ولهم بدل ، والعامة لا غنىً عنهم ، ولا بدل منهم . ولأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب ، فلا يقاومه أحد ، وليس الخاصة كذلك . ثم قال له (عليه السلام) : ليس شيء أقل نفعاً ولا أكثر ضرراً على الوالي من خواصه أيام الولاية ، لأنهم يثقلون عليه بالحاجات ، والمسائل ، والشفاعات ، =

وليكن أبعد رعيتك منك ، واشنأهم[1] عندك ، اطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك . فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك .

اطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر ، وتغاب[2] عن كل ما لا يضح لك[3] ، ولا تعجلن إلى تصديق ساعٍ ، فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين » .

= فإذا عُزل هجروه ورفضوه حتى لو لقوه في الطريق لم يسلموا عليه ، راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٧ ص ٣٥ .

(١) أشنأهم عندك : أبغضهم إليك .

(٢) وتغاب : تغافل .

(٣) يضح : يظهر ، والماضي وضح .

حسن اختيار البطانة

وبعد هذا الإيضاح لما ينبغي أن يكون عليه الوالي الصالح يمضي (عليه السلام) في بيان قضايا أخرى ، في سياسة الراعي للرعية . . . وفي حسن اختيار البطانة واستشارة ذوي الخبرة من الأوفياء المخلصين ، فيقول :

« ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل ، والجبن ، والحرص ، غرائز شتى يجمعها سؤ الظن بالله[1] .

---

(١) قوله (عليه السلام) : « فإن البخل ، والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله » .
معناه : أن بينها قدراً مشتركاً وإن كانت غرائز وطبائع مختلفة ، وذلك القدر المشترك هو سوء الظن بالله ، لأن الجبان يقول في نفسه : إن أقدمت قتلت ، والبخيل يقول : إن سمحت وأنفقت افتقرت ، والحريص يقول : إن لم أجد واجتهد فاتني ما أروم . وكل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله ، ولو أحسن الإنسان الظن بالله ، وكان يقينه صادقاً لعلم أن الأجل مقدر ، وأن الرزق مقدر ، وأن الغنى والفقر مقدران ، وأنه لا يكون من ذلك إلاّ ما قضى الله تعالى كونه . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٧ ص ٤١ .

إن شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً ، ومن شركهم في الآثام ، فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم أعوان الأثمة ، وأخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليهم مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم[1] ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه ، ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقل لغيرك إلفاً .

فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك ، وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك[2] ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع .

والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ألا يطروك[3] ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدني من العزة .

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء . . . فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، والزم كلا منهم ما ألزم نفسه[4] .

---

(١) آصارهم : هو الذنب والإثم وكذلك الأوزار . وقد نهاه (عليه السلام) ألا يتخذ بطانة قد كانوا من قبل بطانة للظلمة فالظلم تأصل في نفوسهم فلم يعد يرونه سيئاً أو ينكرونه لتكرار معاشرتهم لهم . ومن استعان بهم كان معيناً لهم . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ سورة الكهف : الآية ٥١ .

(٢) ليكن آثرهم عندك وأقربهم إليك أكثرهم قولاً بالحق ـ والحق مر ـ وقليل فاعله ومرارة الحق صعوبته على نفس الوالي .

(٣) « والصق بأهل الورع » . أي أدنهم منك ، واجعلهم خاصتك ، « ورضهم على ألا يطروك » عودهم على ألا يمدحوك في وجهك ، ولا يبجحوك كما يبجح الأمراء أصحابهم قبلك . وقد جاء في الخبر : احثوا في وجوه المداحين التراب .

(٤) فإن المسيء الزم نفسه استحقاق العقاب ، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة . « ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء » أي إذا لم يكن للمحسن ما يرفعه ، وللمسيء ما يضعه ، زهد المحسن في الإحسان ، واستمر المسيء على الطغيان .

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم[1] وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم .

فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعتيك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً .

وإن أحق من حسن ظنك به . . . لمن حسن بلاؤك عنده . . .

وإن أحق من ساء ظنك به ، لمن ساء بلاؤك عنده .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية[2] .

ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنها . . . والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء[3] ، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك » .

---

(١) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له ، فإن الإحسان قياد الإنسان .

(٢) ثم نهاه عن نقض سنة صالحة عمل بها من قبله من صالحي الأمة .

(٣) وفي بعض النسخ : مناقشة : أي محادثة . والمراد والله العالم : أمره بمناقشة العلماء والحكماء في مصالح عمله ، فإن المشورة بركة ، ومن استشار فقد أضاف عقلاً إلى عقله . وفي المثل : ما حار من استشار .



تقسيم الرعية إلى طبقات

يتابع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) توصياته لمالك الأشتر فينتقل إلى ناحية أخرى من هذا الدستور العظيم ليوضح له من أن الرعية تنقسم إلى طبقات . . . ويحدد صفات وماهية كل طبقة من طبقات الشعب وما تحتاجه . . . بقوله :

« واعلم أن الرعية طبقات ، لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض . . .[1] .

---

(١) المراد بالطبقات هنا ليس المعنى المتداول في عصرنا الحاضر - الطبقية - التي تقسم الشعب إلى طبقات متفاوتة . . الإقطاعية ، والرأسمالية ، والبرجوازية ، والشعبية إلى آخر ما هنالك من مصطلحات وتقسيمات لا يعترف الإسلام بها . بل كل ما يعترف الإسلام به . . نظام واحد . . . العدل والمساواة لجميع الناس . . لا تفاوت بين المسلمين وليس من رفيع أو وضيع إلاّ بحسب أخلاصه في عمله . وقيمه كل امرىء ما يحسنه . وقوله (عليه السلام) : « لا يصلح بعضها إلاّ ببعض » معناه أن الإنسان خلقه الله إجتماعياً ولا بدله من الإنضمام إلى أشخاص آخرين ليتعاون معهم على العيش وسبل تنظيم الحياة ، وما رافقها من إحتياجات فالإنسان مضطر بطبيعته إلى تأمين المسكن . . والمأكل والملبس ومن يدرأ عنه عاديات الزمن . ومن المعلوم أن كل إنسان بمفرده لا يتمكن أن يقوم بجميع الأعمال التي أعددناها . ولا بد له من جماعة يتعايش معها ويتعاون على سير أمور الحياة . وبالتعاون والنظام يعيش الإنسان بسلام .

ـ فمنها : جنود الله . . .

ـ ومنها : كتّاب العامة والخاصة . . .[١] .

ـ ومنها : قضاة العدل . . .

ـ ومنها ـ عمال الإنصاف والرفق . . .

ـ ومنها : أهل الجزية ، والخراج من أهل الذمة ، ومسلمة الناس .

ـ ومنها : التجار . . . وأهل الصناعات . .

ـ ومنها : الطبقة السفلى من ذوي الحاجة[٢] والمسكنة . وكلا[٣] قد سمي له الله سهمه[٤] ، ووضع على حدة فريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) عهداً منه عندنا محفوظاً .

فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلّا بهم .

ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم .

ثم لا قوّام لهذين الصنفين إلّا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامّها[٥] .

---

(١) كتاب جمع كاتب : منهم للعامة كالمحاسبين والمحررين وغيرهم . والخاصة وهم المختصون بالحاكم يفضي إليهم بأسراره ويكتبون له ما يريد في حربه وسلمه .

(٢) وفي بعض النسخ : من ذوي الحاجات والمسكنة .

(٣) وفي بعض النسخ : وكلٌّ .

(٤) سهمه : نصيبه من الحق .

(٥) المعاقد : العقود في البيع والشراء وما شبه ذلك مما هو من شأن القضاة ، وجمع المنافع =

ولا قوام لهم جميعاً إلّا بـالتجار ، وذوي الصنـاعات فيـما يجتمعون عليـه من مـرافقهم ، ويقيمـونـه من أسـواقهم ، ويكفـونهم من الـترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم[1] .

ثم الطبقة السفلى[2] من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفـدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه .

وليس يخـرج الوالي من حقيقـة ما ألـزمـه الله تعـالى من ذلـك إلّا بالإهتمام والإستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصـبر عليه فيما خف عليه أو ثقل » .

= من حفظ الأمن ، وجبـاية الخـراج وتصريف النـاس في منـافعهم العـامـة ذلـك شـأن العمال : والمؤتمنون هم الكتاب .

(١) الضميـر للتجار وذوي الصنـاعات . أي أنهم قـوام لمن قبلهم بسبب المرافق ـ المنـافع التي يجمعون لأجلها ، ولها يقيمون الأسواق ، ويكفون سائر الـطبقات من الـترفق أي التكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات .

(٢) الطبقة السفلى : هم أهل الفقـر والحاجة الذين تجب معونتهم والإحسان إليهم .
أقـول : قسم أمير المؤمنـين (عليه السـلام) الناس إلى طبقـات وذكرهم طبقـة طبقـة ولكـل طبقة من النـاس أعمالهـا الخاصـة بها ولا يصلح بعضهـا إلّا ببعض ولا يستغني بعضها عن بعض . . . إنه دستـور الحيـاة . . ونظام العـالم . . . ولا بد لكـل أمة من حـاكم وقاض للفصـل بين النـاس . . . وجنود وعـمال لينتظم الأمر ويعيش الجميـع بتعاون وألفة ووفاق .



تنظيم الجند وشروط اختيار القادة

لم يدع علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ناحية من النواحي الإجتماعية أو العسكرية إلاّ ويوضحها للأشتر . . . بعد أن بين له كيفية التعامل مع عية . . . وحسن اختيار البطانة . . . وتقسيم الرعية إلى طبقات ، نجده (عليه السلام) يخلص إلى توضيح الناحية العسكرية : فيشرح له كيفية التعامل مع جنده وحسن اختيار القادة له بقوله :

« فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ، ولإمامك ، وأنقاهم جيباً[1] ، وأفضلهم حلماً ، ممن يبطىء عن الغضب ، ويستريح

---

(١) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : وأطهرهم جيباً . ثم يشرح ذلك فيقول : أمره أن يولي أمر الجيش من جنوده من كان أنصحهم لله في ظنه ، وأطهرهم جيباً . . . أي عفيفاً أميناً . ويكنى عن العفة والأمانة ، بطهارة الجيب ، لأن الذي يسرق يجعل المسروق في جيبه ، فإن قلت : وأي تعلق لهذا بولاة الجيش ؟! إنما ينبغي أن تكون هذه الوصية في ولاة الخراج ـ الجباة ـ قلت : لا بد منها في أمراء الجيش لأجل الغنائم . انتهى .
أقول : ليت صاحب شرح النهج يكون في عصرنا الحاضر الذي عمته الفوضى ، وأصبح فيه نقي الكف ، وطاهر الجيب رجلاً غير مرغوب في سيرته الجامدة الغير متحركة حسب ما يُزعم ، فينعتونه بالرجعية تارة . . وبالتزمت تارة أخرى . لا لشيء معيب فيه إلاّ لأنّه لا يمتلك الديناميكية العصرية التي من شأنها أن تملىء جيبه ، والتي قوامها المداهنة . . والمراوغة . . والنصب والإحتيال والرشوة على جميع الأصعدة . . .

إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء[1] ، وممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف .

ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب[2] ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة . ثم أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحة ، فإنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف .

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن في نفسك شيئاً قويتهم به . ولا تحقرن لطفاً تعهدتهم به . وإن قلّ . . فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك .

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو ، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك .

وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلّا بحيطتهم على ولاة أمورهم ، وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم[3] .

---

(١) وينبوا على الأقوياء : يتجافى عنهم ويبعد ، أي لا يمكنهم من الظلم والتعدي على الضعفاء .

(٢) ثم أمره أن يلصق بذوي الأحساب . . أي يكرمهم ويجعل معوله في ذلك عليهم ولا يتعداهم إلى غيرهم ، وكان يقال : عليكم بذوي الأحساب فإن هم لم يتكرموا استحيوا .

(٣) لا يصح نصيحة الجند لقائدهم إلّا بحيطتهم على ولاتهم ـ بتعطفهم عليهم وتحننهم ورعايتهم . . . وقوله : « وقلة استثقال دولهم ـ وترك استبطاء انقطاع مدتهم » . معناه والله العالم . لا تصح نصيحة الجند لك إلّا إذا أحبوا أمراءهم ثم لم يستثقلوا دولهم . . . ولم يتمنوا زوالها .

فافسح في آمالهم ، وواصل في حسن الثناء عليهم ، وتعديد ما أبلى ذووا البلاء منهم . فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله .

ثم اعرف لكل امرئٍ منهم ما أبلى ، ولا تضيفن بلاء امرئٍ إلى غيره[1] ولا تقصّرن به دون غاية بلائه .

ولا يدعونك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعة امرىء إلى أن تستصغرن من بلائه ما كان عظيماً .

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأمور[2] فقد قال الله سبحانه وتعالى لقوم أحب إرشادهم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾[3] .

فالرد إلى الله ، الأخذ بمحكم كتابه[4] .

والرد إلى الرسول . . . الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة . . . » .

---

(١) معناه والله العالم : لا تضيفن بلاء ـ عمل ـ امرىء إلى غيره ، بل اذكر كل من أبلى وعمل منهم عملاً جيداً كل واحد بمفرده . حتى لا يكون مغموراً في جنب ذكر غيره ، وهذا هو العدل والإنصاف بين الناس فلا يظلم أحد حتى بالشعور والمعنويات .

(٢) ما يشكل عليك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور لعدم إحاطتك بها .

(٣) سورة النساء : الآية ٥١ .

(٤) محكم الكتاب : نصه الصريح .



الدقة في اختيار القضاة

نجد أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) بعد أن أوضح لمالك الأشتر ما يحتاجه الوالي في تنظيم الجند انتقل إلى الدقة في اختيار القضاة الذين يوليهم أمور الحكم بين الناس فيقول :

« ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم[1] ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر[2] من الفيء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه . . .

وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم[3] واصبرهم على تكشف الأمور ، واصرمهم عند اتضاح الحكم[4] ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل .

---

(١) تمحكه الخصوم : تجعله ما حكا أي لجوجاً . أمحكه : جعله محكان ـ عسر الخلق سريع الغضب لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه .

(٢) لا يحصر : لا يعيا في المنطق لأن من الناس من إذا زلّ حصر عن أن يرجع ، وأصابه كالفهامة والعي خجلاً . . ولا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق إذا عرفه .

(٣) التبرم : الملل والضجر ، وهذه الخصلة من محاسن ما شرطه (عليه السلام) على القاضي فإن القلق والضجر والتبرم قبيح ، وأقبح ما يكون من القاضي .

(٤) أصرمهم : أقطعهم وأمضاهم عند اتضاح الحكم لديه .

ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له في البذل ما يزيح علته[1] وتقلّ معه حاجته إلى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[2] ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك .

فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتُطلب به الدنيا »[3] .

---

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد : ثم أمره أن يتطلع على أحكامه وأقضيته ـ دورات تفتيشة في اصطلاح العصر الحاضر ـ وأن يفرض له عطاءً واسعاً يملأ عينيه ، ويتعفف به عن المرافق والرشوات . اهـ ـ وحتى يكون ما يأخذه القاضي كافياً لمعيشة مثله ، لحفظ منزلته الإجتماعية فلا تأخذه الأطماع .

(٢) المراد من هذه العبارة والله العالم : أنه إذا رفعت منزلة القاضي عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرأ أحد على الوشاية به عندك . خوفاً منك وإجلالاً لمن أجللته . فيأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ـ سعاية ووشاية .

(٣) في شرح النهج لابن أبي الحديد : « إن هذا الدين قد كان أسيراً » هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكامه ، وأنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده ، بل بالهوى لطلب الدنيا .

مراقبة العمال

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لمالك الأشتر . . عليك أن تمتحن عمالك اختباراً قبل توليتهم بالإمتحان للنظر في كفاآتهم . . . ودينهم . . وكرم أخلاقهم ، لا بالأثرة والمحاباة .

ويخلص (عليه السلام) إلى القول : أن صاحب الكفاءة ، والدين ، والعفة من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام أكرم أخلاقاً ، وأقل طمعاً وأبلغ في العواقب نظراً . فالعمال إذا كانوا صالحين هم أداة الإستقرار والطمأنينة وإذا صلح الراعي صلحت الرعية . قال (عليه السلام) :

« ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباةً وأثرة ، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة[1] .

وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً ، وأصح أعراضاً ،

---

(١) ولا تولهم محاباة وأثرة : فإنهما جماع من شُعب الجور والخيانة » . المعنى أنهما ضروباً من الجور والخيانة . أما الجور : فإنه يكون قد عدل عن المستحق إلى غيره ففي ذلك جور على المستحق . وأما الخيانة : فلأن الأمانة تقتضي تقليد الأعمال الأكفاء فمن حابى أو آثر فقد خان من ولاه .

وأقل بالمطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً .

ثم اسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم[1] وحجة عليهم إن خالفوا أمرك ، أو ثلموا أمانتك .

ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم[2] فإن تعهدك في السر لإمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة ، والرفق بالرعية .

وتحفَّظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة » .

---

(١) أسبغ عليهم الرزق ليكون قوة لهم وغنى عن تناول ما تحت أيديدهم لأنهم عمال السواد والوقوف والصدقات وجميع مصالح الدولة وأموالها تحت أيديهم فإذا وُسع عليهم تعففوا ولم يمدوا بدهم إلى شيء مما تحت أيديهم .

(٢) « وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم » : وهذا مستحسن جداً في الأمور الإدارية في سياسة الوالي من إرسال المراقبين من أهل الوفاء والأمانة وبث العيون والأرصاد . . حتى لا يحدث تواطؤ وتدب الفوضى وتختلس أموال الدولة .

عمارة الأرض . . . وخراجها

بعدما انتهى علي (عليه السلام) من حث الأشتر على مراقبة العمال ، شرع في وضع آداب وسياسة من تفقد أمر الخراج . . وجباية الضرائب . . واستصلاح الأرض . . وعمارة البلاد . قال (عليه السلام) :

« وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلّا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله .

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة . . أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلّا قليلاً .

فإن شكوا ثقلاً[1] أو علة ، أو انقطاع شرب ، أو إحالة[2] أو

(١) « فإن شكوا ثقلاً » الثقل : الخراج المضروب عليهم ، وثقل وطأة العامل .

(٢) « أو علة » وهي نزول علة سماوية أضرت بزرعهم وثمراته ، أو أن يصيب الغلة آفة كالجراد ، أو البرق ، أو البرد ـ الثلج .

« أو انقطاع شرب » بأن ينقص الماء في النهر في البلاد التي تُسقى بمياه الأنهار . « أو انقطاع بالة » ما يبل الأرض من ندى أو مطر في البلاد التي تُسقى بالمطر كما هو شأن =

إحالة أرض اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم .

ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم[1] معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم[2] والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم .

فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه ، طيبة أنفسهم به ، فإن العمران محتمل ما حملته .

وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

= بلاد جبل عامل في لبنان وغيره ممن يعتمدون في زراعتهم ومحاصيلهم على مياه الأمطار .

(١) التبجح : السرور بما يرى الوالي من حسن عمله ، وحسن العمل يفضي إلى تزيين البلاد بعمارتها ، وفي ذلك تبجح بين الولاة بإفاضة العدل في الرعية .

(٢) الإجمام : الترفيه .

أفضل الكتّاب من عرف بالأمانة

لما فرغ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من شرح أمر الخراج وعمارة البلاد ، وما يجب على الوالي فعله مع رعيته ، انتقل (عليه السلام) إلى موضوع آخر وهو اختيار الكتّاب ، وما يلزمهم من الأمانة وحسن الآداب ، لأنهم هم الذين يقومون بأمور الوالي ، ويترسلون عنه إلى عماله وموظفيه . . . وإلى الكتّاب يعود معاقد التدبير . . وأمر الديوان . . .

لذلك نجده (عليه السلام) أمر الأشتر أن يتخير الصالح منهم المعروف بالأمانة والإخلاص . فالكاتب الذي يشير أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي يسمى الآن في الإصطلاح العرفي ـ المدير ـ لِأنه يقوم بتدبير أمور الوالي وينوب عنه . . . وهو صلة الوصل بين الوالي وبقية عماله . وعلى هذا يجب أن يكون أميناً . . . عفيفاً . . صادقاً . . . صاحب أمانة وإخلاص .

يقول (عليه السلام) :

«ثم انظر في حال كتابك، فولّ أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تُدخل فيها مكايدك وأسرارك، بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق، ممن لا تبطره الكرامة[1]، فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ .

---

(١) لا تبطره الكرامة : لا يأخذه البطر وهو الدهشة عند هجوم النعمة : ويقال : طغى =

ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك[1] ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، وفيما يأخذ لك ويعطي منك .

ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك[2] ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك[3] وحسن الظن منك . فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة ، بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء[4] ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً ، وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ؛ ولمن وليت أمره .

= بالنعمة : صرفها إلى غير وجهها ، واستخفها جهلاً وكبراً فلم يشكرها . وعلى هذا أمره (عليه السلام) أن يختار الكاتب ممن لا تبطره الكرامة ولا تطغيه النعمة والتقريب عندما يصبح في منصب مقرب من الوالي فيجرأ عليه ، فيضر بمنزلته .

(١) لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من أعمالك ، ولا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب ، بل يجب أن يكون من النباهة والحذق بحيث لا يفوته شيء من ذلك .

(٢) يجب أن يكون الكاتب له خبرة بطرق المعاملات والعقود بحيث إذا عقد لك عقداً من أي نوع كان يكون محكماً ، وإذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد .

(٣) الفراسة : بالكسر . . قوة الظن وحسن النظر في الأمور ، والإستنامة : السكون والثقة . فلا يكون انتخاب الكتاب تابعاً لميلك الخاص .

(٤) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ثم نهاه أن يكون مستند اختياره لهؤلاء فراسته فيهم ، وغلبة ظنه بأحوالهم ، فإن التدليس ينم في ذلك كثيراً ، وما زال الكتاب يتصنعون للأمراء بحسن الظاهر ، وليس وراء ذلك كثير طائل في النصيحة والمعرفة ، ولكن ينبغي أن يرجع في ذلك إلى ما حكمت به التجربة لهم ، وما ولوه من قبل فإن كانت ولايتهم وكتابتهم حسنة مشكورة فهم . . . هم ، وإلاّ فلا . وكان يقال : إذا لم يشرف الملك على أموره ، صار أغشى الناس إليه وزيره .

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم[1] لا يقهره كبيرهـا ، ولا يتشتت عليه كثيرهـا ، ومهما كـان في كتابـك من عيب فتغابيت عنـه ألزمته[2] .

(١) اجعل لرآسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدراً على ضبطهـا . وأن يقسم فنون الكتابة وضروبها فيجعل لكل مادة شخصاً خاصاً بها .

(٢) « ومهـا كان في كتـابك من عيب فتغـابيت عنه ألـزمته » معنـاه كـل عيب في كتـابـك تغافلت عنه وتغابيت كان ذلك العيب لاصقاً بك فإنك مأخوذ عليه أمام الله تعالى فإن الدين لا يبيح الإغضاء والغفلة عن الأعوان والخول بل يوجب التطلع عليهم والإنتباه لهم ومحاسبتهم .



التجار .. وذوي الصناعات

بعدما انتهى علي (عليه السلام) في عهده للأشتر من أمر اختيار الكتاب والموظفين وأصحاب الدواوين تتطرق إلى موضوع هام وهو موضوع التجار وأصحاب الصناعات ، فأوصاه بهم خيراً ، إذ بواسطتهم انتعاش الحركات الإقتصادية ، وتيسير أمور الرعية وذلك بما يقومون به من أعمال صناعية وزراعية وبيع وشراء . فالتجار وذوي الصناعات هم العامود الفقري لجسم الأمة وهم الدعامة التي تساهم في رخاء الشعب وسلامته واستقراره .

لذلك أمره (عليه السلام) أن يستوصي بهم خيراً ويوصي عماله وموظفيه بالإهتمام بهم وعدم التضييق عليهم فقال :

« ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيراً ، المقيم منهم . . والمضطرب بماله[1] والمترفق ببدنه[2] فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق ، وجلابها من المباعد والمطارح ، في برك وبحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها[3] ، ولا يجترئون

---

(١) المضطرب بماله : المسافر من بلد إلى بلد ليتجر بأمواله .

(٢) المترفق ببدنه : الذي يعمل بيديه من أهل الصناعات .

(٣) حيث لا يمكن لجميع الناس لألتآم بها أو الوصول إليها لبعدها .

عليها ، فإنهم سلم لا تخاف بائقته[1] وصلح لا تخشى غائلته .

وتفقد أمورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك . واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً[2] ، وشحاً قبيحاً . واحتكاراً للمنافع[3] وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة .

فامنع من الإحتكار ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منع منه .

وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل ، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع .

فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به ، وعاقب من غير إسراف .

---

(١) البائقة : الداهية . والتجار والصناع مسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان .

(٢) الضيق : عسر المعاملة .

(٣) الإحتكار : حبس الطعام وغيره من المواد الضرورية وبيعها بأثمان باهظة .

أقول : جعل (عليه السلام) الموصى بهم ثلاثة أقسام ، للتجار منها اثنان ، وواحد لأرباب الصناعات ـ أولاً : التاجر المقيم المستقر في بلاده ـ ثانياً : التاجر المضطرب المسافر في بلاد الله الواسعة للإتجار بماله . ـ ثالثاً : المترفق ببدنه الذي يشتغل بيديه من أرباب الصناعات .

ثم لم ينس (عليه السلام) أن يلفت نظر الأشتر إلى أنه قد يوجد بين هؤلاء التجار والصناعيين من عنده شح وبخل فيحملهم شحهم وبخلهم على الإحتكار طمعاً بزيادة الأرباح فيعمدوا إلى احتكار الأقوات في ابتياع الغلات والمواد الضرورية إلى تخزينها وادخارها إلى أيام فقدانها أو شحها . . فيضطر الناس حينئذٍ إلى شراء ما يحتاجون إليه بالسعر الذي يتحكم به البائع فيحصل الحيف في البياعات . . وهذا هو الإحتكار المنهي عنه .

الإهتمام بشؤون الضعفاء

يواصل (عليه السلام) في عهده للأشتر بيانه عن طبقات الأمة ، وينتهي إلى الطبقة السفلى الفقيرة من عامة الشعب ، الـذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين والمرضى وأصحاب العـاهات . . أو الأمـراض المـزمنة التي تمنعهم من العمـل والتكسب ، فيوصي بهم ، ويـأمر بحسن معاملتهم ورعايتهم بقوله :

« ثم الله الله في الـطبقـة السفـلى من الـذين لا حيلة لهم ، من المساكين ، والمحتـاجين ، وأهـل البؤس والزمنى[1] فـإن في هذه الـطبقة قانعاً ومعتراً[2] .

واحفظ لله[3] ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مـالك ، وقسـماً من غلات صـوافي[4] الإسـلام في كـل بلد ، فـإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه .

---

(١) الزمنى : العاهة .

(٢) القانع : السائل ـ والمعتّر : الذي يعرض لك ولا يسألك وقد جاء ذكرها في القـرآن ، وهو قوله تعالى في سورة الحجر آية : ٣٦ ﴿ **فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر** ﴾ .

(٣) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : واحفظ الله ما استحفظك من حقه .

(٤) صوافي الإسلام : جمع صافية وهي أرض الغنيمة . وغلاتها : ثمراتها .

ولا يشغلنك عنهم بطر فإنك لا تُعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم[1] ، فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم[2] .

وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ، ممن تقتحمه العيون[3] وتحقره الرجال ففرِّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم[4] .

ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه .

وتعهد أهل اليتم ، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبَّروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً[5] تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطتك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع[6] ، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول

---

(١) التافه : القليل ، لا تعذر بتضييعه إذا أحكمت ولا تصرف اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم ـ ولو بإعطائهم القليل .

(٢) ولا تصعر خدك لهم : لا تتكبر عليهم . صعر خده : أماله إعجاباً وكبراً .

(٣) تقحّمه العين : تكره أن تنظر إليه احتقاراً ، تزدريه .

(٤) معنى قوله (عليه السلام) : والله العالم فرغ لهؤلاء المساكين أناساً ممن تثق بهم ممن يخشون الله ويخافونه ويتواضعون لعظمته ولا يأنفون من تعرف حالهم ورفع مظالمهم إليك .

(٥) لعل مراده (عليه السلام) : لا تتعالى عليهم بل اجعل لذوي الحاجات ـ المتظلمين وقتا تتفرغ لهم فيه لشخصك للنظر في مظالمهم وشكواهم .

(٦) التتعتع في الكلام : هو التردد فيه من عجز أو عي أو خوف ، والمراد هنا أن يكون=

في غير موطن : « لن تقدس أمة[1] لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع » .

ثم احمل الخرق منهم والعي[2] ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته ، واعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع في إجمال وإعذار[3] .

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها . منها إجابة عمالك بما يعي عنه كتابك . ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودهم عليك مما تحرج به صدور أعوانك[4] .

وامض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، واجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية » .

= متكلم القوم غير خائف من شرطك وحرسك . فتأخذه الرهبة فلا يقدر بعد على التكلم . ويتتعتع فلا يتمكن من الإفصاح عما يريد من رفع شكايته إليك .

(١) التقديس : التطهير .

(٢) الخرق بالضم : العنف . . . الجهل وروي : ثم احتمل الخرق منهم والعي . أي لا تضجر من هذا ولا تغضب لذاك .

(٣) إذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر .

(٤) الأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويحبون المماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة أو إظهاراً للجبروت وعلى هذا يتعين على الحاكم العادل أن يباشرها بنفسه .



التقرب إلى الله تعالى

بعدما انتهى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) من وصيته للأشتر بالفقراء والمساكين وكيف يجب عليه أن يعامل بقية الرعية من المحتاجين ، انتقل إلى موضوع آخر هو الأساس أو القاعدة التي يستقيم عليها أمر الحاكم . . .

التقرب من الله تعالى . . بإداء الفرائض بتمامها وشعائرها . بنية صادقة لا يشوبها رياء ، كالإطالة في الصلاة قصداً ، والتظاهر بالخضوع والخشوع . . . بل أمره أن يصليها كما هي مفروضة عليه .

فإذا صلى بالناس جماعة فالأفضل ألا يطيل فينفرهم عنها ، لأن صلاة الجماعة إنما شُرّعت والله العالم لأجل العبادة . . ولاجتماع المؤمنين وتعارفهم فيما بينهم . ولتتوثق باجتماعهم للصلاة عرى الألفة والمحبة .

ولكن إذا أطال الحاكم[1] في صلاته ، فلربما كان من بين الحضور من يخشى من عدم تمكنه من أدائها مطولة لعلة صحية أو غير صحية .

---

(١) كان من صلاحية الحكام أن يؤموا الناس في صلاة الجماعة كل حاكم في مقاطعته وعلى هذا نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يهمل هذه الناحية المهمة بل أوصى الأشتر عندما ولاه مصر إلى أن ينتبه إلى كيفية إقامة الصلاة جماعة بشكل صحيح بأن لا يكون منفراً ولا مضيعاً .

فكل ما يؤدي إلى نفرة المسلمين ولو بعضهم من الإجتماع والتآلف ينبغي الإجتناب عنه .

ثم يتابع وصيته في عهده فيقول :

ولا تنقصها ـ الصلاة ـ باختصار بعض أركانها فتضيعها .

قال (عليه السلام) لمالك الأشتر :

« وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك ، إقامة فرائضه التي هي له خاصة ، فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ، ووفِّ ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ .

وإذا أقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ، ولا مضيعاً ، فإن في الناس من به العلة ، وله الحاجة .

وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين وجهني إلى اليمين : كيف أصلي بهم ؟ .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « صلّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً » .

مساوىء احتجاب الوالي عن رعيته

نهى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الأشتر عن الأحتجاب عن رعيته لأن احتجابه عنها ربما يؤول إلى الضرر عليه فلا يعرف ماذا يجري بين الناس ، فلربما تحاك المؤامرات ضده وهو لا يعلم بها ، وربما يحدث الظلم والحيف وغير ذلك وهو بعيد عنها .

وعلى هذا فلا بد للحاكم أيضاً أن يكون على صلة دائمة برعيته وبقضاياها . . . وعلى معرفة تامة بجميع المشاكل الحياتية التي تعترض الناس ، فيبادر إلى الحلول الممكنة الناجحة بسياسته الحكيمة .

وأما إذا كان الحاكم محتجباً لا يصل إليه من الأخبار إلاّ ما تريد إيصاله بطانته وخاصته . . . فقد عاش بعيداً عن رعيته . .

وإذا كانت تلك البطانة المحيطة به غير أمينة على مصالح الشعب ولا يهمها من أمور الأمة إلاّ ما يعود عليها بالنفع . فإنها تشوش عليه الأمور ، وتجعل غشاوة على مظالم المتظلمين وشكاوى المحرومين وفي مثل هذا الحال يكون الحاكم قد عاش بعيداً عن شعبه ومشاكله وهمومه ، وليست هذه من صفات الحاكم العادل .

وهذا المنحى في التفكير والسيرة التي يجب أن يكون عليها الحاكم هي من سياسة علي (عليه السلام) وهي أيضاً وصية كان يوصي بها كل

من استعمله من قبله من الـولاة قبل أن يـرسله إلى القـطر الـذي جعله حاكماً عليه .

يقول (عليه السلام) :

« وأمـا بعد هـذا . . . فلا تـطولن احتجابـك عن رعيتك ، فـإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور .

والإحتجـاب منهم يقطع عنهم علم مـا احتجبـوا دونـه ، فيصغـر عنـدهم الكبير ، ويعـظم الصغـير ، ويقبـح الحسن ، ويحسن القبيـح ، ويشاب الحق بالباطل[1] .

وإنما الوالي بشر لا يعـرف ما تـوارى عنه النـاس به من الأمـور ، ولـيسـت عـلى الحـق سـمات تـعـرف بهـا ضروب الـصـدق مـن الكذب . . .[2] .

وإنمـا أنت أحـد رجلين . . إمـا امـرؤ سخت نفسـك بـالبـذل في الحق . . ففيـما احتجابـك من واجب حق تعـطيـه . . . أو فعـل كـريم تسـديه . . . أو مبتـلىً بالمنـع فما أسرع كف النـاس عن مسـألتـك ، إذا آيسوا من بذلك . مع أنّ أكثر حاجـات الناس إليـك ، ما لا مؤونـة فيه عليك ، من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف في معاملة » .

---

(١) يختلط الحق بالباطل .

(٢) سمات : جمع سمة العلامة ومعناه والله العالم أنه ليس للحق علامات ظاهرة يتميـز بها الصدق من الكذب ، وإنما يعرف ذلك بالإمتحان أو الإحتكاك بالرعية .

الحذر .. الحذر من تلاعب الخاصة والبطانة

يسترسل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نصيحته لمالك الأشتر إذ يوضح له ناحية خاصة ، وهي كيفية التعامل مع خاصته وبطانته وما يلزم أن يعمله معهم . فينهاه عن أن يحمل أقاربه وحاشيته على رقاب الناس بأن يتسامح ويتغاضى عما يفعلون فيطمعون بلينه وتسامحه ، عند ذلك يحصل عندهم الجشع وحب الذات فيستأثرون بمقدرات الشعب والتطاول عليه والإذلال له .. ولعل في هذا إشارة إلى ما فعلته بطانة الخليفة عثمان مما أدى إلى الثورة عليه ..

ونهى (عليه السلام) مالك الأشتر أيضاً عن تفضيل أحد خاصته على أحد فيقطعه الأراضي أو يملكه الضياع التي ربما تضر بمن جاورها .. بحيث يتغلب الأقطاعي على الماء مثلاً .. ولا يتمكن المظلوم من الإنتصاف منه لقربه من الحاكم لمنزلته عنده ، فيكون بذلك قد حصل الظلم والحيف باسم الحاكم .

ويتابع قوله (عليه السلام) : فالمهنأة لهم في الدنيا دونك .. والوزر في الآخرة عليك .. والعيب والذم في الدنيا لاحقان بك ...

وليكن القريب والبعيد عندك سواء .. فلا تقربن أحداً إلاّ بالحق .. ولا تبعدن أحداً إلاّ بالحق .. وإن لم يرضي هذا العمل أقربائك وخاصتك ...

وكن مع الحق حيثما كان . . وابتغ بذلك وجه الله . .

يقول (عليه السلام) : « ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة[1] أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال[2] .

ولا تقطعن لأحد من حاشيتك ، وحامّتك[3] قطيعة ، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس ، في شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسبا ، واقعاً ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه . . فإن مغبة ذلك محمودة » .

---

(١) في شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده : فاحسم مادة أولئك .
(٢) معناه : اقطع مادة شرورهم عن إيذاء الناس بقطع الوسائل المؤدية إلى تعديهم وذلك بكف أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون الرعية كما يشاؤون .
(٣) الحامّة : الخاصة والقرابة .

إبداء العذر للرعية مع صلح حذر مع الأعداء

يمضي علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في توجيه الأشتر إلى جميع النواحي المنهجية التي يلزم على الحاكم العادل أن ينتهجها . فلم يترك (عليه السلام) صغيرة ولا كبيرة إلاّ ونبهه عليها في عهده إليه ، قال له : « وإن ظنت الرعية بك حيفاً . . . » وهو أن اتهمتك الرعية بالإجحاف عليها . . أو ظنت بك جوراً ، فالأفضل أن تدلي بعذرك لهم علانية ، وتكشف لهم أيضاً عن وجهة نظرك ، وتبين لهم الصواب من رأيك حتى لا تلام على شيء من تصرفاتك . « فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً برعيتك ، وإعذاراً تبلغ به خاصتك من تقويمهم على الحق » .

ثم نجده (عليه السلام)ينتقل بتوجيهاته إلى موضوع له أهميته إذ يلفت نظر الأشتر إلى منهج سياسي شرعي في الإسلام الذي هو . . . الصلح .

فالإسلام هو دين المحبة والسلام . . يؤثر التعايش السلمي بين الجميع على الحرب والقتال . . . إذا لم يكن بذلك غدر أو خيانة من الأعداء .

لذلك قال له (عليه السلام) : « لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك . . الخ » .

وهنـا إشارة إلى قـولـه تعـالى : ﴿ **و إن جنحـوا للسلم فـاجنـح لها** . . ﴾[1] .

أمـره (عليه السـلام) أن يقبل الصلح إذا دُعي إليـه لمـا فيـه من الراحة للعباد ، والإستقرار والأمن في البلاد . .

لكن حـذره (عليه السـلام) من غائلة عـدوه وكيده إذ ربمـا اتخذ العدو من الدعوة إلى الصلح مكيدة للغدر والفتك ، وغشاوة على عيـون المغفلين . كـما جرى فيـما بعد عنـدما دعـا معاويـة بن أبي سفيان الإمـام الحسن (عليه السلام) إلى الصلح فانطلت مكيدة معاوية على المغفلين . واضطروا الحسن إلى القبول بالصلح . . مع علمـه بأنها مكيـدة . وبعد ذلـك غدر معـاوية وخـان العهد ، وكـان ما كـان مما لسنـا بصدده الآن وسنـذكـر ذلـك مفصـلاً إن شـاء الله عنـد ذكـر خـلافـة الحسن (عليه السلام) .

يقول علي (عليه السلام) للأشتر : « وإن ظنت الرعية بـك حيفاً فاصحر لهم بعـذرك ، واعدل عنـك ظنونهم بـإصحارك ، فـإن في ذلك ريـاضة منـك لنفسك ، ورفقـاً برعيتـك أعـذاراً تبلغ بـه حـاجتـك من تقويمهم على الحق .

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عـدوك ولله فيه رضـا، فإن في الصلح دعـة لجنودك ، وراحـة من همومـك ، وأمناً لبـلادك ، ولكن الحذر كـل الحـذر من عدوك بعـد صلحه ، فـإن العـدو ربمـا قـارب ليتغفـل فخـذ بالحزم . واتهم في ذلك حسن الظن » .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦١ .

الـوفاء بالعهـد

لم يغب عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أن يوصي الأشتر بالإلتزام بـالوفـاء وحفظ العهد لأنهما من المـزايا الحميـدة التي يتحلى بهما الإنسان فهما دعامة من دعائم الخلق الإسلامي الرفيع . وهمـا ملكة تلزم المتخلق بها من آداء ما عليه من حق .

ولما كان الوفاء وحفظ العهـد هما رمـز الإنسانيـة الصادقـة ومكارم الأخـلاق نـرى الـدين الإسـلامي قـد مـدح من تخلق بهـما وسـار عـلى منهاجهما . . .

وقـد ذكر الله سبحـانه وتعـالى في كتابـه الكريم الـوفاء . . وحفظ العهد . . بقوله : ﴿ **واوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا** ﴾[1] .

وقـال تعـالى : ﴿ **الـذين يـوفـون بعهـد الله ولا ينقـضـون الميثاق** . . ﴾[2] .

إلى غـير ذلك من الآيـات الكريمـة التي تحث على تعـظيم الـوفـاء بـالعهود وقـد قال رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) : « عليكم

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الرعد : الآية ١٩ .

بصدق الحديث .... ووفاء العهد ... وحفظ الأمانة ، فإنها وصية الأنبياء » .

لذلك نجد علياً (عليه السلام) قد حث الأشتر وأمره بالتقيد بعهوده وعقوده حيث يقول :

« وإن عقدت بينك وبين عدوٍ لك عقدة ، أو ألبسته منك ذمّة فحُط عهدك بالوفاء ، وارع ذمّتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه إجتماعاً مع تفرق أهوائهم ، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود .

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استوبلوا من عواقب الغدر[١] .

فلا تغدرن بذمتك ، ولا تخيسن بعهدك[٢] ولا تختلن عدوك[٣] فإنه لا يجترىء على الله إلاّ جاهل شقي .

وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون إلى منعته ،ويستفيضون إلى جواره . فلا ادغال ، ولا مدالسة ولا خداع فيه ...

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل[٤] ، ولا تعوّلن على لحن قول[٥] بعد التأكيد والتوثقة .

ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير

---

(١) لقد التزم المشركون بالوفاء بالعهود فيما بينهم لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة ومهلكة فالأولى أن يلتزم المسلمون بذلك .

(٢) خاس بعهده : خان ونقض .

(٣) الختل : الخداع .

(٤) تجوز فيه العلل : والعلل العقد في الكلام وإبهامه وعدم صراحته وما يحوله إلى غير المراد .

(٥) لحن القول : ما يقبل التوجيه ... كالتورية والتعريض .

الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه ، وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته . وأن تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقيل فيها دنيـاك ولا آخرتك » .



النهي عن سفك الدم الحرام

انتقل (عليه السلام) في عهده للأشتر إلى نهيه عن سفك الدماء بغير حلها ، لأنها مدعاة لنقمة الباري عز وجل وغضبه ، وجريمة موجبة لزوال نعمه سبحانه عن مرتكبيها . . .

وصية علي (عليه السلام) لمالك الأشتر مبنية على أسس الشريعة الإسلامية العادلة التي تنهى عن القتل والعدوان والظلم والجور وكل ما لا يقبله الشرع ولا يستسيغه الوجدان .

ثم ينتقل (عليه السلام) إلى النهي عن قتل العمد ، وأنه لا عذر له عند الله ولا عنده ثم بين له الحكم الشرعي ، من أن قتل العمد يوجب القود وهو القصاص . .

قال (عليه السلام) : «إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها . والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة .

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله .

ولا عذر لك عند الله ، ولا عندي في قتل العمد ، لأن فيه قود

البدن . وإن ابتليت بخطأ ، وافرط عليك سوطك ، أو يدك بالعقوبة ، فإن في الوكزة[1] فما فوقها مقتلة .

فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم » .

---

(١) الوكزة : الضربة بجمع الكف ، وهي المعروفة باللكمة .

وصايا خاصة . . . وتوجيهات عامة

ختم علي أمير المؤمنين (عليه السلام) عهده لمالك الأشتر رضي الله عنه بوصايا يحتاجها الوالي ، وتوجيهات عامة لكل حاكم عادل للسير على طبقها لأنها تبعده عن الغوائل ، وترشده إلى الفضائل .

فقد ذكر له آداباً جمة يحتاج إليها في إطار حكمه ، ناهياً إياه عن الأخلاق السيئة ، والأفعال المشينة .

والآن نذكر بقية وصاياه (عليه السلام) لمالك الأشتر متسلسلة معتمدين بذلك على كونها واضحة المعاني يفهمها كل ذي عقل سليم .

أولاً : العجب بالنفس والإطراء

من هذه الوصايا العجب بالنفس الذي نهاه عنه ، لأنه يدعو إلى الغرور . إذ يحمل الحاكم المغرور غروره على التبجح بما فعله امام زواره وفي المجالس والمحافل أزيد من الواقع ، فالتبجح يذهب بالمعنويات الحسنة ويوجب المذمة . . لأنه محض الكذب . . . كما إذا أسدى ثلاثة أجزاء من فعل فعله ، فيدعي في المجالس والمحافل وأمام زواره أنه أسدى عشرة . فزاد عليه كذباً ـ وإذا خالط الحق الكذب أذهب نوره .

ونهاه أيضاً عن حب إطراء الناس له ، وإفساح المجال إلى مديحهم إياه بحضرته ، لأن المدح والإطراء في الوجه ذم . كقولهم له :

ليس أحد أفضل منك ولم يحكم هذا القطر أحد أحسن منك ولا أعدل .

يقول (عليه السلام) للأشتر : « وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين » .

ثانياً : المن والخلف بالوعد

ثم ينتقل (عليه السلام) بتوجيهاته له ، فينهاه عن المن على الناس بما أسداه إليهم من إحسان أو قضاء حاجة أو أي شيء آخر فإن الله سبحانه وتعالى نهى عن المن بقوله : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾(1) .

ونهاه أيضاً : عن الخلف بالوعد ، فإن الخلف بالوعد يوجب المقت عند الله وعند الناس . وقد مدح الله سبحانه وتعالى إسماعيل بقوله : ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً** ﴾(2) .

يقول (عليه السلام) : « وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم ، فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾(3) .

ثالثاً : الإستئثار

ونهاه (عليه السلام) أيضاً عن الإستئثار الذي يوجب الأنانية وحب الذات ، وذلك بأن يستأثر الإنسان بالشيء دون غيره . والإستئثار من أفعال اللئآم لا من أفعال الكرام . ففي وقعة خيبر غنم رسول الله

---

(1) سورة المدثر : الآية ٦ .
(2) سورة مريم : الآية ٥٤ .
(3) سورة الصف : الآية ٣ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) غنائم خيبر وكانت مـلء الأرض نعماً ، فلما ركب راحلته وسار تبعه الناس يطلبون الغنائم وقسمها ، وهـو ساكت لا يكلمهم وقد أكثروا عليه إلحاحاً وسؤالاً ، فمر بشجرة فخطفت رداءه ، فـالتفت فقال : ردوا عـلي ردائي ، فلو ملكت بعدد رمـل تهـامـة مغنـماً لقسمته بينكم عن آخره ثم لا تجدونني بخيلاً ، ولا جباناً ، ونزل وقسم ذلك المال عن آخر عليهم كله ، لم يأخـذ لنفسه منـه وبرة . ولم يستـأثر بشيء وهذا هو الخلق النبوي الكريم الذي يدعو إلى العدل والمساواة بين الناس دون أثرة أو محاباة .

يقول (عليه السلام) : « إياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة » .

رابعاً : التغابي .

ونهاه (عليه السلام) أيضاً عن التغابي والتغافل ، وهو أن يتغابى عن أمـور منكرة يـرتكبها صـاحبها سـراً ، فتصل إلى الحـاكم ويعلم بها لكنه يتغابى عنه ، ويغض النطر أو يتسامح إكراماً لـه لأنه من أصحـاب الـوجـاهـات أو من خـاصتـه وهـذا التغـافـل أو التغـابي نهاه عنـه (عليه السلام) بقوله : فإنه مأخوذ منك لغيرك وستعاقب عليه .

يقول (عليه السلام) : « وإياك والتغابي عما يُعنى به مما قد وضح للعيـون ، فإنـه مأخـوذ منك لغـيرك ، وعما قليـل تنكشـف عنك أغـطية الأمور ويُنتصف منك للمظلوم » .

خامساً : العجلة في الأمور . . . . واللجاجة .

نهاه (عليه السلام) عن العجلة في الأمور لأن في العجلة الندامـة وبالتأني السلامة ، وبالعجلة تحدث الأخطار وربما توقع الإنسـان بأشيـاء تضره ، وكان الأولى به التأني . . .

قـد يدرك المتـأني بعض حـاجتـه وقـد يكون مـع المستعجل الـزلل

ونهاه أيضـاً : عن اللجاجـة في إتمام الأمـر الذي يـريده بـالسرعة الفائقة . فلو ترك اللجاجة والإلحاح الزائد بقضاء حاجته واتكل على الله

لإتمام ما يريد بالروية كان الأفضل له .

سادساً : الغضب

ونهاه (عليه السلام) أيضاً : عن الغضب وسرعته ، بأن يملك نفسه عند الغضب وأن لا يحكم على الشيء الذي استوجب غضبه حتى يسكن غضبه فلا يقضي وهو في سورة غضبه لأن الغضبان لا يتمكن من استيعاب الأمور على حقيقتها إذ ربما أصدر حكماً وهو مضطرب الفكر تكون نتائجه سيئة ويلحقه الندم .

يقول (عليه السلام) : « املك حمية أنفك[1] وسورة حدك[2] ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك[3] واحترس من كل ذلك بكف البادرة[4] وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك فتملك الإختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك » .

سابعاً : الفقرة الأخيرة من المنهج السياسي

ثم أمره (عليه السلام) بآخر هذا العهد العظيم الشامل لجميع الخطوط العامة التي ترتكز عليها السياسة العادلة الحكيمة . أمره بالحلم والأناة ، والخوف من الله سبحانه وتعالى ، والإقتداء بالسلف الصالح ليكون بذلك الحاكم العادل ، الذي يسلك طريق الصواب ، ومنهج الحق . . ولا سعيد إلّا من أسعده الله .

يقول (عليه السلام) : « والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا (صلى الله

---

(١) يقال : فلان حمي الأنف إذا كان أبياً يأنف الضيم . ومعناه أملك نفسك عند الغضب .

(٢) سورة حدك : السورة : الحدة ـ والحد بالفتح ـ البأس .

(٣) الغرب بفتح وسكون ـ الحد : تشبيهاً به لحد السيف . معناه : اللسان القاطع ا .

(٤) البادرة : ما يبدر من الإنسان من كلام سيء عند الغضب من سباب ونحوه كسطوة يد أو غير ذلك مما يزيد الغضب اتقاداً وتأخير السطوة يطفىء من لهب الغضب ويملك الإختيار .

عليه وآله وسلم) أو فريضة في كتاب الله ، فتقتدي بما شاهدته مما عملنا بـه فيها ، وتجتهـد لنفسك في اتبـاع ما عهـدت إليك في عهـدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .

خاتمة عهده(عليه السلام) لمالك الأشتر

ختم أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا العهد البليـغ الذي يفيض بالحكمة والتدبير والسياسة العادلة ، والوعظة الحسنـة بدعـاء وابتهال إلى الله سبحانه حيث يقول :

« وأنـا أسأل الله بسعـة رحمته ، وعـظيم قدرتـه عـلى إعـطاء كـل رغبة ، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه ، من الإقـامة عـلى العذر الـواضح إليه ، وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الأثـر في البلاد ، وتمـام النعمة ، وتضعيف الكـرامة[1] ، وأن يختم لي ولـك بـالسعـادة ، والشهادة ، وإنا إليه راغبون .

والسـلام على رسـول الله صلى الله عليـه وآله الـطيبين الـطاهرين وسلم تسليماً كثيراً . . . والسلام » .

أقول : هذا العهد هو ما كتبه عـلي أمير المؤمنـين (عليه السـلام) لمـالك الأشـتر النخعي رضي الله عنه لمـا ولاه على مصر وأعـمالها . وهـو أطول عهد وأجمع للمحاسن . .

وإذا تـأملنـا بـه جيـداً نجـده أعـظم دستـور للحكم ، ونـامـوس للتعامل ،ونبراس يهتدي به الراعي والرعية على السواء .

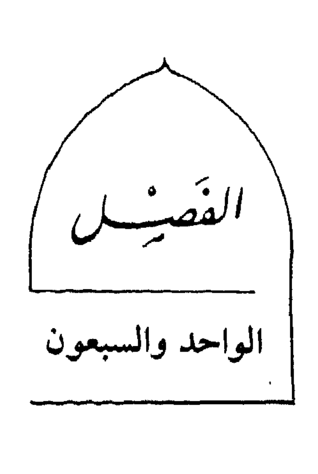
وإذا أمعنا النظر قليلاً نجد هذا العهد أيضاً حرياً أن يكون وثيقـة سيـاسية ، دستـورية تتحكم وتضبط مـوازين الأمور بـالعد والقسـطاس والمساواة بين الناس . . .

---

(١) تضعيف الكرامة : زيادتها وجعلها أضعافاً .

ويا حبذا لو أن هذا العهد طبقت تعاليمه في عصرنا الحاضر . . المضطرب المتمزق . . المتوتر . . الغني بالمتناقضات ، الفقير بالأوفياء المخلصين من ملوك ، وزعماء ورؤساء . .

ومهما يكن من أمر فإننا نتضرع إلى الباري عز وجل أن يمنحنا الأمن والإطمئنان ، والإستقرار بالأوطان ، ويهدي القادة لجمع كلمتهم ، وتوحيد صفوفهم ، وسلوك منهج الحق .


الفصل
الواحد والسبعون



بعض منجزات علي أمير المؤمنين

كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) حريصاً على الدولة الإسلامية شديد الإهتمام في إعلاء شأنها . . وإرساء قواعدها ، ولا يهمه أن يلي أمور المسلمين أي شخص كان بشرط عدم الخروج عن خط الإسلام الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومن استعرض تاريخ الدولة الإسلامية يجد أن علي بن أبي طالب له السبق في كل الميادين ، سياسية كانت أم إدارية . . قتالية أم إجتماعية .

فكان (عليه السلام) القاضي العادل ، والحاكم الصارم الذي لا تأخذ في الله لومة لائم ، والمنفذ للأمور التي يريدها على أحسن وجه عندما كانت بيده مقاليد الحكم . . .

ونجده (عليه السلام) عندما لم تكن معه قوة الدولة وليست بيده مقاليدها لم يبخل برأي أو نصيحة . . يبديها لذوي السلطة . فهو الناصح الأمين للدولة الإسلامية وللمسلمين ، والمتفاني في خدمة الإسلام .

لم يترك (عليه السلام) فرصة للنصيحة أو إبداء الرأي إلى الحاكم إلا وأعطاه رأيه وقدم له نصحه ، وكان يُسمع له بما يقول : ويُعمل برأيه .

ـ فمن جملة منجزاته (عليه السلام) ما أشار به على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب : هو وضع التأريخ الهجري الباقي إلى يومنا هـذا وإلى نهاية التاريخ .

نجده (عليه السـلام) عندمـا دعت الحاجـة إلى وضع التـاريخ لم يتردد أن يشير على عمر بوضع تاريخ للمسلمـين يؤرخون بـه على مـدى أجيالهم ويرجعون إليه في جميع أمورهم .

رُوي أنـه جاء رجـل إلى عمر بن الخـطاب يخاصم آخـر بدين لـه عليـه ، وكان معـه صك مكتـوب يحل لـه أداء دينه في شعبـان ، ولكن السنة مجهولة، عندها وضـح لعمر وللحـاضرين هذا النقص في تحـديد الأعوام على وجـه ثابت ، وشعـروا بحاجتهم إلى استنبـاط وسيلة لضبط التاريخ . وتضاربت الآراء فقال أحـدهم نفعل كـما تفعل الفـرس فإنهم يؤرخـون بولايـة ملوكهم كلما هلك ملك أرخـوا بمن هـو بعـده . وقـال آخر : نؤرخ بتاريخ الروم من زمـان الإسكندر وقـال آخر أرخـوا بمولـد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل بمبعثه . . . فقـال علي بن أبي طـالب : نؤرخ من يوم هـاجر رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) من أرض الشرك ، ففعل عمر ذلـك . وأخذا بـرأي علي بن أبي طـالب السديد .

وبدأ الناس من ذلك الوقت يؤرخون بيوم الهجرة[1] .

ـ ومن جملة منجـزات عـلي (عليـه السـلام) أيضـاً : ـ بيت القصص ـ فقـد روى ابن أبي الحديـد في شرح نهج البلاغـة : أنه كـان لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) بيت سـماه بيت القصص يلقي الناس فيه رقاعهم . . الخ .

---

(١) ذكـره الحاكم في المستـدرك بسنده عن سعيـد بن المسيب ، وذكره ابن الأثـير أيضـاً في تاريخ عن سعيد بن المسيب. وروى ذلك السيد محسن الأمـين في كتابـه أعيان الشيعـة والأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب وغيرهم .

سلام الله عليك يا أبا الحسن ما أعظمك وأعدلك . . من حرصك على العدل ووصول أصوات المتظلمين لرفع شكاياتهم إليك ، جعلت لهم بيتاً خاصاً يلقون به رقاعاً وقصاصات تحتوي على دعاويهم وشكاياتهم تسهيلاً لهم ليكون ميسوراً لكل من يريد رفع مظلمته إليك . . .

فلا حجاب ولا مكوس . . ولا رشاوات . . ولا وساطات تحول دون وصول الأمر لك . . . بل يُرفع الأمر إليك بلا واسطة ، وهذا منتهى العدل والمساواة بين الناس . .

وفي رواية ابن أبي الحديد أيضاً : أن المهدي محمد بن هارون الواثق من خلفاء بني العباس فعل ذلك اقتداء بأمير المؤمنين علي (عليه السلام)[1] .

ـ ومن منجزات أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد بيت القصص هو جعل مكان خاص في مسجد الكوفة للمرافعة ـ دكة القضاء ـ ليسهل على الناس الوصول إليه بلا واسطة . والترافع أمامه علانية أمام الناس ، لينفذ الحكم على مرأى ومسمع من الجمهور .

وكان علي أقضى الناس وأوصلهم إلى حقوقهم .

ـ ومن جملة منجزاته (عليه السلام) : أمره بضرب السكة الإسلامية ـ فقد روى السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية . . . في صفحة ٩٠٤ من الطبعة الثالثة والعشرين عند الكلام على المسكوكات العربية : ما تعريبه ملخصاً :

« إن أول من أمر بضرب السكة الإسلامية هو الخليفة علي بن أبي طالب بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٦٠ مسيحية . ثم أكمل الأمر عبد الملك الخليفة سنة٧٦ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٩٥ مسيحية » .

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٧ ص ٨٧ .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض أقوال أمير المؤمنين علي وحكمه

ما عساي أن أكتب عن رجل تحدّر من أكرم سلالة ، وانتمى إلى أطيب عرق ، واختص بقرابته من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان ابن عمه ، وزوج ابنته فاطمة سيد نساء العالمين . ربي في حجره . . وكان أيضاً كاتب وحيه ووزيره ، وتلميذه الذي تلقى عنه الفصاحة والبلاغة ، والعلم والمعرفة ، وتخلق بأخلاقه ، وتفقه عنه في الدين . . الخ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها . . » .

وقال علي (عليه السلام) : « علمني رسول الله ألف باب ينفتح لي من كل باب ألف باب . . »

وبعد أن انتهينا من جولتنا في منعطفات التاريخ وألقينا نظرة على بعض ما جرى في بعض حقبه نقف الآن في ختام كتابنا هذا عند سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحياته التي كانت مفعمة بالأحداث مليئة بجلائل الأمور .

فعلى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ناضل المشركين . . . واليهود . . وبعد وفاة النبي لقي ما لقي من الظلم والحيف من استلاب حقه الشرعي في الخلافة طوى أضالعه على الهم

والأسى وسكت ولم يقم بـأي خـلاف حفـظاً عـلى الإسـلام ووحـدة المسلمين .

وعندما تسلّم مقاليد الحكم لقى أيضـاً من الخطوب والمحن مـا لا تبرك عليه الإبل كما أسلفنا . وقد وصفه الحسن البصري بقوله :

كان سهماً صائباً من مرامي الله على عـدوه ، ورباني هـذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتهـا من رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، لم يكن بـالنؤمة عن أمـر الله ، ولا بـالملومـة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منـه بريـاض مونقـة ، وأعلام مشرقة . . . الخ .

كل هذه المزايا التي ذكـرنا بعضهـا وما صـاحبها من نفـح إلهي ، وإلهـام قـدسي ، مكنت لأمـير المؤمنـين عـلي من وجـوه البيـان وطـلاقـة اللسـان . وملكته أعنـة الكـلام في معان بـديعة ولفظ سـائغ عـذب ، فجاءت خطبه رائعة ، ورسـائله جامعـة ، ووصايـا نافعـة ، وكل كلمـة يتكلمها واضحة تغدو حكمة ، وكل حديث يحدّثه يصبـح نبراسـاً يضيء ظلمات الجهل ، فترويه الرواة ، ويحفظه العلماء ، ويدرسه الدارسـون . على رغم ما بذل أعداؤه من الجهد في إخفاء فضائله .

ونحن الآن وقد أشرفنا على نهاية الكتابة في هذا الفصل من سـيرة علي (عليه السلام) نأتي إلى ذكـر بعض من حكمه وأقـواله ومـواعظه . إتماماً للفائدة .

الحث على طلب العلم

من كلام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي[1] .

قال كميل : أخذ بيدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فخرج بي إلى ناحية الجبانة ، فلما أسحر تنفس الصعداء ، ثم قال :

« يا كميل إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك :

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٣٠٤ كميل بن زياد النخعي من أصحاب علي والحسين (عليهما السلام) قاله الشيخ : وقال ابن داود : من خواصهما وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : كميل بن زياد كان من أصحاب علي (عليه السلام) وشيعته وخاصته ، وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة . وكان كميل عامل علي (عليه السلام) على هيت . وفي حاشية وسائل الشيعة أيضاً : كميل بن زياد النخعي هو المنسوب إليه الدعاء المشهور ـ دعاء كميل ـ وهو من خواص أصحاب علي (عليه السلام) قتله الحجاج بن يوسف الثقفي لعنه الله ، وكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قد أخبره بأنه سيقتله . وهو من أعاظم خواصه (عليه السلام) : ذكره الذهبي بقوله : كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم النخعي ، حدث عن علي (عليه السلام) ، شهد صفين مع علي (عليه السلام) ، وكان شريفاً ، مطاعاً ، ثقة ، عابداً على تشيعه ، قليل الحديث قتله الحجاج .. الخ وله ذكر جميل في أغلب المعاجم الرجالية ، والتواريخ . وقبره على يمين الطريق من الكوفة إلى النجف الأشرف مزار معروف .

الناس ثلاثة : عالم ربـاني . . ومتعلم على سبيـل نجاة . . وهمـج رعاع أتباع كل ناعق ، مع كيل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .

يا كميل : العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال . . . والمـال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، ومنفعة المال تزول بزواله .

يا كميل : محبة العلم دين يدان بـه ، يكسب الإنسان الـطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته . . والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

يا كميل : هلك خزان الأموال وهم أحياء . . . والعلماء باقون ما بقي الدهر . . أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .

ها إن ها هنا لعلماً جماً . . وأشار بيده إلى صدره . . لو وجدت له حملة[١] بـلى . . . أجد لقنـاً غير مـأمون[٢] يستعمـل آلة الـدين للدنيا ، ويستظهر بنعم الله على عباده ،وبحججه على أوليـائه . أو منقـاداً لحملة الحق ولا بصيرة له في أحنـائه[٣] ينقـدح الشك في قلبـه لأول عارض من شبهة ، لا إلى هؤلاء . . ولا إلى هؤلاء . . .

أو منهـومـاً بـاللذة سلس القيـاد للشهـوة . . أو مغـرمـاً بـالجمـع والإدخـار ليسـوا من رعـاة الـدين في شيء أقـرب شبهـاً بهم الإنعـام السائمة . .

كـذلـك يمـوت العلم بمـوت حـامليـه . . اللهم بـلى . . لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله . . . أما ظاهراً مشهوراً ، وأما خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، حتى يودعـوها نـظراءهم ، ويزرعـوها في قلوب أشباههم .

---

(١) وفي تاريخ اليعقوبي : لعلماً جماً لواصيت له حملة .

(٢) في اليعقوبي أيضاً : أللهم إلاّ أن أصيب لقناً غير مأمون .

(٣) وفي اليعقوبي : إحيائه .

هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان حتى باشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استخشن المترفون ، وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الأعلى . . .

يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه[1] والدعاة إلى دينه . . .

آه . . . آه . . شوقاً إليهم . . انصرف يا كميل إذا شئت »[2] .

وقال (عليه السلام) « لو أن حملة العلم حملوه لحقه لا حبهم الله وملائكته ، وأهل طاعته من خلقه ، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا ، فمنعهم الله وهانوا على الناس .

وقال (عليه السلام) : « العالم أفضل من الصائم ، القائم ، المجاهد . وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلّا خلف منه » .

وقال (عليه السلام : « قيمة كل امرىء ما يحسن . . » .

وقال (عليه السلام : « أيها الناس لا ترجوا إلّا ربكم . . ولا تخشوا إلّا ذنوبكم . . . ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم . . . . ولا يستحي من يعلم أن يعلّم . . واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد » .

وقال (عليه السلام) أيضاً :

ما الفخر إلّا لأهل العلم أنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً	الناس موتى وأهل العلم أحياء

---

(١) في تاريخ اليعقوبي : أولئك أولياء الله من خلقه .

(٢) إن كلمة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لكميل ذكرها ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد . كذلك ذكرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة . واليعقوبي في تاريخه وغيرهم من أهل التاريخ وأصحاب السير في اختلاف بسيط في بعض الألفاظ والكلمات .

وقال (عليه السلام) : كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع .

وقال (عليه السلام) : العلم وراثة كريمة ، والآداب حلل مجددة ، والفكر مرآة صافية .

وقال : أوضع العلم ما وقف على اللسان ، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان .

وقال : رب عالم قد قتله جهله ، وعلمه معه لم ينفعه .

من حكم علي أمير المؤمنين ومواعظه

كلام علي (عليه السلام) كله حكم ومواعظ ، ولو أردنا الإحاطة بجميع حكمه ومواعظه لاحتجنا إلى مجلدات . . . وأنى للكتب والمجلدات أن تتسع لفيض علمه . . . ولو أردنا الإحاطة . . يكون مثلنا كمثل من يغترف من البحر . . إذ أن علمه (عليه السلام) بحر زاخر ، وكلامه درر وجوهر .

وقد اختصرنا في هذا الموضوع على ذكر بعض حكمه ومواعظه ، وعذرنا في هذا طريقتنا عدم الإطالة .

قال (عليه السلام) : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم . . معاشر الناس . . اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه . . . وبانٍ ما لا يسكنه ، وجامع ما سوف يتركه . . . ولعله من باطل جمعه . . ومن حق منعه . . . أصابه حراماً . . واحتمل به آثاماً . . فناء بوزره . . وقدم على ربه أسفاً لاهفاً قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وقال (عليه السلام) : للظالم من الرجال ثلاث علامات : ١ ـ يظلم من فوقه بالمعصية ٢ ـ ومن دونه بالغلبة ٣ ـ ويظاهر القوم الظلمة .

وقـال (عليه السـلام) لبعض أصحابـه : لا تجعلن أكـثر شغلك بـأهلك وولدك . . فـإن يكن أهلك وولـدك أوليـاء الله . . فـإن الله لا يضيـع أولياءه . . . وإن يكـونوا أعـداء الله فـما همـك وشغلك بـأعـداء الله . . . !

وقال (عليه السلام) : من أُعطي أربعاً لم يُحرم أربعاً . . .

- من أُعطي الدعاء . . لم يُحرم الإجابة . .

- ومن أُعطي الإستغفار . . لم يُحرم المغفرة . .

- ومن أُعطي الشكر لم يُحرم الزيادة . .

- ومن أُعطي التوبة لم يحرم القبول . . .

وتصديق ذلك كتاب الله تعالى . قـال الله عز وجـل في الدعـاء : **﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾**[١] .

وقـال في الإستغفـار : **﴿ ومن يعمـل سـوءاً أو يـظلم نفسـه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾**[٢] .

وقال في الشكر: **﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾**[٣] .

وقـال في التوبـة : **﴿ إنما التـوبـة عـلى الله للذين يعملون السـوء بجهالة ثم يتـوبون من قـريب فأولئـك يتوب الله عليهم وكـان الله عليماً حكيماً ﴾**[٤] .

قـال (عليه السـلام) : يأتي عـلى النـاس زمـان لا يبقى فيـه من القـرآن إلّا رسمه[٥] ، ومن الإسـلام إلّا اسمه . . مسـاجـدهم يـومئـذٍ

(١) سورة المؤمن : الآية ٦٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٠٩ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٧ .

(٥) أقول : سلام الله عليك يا أمير المؤمنين ما أعظمك . . واعظم كلامك الـذي يعد من المعجزات والأخبار بالمغيبات . كـأنك كنت تنـظر في زمانـك الماضي إلى وقتنـا الحاضر حيث قلت : « يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلّا رسمه . . الخ » . =

عامرة من البنى ، خراب من الهدى .

... سكانها وعمارها شر أهل الأرض ... منهم تخرج الفتنة .. وإليهم تـأوي الخطيئـة .. يردُّون من شـذ عنها فيهـا .. ويسوقـون من تأخر عنها إليها ، في حـديث شريف : « فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة أترك الحليم فيها حيران »[1] .

وقال (عليه السلام) لجابر بن عبد الله الأنصاري :

يا جابر قوام الدنيا بأربعة :

ـ عالم مستعمل علمه .. وجاهل لا يستنكف أن يتعلم .. وجواد لا يبخل بمعروفه .. وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ..

فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ...

وإذا بخل الغني بمعروفه ، باع الفقير آخرته بدنياه ..

يا جابر : من كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه .. فمن قام لله فيها بما يجب ، عرّضهـا للدوام والبقاء .. ومن لم يقم فيهـا بما يجب عرضها للزوال والفناء .

وقال (عليه السلام) : « يأتي على الناس زمـان لا يقرّب فيـه إلاّ

= وهـا نحن الآن أصبحنـا لا نجـد القـرآن الكـريم في أيـدي المسلمـين يتلونـه للتعلم والإستفادة منه .. بل نجده بغـلافه الجميـل في الواجهـات ، في دور النشر والمكتبات وليس في أيدي المسلمين يتعظون به . بل أصبح رمزاً للإخبار عن إنسان قد مات .. أو لتشييع الجنائـز عبر مكـبرات الصوت وقـد نسي الناس مـا يشتمل عليـه القرآن من علوم وآداب ومـواعظ وحكم ولكل مـا يحتاجـه المرء في جميـع مراحـل حياتـه في دنياه وآخرته فهو أعظم دستور يجب اتباعه لأنه من لدن عزيز حكيم .

(١) قوله (عليه السلام) : « مساجدهم يومئذٍ عامرة .. الخ » وها نحن اليـوم ننظر إلى ضخـامة المساجـد وقلة المصلين وغبـاوة بعض أئمة المسـاجـد وفـراغ الكثـير منهم من العلوم الـدينية التي تمكنهم من هـداية النـاس وإرشادهم حتى أصبـح النـاس في هـذا العصر الحكيم فيه حيران والمؤمن مهان .

الماحل[1] . . . ولا يُظرَّف فيه إلاّ الفاجر . . . ولا يضعف فيه إلاّ المنصف . . . يعدُّون الصدقة فيه غرماً . . . وصلة الرحم منّاً . . . والعبادة استطالة على الناس . . . فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الإماء ، وإمارة الصبيان ، وتدبير الخصيان .

(١) الماحل : الماكر . . ولا يعد الناس الإنسان ظريفاً إلاّ إذا كان خليعاً ماجناً ماكراً وإذا رأوا إنساناً عنده ورع وإنصاف عدوه ضعيفاً . وليس الشهم إلا الظالم . . الخ .

موعظة ناجعة ، وحكمة بالغة

قال علي (عليه السلام) لرجل سأله أن يعظه :

« لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل . . ويرجو التوبة بطول الأمل . . . يقول في الدنيا بقول الزاهدين . . . ويعمل فيها بعمل الراغبين . . إن أعطي فيها لم يشبع ، وإن منع منها لم يقنع . . يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي . . ينهى ولا ينتهي ، ويأمر الناس بما لم يأتِ .

يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم . . يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت من أجله .

إن سقم ظل نادماً ، وإن صح أمن لاهياً . . يعجب بنفسه إذا عوفي . . . ويقنط إذا ابتلي . . وإن أصابه بلاء دعا مضطراً ، وإن ناله رخاء أعرض مغتراً .

تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن . . يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله .

إن استغنى بطر وفتن . . . وإن افتقر قنط ووهن . . يقصر إذا عمل، ويبالغ إذا سأل . . . إن عرضت له شهوة أسلف المعصية . وسوف

التوبة ، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة[1] .

يصف العبرة ولا يعتبر . . . ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ[2] . . . فهو بالقول مدل ، ومن العمل مقل .

ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى[3] يرى الغنم مغرماً . والغرم مغنماً . . يخشى الموت ولا يبادر الفوت .

يستعظم من معصية غيره ، ما يستقل أكثر منه من نفسه . . ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن .

اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء . . يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره . . .

يُرشد نفسه ، ويغوي غيره فهو يطاع ويعصي ، ويستوفي ولا يُوفي ، ويخشى الخلق في غير ربه ، ولا يخشى ربه في خلقه .

---

(١) « وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة » هذا المعنى موجود في كثير من الناس بحيث إذا أصابت الإنسان محنة أو نزلت به نازلة نسي نعم الله عليه من قبل وقال ما يقارب الكفر من التسخط والتبرم والتأفف ، وهذا الفعل أو القول من الإستعظام وعدم الرضى بقضاء الله وقدره هو الإنفراج عن شرائط الملة .

(٢) « يبالغ في الموعظة ولا يتعظ » كثير من الناس يأمر بالموعظة ولا يتعظ ، وينهى الناس عن فعل ما لا يحسن ولا ينتهي ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى في كتابه الكريم بقوله : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ سورة البقرة : الآية ٤٤ وقد أصبح الكثير في هذه الأيام من هذا النوع من البشر . فترى الرجل واعظاً لغيره ناسياً نفسه ولهذا لا يسمع قوله لأنه مغاير لفعله . قال الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا	كيما يصح به وأنت سقيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
وهناك يسمع ما تقول ويقتدى	بالرأي منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

(٣) « ينافس فيما يفنى » في شهوات الدنيا ولذاتها . ويسامح فيما يبقى من ثواب الآخرة .

وقال (عليه السلام) :

« من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم » .

وقال (عليه السلام) لكميل :

« يا كُميل . . . مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم . . ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلّا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً . فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل » .

وقال (عليه السلام) :

« عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي إياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .

وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ، ويكون غداً جيفة . . .

وعجبت لمن شك في الله ، وهو يرى خلق الله . . .

وعجبت لمن نسي الموت ، وهو يرى من يموت . .

وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى . . .

وعجبت لعامر دار الفناء ، وتارك دار البقاء » .

وقال (عليه السلام) :

الجود حارس الأعراض . . والحلم فدام[1] السفيه . . والعفو

---

(١) الفدام : جمع فدم . . . مصفاة صغيرة توضع على فم الإبريق والفدامة ما يوضع على =

زكاة الظفر . . والسلو عوضك ممن غدر . . والإستشارة عين الهداية . . وقد خاطر من استغنى برأيه . . والصبر يناضل الحدثان[1] . . . والجزع من أعـون الزمـان . . وأشرف الغنى تـرك المنى . . وكم من عقـل أسـير تحت هـوى أمـير . . . ومن التـوفيق حفظ التجـربـة . . والمـودة قـرابـة مستفادة ، ولا تأمنن ملولا » .

وقال (عليه السلام) :

بكثرة الصمت تكون الهيبـة . . وبـالنصفـة يكـثر المـواصلون . . وبالإفضال تعظم الأقدار . . وبالتواضـع تتم النعمة . . وبـاحتمال المؤن يجب السؤدد . . . وبالسيرة العادلة يقهر المناوىء . . وبالحلم عن السفيه تكـثر الأنصار عليـه . . والإيمان معـرفة بـالقلب وإقرار بـاللسان وعمـل بالأركان » .

وقال (عليه السلام) :

فـرض الله الإيمـان تـطهيـراً من الشرك . . والصـلاة تنـزيهـاً عن الكبر . . والزكاة تسبيباً للرزق . . والصيـام ابتلاءً لأخـلاص الخلق . . والحـج تقربـة للدين . . . والجهاد عـزاً للإسـلام . . والأمر بـالمعـروف مصلحة للعوام . . . والنهي عن المنكـر ردعاً للسفهـاء . . وصلة الرحم منماة للعدد . . والقصـاص حقناً للدمـاء . . وإقامـة الحـدود إعـظامـاً للمحارم . . وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل . . ومجانبـة السرقة إيجـاباً للعفـة . . وترك الـزنا تحصينـاً للنسب . . وترك اللواط تكثيـراً للنسل ، والشهـادة استـظهـاراً عـلى المجاحـدات . . . وتـرك الكـذب تشريفـاً للصدق . . والسلام أماناً من المخاوف . . والأمانـات نظامـاً للأمـة . . والطاعة تعظيماً للإمامة . . .

= فم البعـير لمنعـه من الأكـل والعض والمراد . . بـالحلم تـربط فم السفيـه وتمنعـه من الكلام .

(١) الحدثان : نوائب الدهر .

وقال (عليه السلام) :

كم من مستدرج بالإحسان إليه .. ومغرور بالستر عليه ... ومفتون بحسن القول فيه ... وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء له .

وقال (عليه السلام) :

من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً ... ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه ..

ومن أتى غنياً فتواضع لغناه ، ذهب ثلثا دينه ...

ومن لهج قلبه بحب الدنيا إلتاط قلبه منها بثلاث ... هم لا يغنيه .. وحرص لا يتركه .. وأمل لا يدركه .

وقال (عليه السلام) :

كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً » .



بعض كلمات علي القصار

علي بن أبي طالب (عليه السلام) سيد الفصاحة وأمير البيان بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تنضح البلاغة من كلماته القصار أو الطوال على حد سواء ، فجميعها درر وحكم ، وكل ما ينطق به نجده مواعظ ، وتعاليم قيمة على جميع الأصعدة ، أخلاقية كانت أو علمية . . . إجتماعية أو سياسية دنيوية أو أخروية . . .

لذلك فإن أي كاتب أو مؤلف مهما أراد أن يوجز أو يقتصر على بعض ما جاء عن لسانه (عليه السلام) دون البعض الآخر يرى نفسه مقصراً وفي حيرة من أمره أمام ترك الفوائد التي حوتها خطبه وكلماته والتي ألقاها في مناسبات مختلفة فهي بأجمعها تتضمن فوائد عظيمة تعود على المجتمع الإنساني بالفائدة والنفع .

ولا أغالي إذا قلت وأنا أتأمل في معاني كلماته (عليه السلام) لأنتقي منها ما أدونه في هذا لكتاب : أني أشعر بالعجز لأنني أكون كأنني أسلخ الدر عن الدر ، والياقوت عن الياقوت .

ولا يمكنني أيضاً وأنا أكتب عن سيرته (عليه السلام) ألا أن أذكر ولو لمحة موجزة عن بعض ما أتحف به البشر من تعاليم نافعة وإرشادات قيمة . .

قال (عليه السلام) : « إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم ، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم » .

وقال (عليه السلام) : « خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم ، وإن عشتم حنوا إليكم » .

وقال : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .

وقال : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وقال : من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف ، والتنفيس عن المكروب .

وقال : ما أضمر أحد شيئاً إلّا ظهر من فلتات لسانه ، وصفحات وجهه .

وقال : فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشر شر منه .

وقال : من أسرع إلى اناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

وقال : من أطال الأمل ، أساء العمل .

وقال : لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه .

وقال : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

وقال : أولى الناس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة .

وقال : السخاء ما كان ابتداءً ، فإذا كان عن مسألة فحياء وتذمم .

وقال : لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالأدب ، ولا ظهير كالمشاورة .

وقال : الصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب .

وقال : الغنى في الغُربة وطن ، والفقر في الوطن غربة .

وقال : القناعة مال لا ينفد .

وقال : المال مادة الشهوات .

وقال : من حذَّرك كمن بشرك .

وقال : اللسان سبع ، إن خلي عنه عقر .

وقال : أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .

وقال : فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .

وقال : لا تستح من إعطاء القليل ، فإن الحرمان أقل منه .

وقال : العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى .

وقال : إذا تم العقل نقص الكلام .

وقال : قيمة كل امرىء ما يحسنه .

وقال : من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس .

وقال : ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه .

وقال : من كان له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ .

وقال : إضاعة الفرصة غصة .

وقال : مثل الدنيا كمثل الحية لين مسّها ، والسم الناقع في جوفها ، يهوي إليها الغر الجاهل ، ويحذرها ذي اللب العاقل .

وقال : من قصر في العمل ، ابتلي بالهم .

وقال : عُظم الخالق عندك ، يصغّر المخلوق في عينيك .

وقال : الدنيا دار ممر لا دار مقر ، والناس فيها رجلان : رجل باع نفسه فأوبقها ، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها .

وقال : لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته ، وغيبته ، ووفاته .

وقال : استنزلوا الرزق بالصدقة .

وقال : ما عال من اقتصد ، وقلة العيال أحد اليسارين .

وقال : التودد نصف العقل ، والهم نصف الهرم .

إلى آخر ما هنالك من الدرر المكنونة التي يعجز عنها الحصر ويصعب الإحاطة بها إذ تحتاج إلى مجلدات ضخمة . ولهذا اختصرنا على بعضها من باب : ما لا يدرك كله ، لا يترك كله .

من شعر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

سبق منا الكلام في ذكر بعض من سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وبعض ما نقل عنه وما وعاه التاريخ مكتفين في ذلك بالكلمات القصار في المواعظ والحكم ، والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب والمراسلات، وذلك لتجنب الإطالة وإن كان في الإطالة من الفوائد الجسيمة التي لا تحصى . . لما تحتويه كلماته (عليه السلام) من جواهر الكلام . . والبلاغة . . والفصاحة . . وثواقب الكلم الدينية والدنيوية . .

هذا في مجال الخطب والأحاديث ، وأما في مجال الشعر فإنك ترى في شعره من الفوائد التي لها الصلة في تثقيف الإنسان وسلوكه الإخلاقي والديني، سواء في ذلك في المدح . . أو الرثاء . . أو الحث على طلب العلم . . أو في متشعبات الحياة الإجتماعية ومتطلباتها .

وعلى كل حال فكلامه(عليه السلام)عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي . وكله درر وحكم . ونحن الآن نذكر بعض ما قاله من الشعر أو ما نسب إليه غير ملتزمين بإيراد ذلك حسب حروف الهجاء ولا بذكر المواضيع تفصيلاً لأن غرضنا ذكر بعض ما ورد عنه :

قال مخاطباً ولده الحسن (عليهما السلام) :

تـرد رداء الصبر عنـد النـوائب | تنل من جميل الصـبر حسن العواقب
وكن صاحباً للحلم في كل مشهد | فما الحلم إلا خير خدن وصاحب
وكن حافظاً عهد الصديق وراعياً | تذق من كمال الحفظ صفو المشارب
وكن شـاكـراً لله في كـل نعمـة | يثبك على النعمى جزيل المواهب
ومـا المـرء إلا حيث يجعـل نفسـه | فكن طالباً في الناس أعلى المراتب
وكن طـالباً للرزق من بـاب حله | يضاعف عليك الرزق من كل جانب
وصن منك ماء الـوجه لا تبـذلنه | ولا تسأل الأرذال فضل الرغائب
وكن موجباً حق الصـديق إذا أتى | إليـك بـبر صـادق منـك واجب
وكن حـافـظاً للوالـدين ونـاصـراً | لجارك ذي التقوى وأهل التقارب[1]

وقال (عليه السلام) في العقل والحسب :

ليس البليـة في أيـامنـا عجبـاً | بل السلامـة فيها أعجب العجب
ليس الجـمال بـأثـواب تـزيننـا | بـل الجمال جمال العقـل والأدب
ليس اليتيم الذي قد مـات والده | إن اليتيم يتيـم العـلم والحسـب

وقال (عليه السلام) أيضاً :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً | يـغنيـك محمـوده عـن النسب
إن الفتى مـن يقـول هـا أنـاذا | ليس الفتى من يقـول كان أبي[2]

وقال (عليه السلام) :

إذا كـنت في نـعمـة فـارعـهـا | فـإن المعـاصي تـزيـل النعم
وحـافظ عليهـا بتقـوى الإلـه | فـإن الإلـه سريـع الـنـقـم
فـإن تـعط نـفـسـك آمـالهـا | فعنـد منـاهـا يحـل النـدم
حـلاوة دنـيـاك مسـمـومـة | فـلا تـأكـل الشهـد إلّا بسم
محـامـد دنـيـاك مـذمـومـة | فـلا تكسب الحمـد إلّا بـذم
إذا تـم أمـر بـدا نـقـصـه | تـوق زوالا إذا قـيـل تـم

(١) ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : منشورات مطبعة الغري في النجف ـ ص ٩ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٠ .

وكـم قـدر دب في غـفـلة ... فلم يشعر النـاس حتى هجم[1]

وقال (عليه السلام) :

حرِّض بنيك على الآداب في الصغر ... كيما تقر بهم عينـاك في الكبر
وإنمـا مثـل الآداب تجمعهـا ... في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ... ولا يخاف عليها حادث الغير
إن الأديب إذا زلت بـه قـدم ... يهوي إلى فرش الديباج والسرر
النـاس اثنـان ذو علم ومستمـع ... واع وسائرهم كاللغو والعكر[2]

وقال (عليه السلام) يذكر مبيته على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة حينما تآمرت قريش على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد خرج إلى الغار وبات علي مكانه ووقاه بنفسه :

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمد لما خاف أن يمكروا بـه ... فـوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبـت أراعيهـم متى ينشرونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وبـات رسـول الله في الغـار آمناً ... هنـاك وفي حفظ الإلـه وفي ستر
أردت بـه نصر الإلـه تبتـلا ... وأضمرته حتى أوسد في قبري[3]

وقال (عليه السلام) بعد رجوعه من أحد وقد خضب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار ، فناوله فاطمة (عليها السلام) وقال : خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم . وأنشأ يقول :

أفـاطم هـاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد ... وطـاعـة رب بـالعبـاد عليم

---

(١) ديوان أمير المؤمنين علي : ص ٧٠ وقد أورد هذه الأبيات ابن الصباغ في الفصول المهمة أيضاً . وفي رواية : ترقب .
(٢) ديوان أمير المؤمنين علي : ص٣٦ .
(٣) ديوان أمير المؤمنين علي : ص٣٣ . كذلك روى الأبيات الشيخ الطوسي في الأمالي ورواه الحاكم في المستدرك .

أميـطي دمـاء القـوم عنه فـإنـه ... سقى آل عبـد الـدار كـأس حميم[1]

وقال (عليه السلام) في الفرج بعد الضيق وقد أورد هذه الأبيات الخطيب البغدادي في تاريخه وغيره :

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تـر لانكشاف الضر وجهاً ... ولا أغنى بحيلته الأريب
آتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها فرج قريب

وقال (عليه السلام) من أبيات أوردها جامع الديوان ، وصاحب جواهر المطالب في الصبر على الضيق :

إني أقول لنفسي وهي ضيقة ... وقد أناخ عليها الدهر بالعجب

إلى أن يقول :

سيفتح الله عن قرب بنافعة ... فيها لمثلك راحات من التعب

ولنستمع إليه (عليه السلام) وقد وقف على قبر الزهراء (عليها السلام) بعد دفنها يقول :

ما لي وقفت على القبور مسلماً ... قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيب ما لك لا ترد جوابنا ... أنسيت بعدي خلة الأحباب
قال الحبيب : وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم ... وحجبت عن أهلي وعن أتراب
فعليكم مني السلام تقطعت ... مني ومنكم خلة الأحباب

وقال (عليه السلام) :

ذهب الذين عليهم وجدي ... وبقيت بعد فراقهم وحدي

---

(١) راجع الإرشاد للشيخ المفيد : وقد أورد الطبري في تاريخه هذه الأبيات باختلاف في بعض الكلمات وزاد عليها :

وسيفي بكفي كالشهاب أهزه ... أجذبه من عاتق وصميم
فما زلت حتى فض ربي جموعهم ... وحتى شفينا نفس كل حليم

من كـان بينك في الـتراب وبينـه شـبران فـهـو بغـايـة الـبعـد
لـو كشفت للمـرء أطبـاق الـثرى لم يـعـرف المـولى من الـعـبـد
من كـان لا يـطأ الـتراب برجله يـطأ الـتراب بـنـاعـم الخـد

وقـال (عليه السـلام) في رثاء رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) :

كنت السـواد لنـاظـري فعليـك يبكـي النـاظـر
من شـاء بعـدك فليمـت فـعـليـك كـنـت أحـاذر

وقال (عليه السلام) :

أرى علل الـدنيـا عـلي كثـيرة وصـاحبها حتى الممـات عليـل
لكـل اجتـماع من خليلين فـرقـة وكـل الـذي دون الممـات قليـل
وإن افتقـادي واحداً بعـد واحـد دليـل على أن لا يـدوم خليـل[1]

---

(١) عن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وقد أورده القاضي في دستور معالم الحكم . وفي بعض الروايات مكتوب وأن افتقادي فاطما بعد أحمد . الخ .



في النصائح

مما نسب إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من الشعر القصيدة المشهورة بالزينبية وقد رأيت أن أذكر قسماً منها لما في أعماقها من معاني ذات مضامين عالية . .

قال (عليه السلام) :

ذهب الشباب فما له من عودة … وأتى المشيب فأين منه المهرب
طيف ألم إليك لم تحفل به … فترى له أسفاً ودمعاً يسكب
دع عنك ما قدفات في زمن الصبا … واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واخش مناقشة الحساب فإنه … لا بد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته … بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها … ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها … دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما … أنفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما حصلته وجمعته … حقاً يقينا بعد موتك ينهب
تباً لدار لا يدوم نعيمها … ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصائحاً أولاكها … بر لبيب عاقل متأدب
صحب الزمان وأهله مستبصراً … ورأى الأمور بما تؤوب وتعقب

أهدى النصيحة فاتعظ بمقاله ... فهو التقي اللوذعي الأدرب[1]
لا تأمن الدهر الصروف فإنه ... لا زال قدماً للرجال يهذب
وكذلك الأيام في غدواتها ... مرت يذل لها الأعز الأنجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... إن التقي هو البهي الأهيب
واعمل لطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع لربه لمقرب
فاقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس مما فات فهو المطلب
وإذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسي ثوب المذلة أشعب[2]

إلى قوله (عليه السلام) . . .

والقى عدوك بالتحية لا تكن ... منه زمانك خائفاً تترقب
واحذره يوماً إن أتى لك باسماً ... فالليث يبدوا نابه إذ يغضب
إن الحقود وإن تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب
وإذا الصديق رأيته متملقاً ... فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امرىء متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
واختر قرينك واصطفيه مفاخراً ... إن القرين إلى المقارن ينسب
إن الغني من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فإنه ... يزرى به الشهم الأديب الأنسب
واخفض جناحك للأقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً ... إن الكذوب لبئس خلا يصحب
وذر الحسود ولو صفا لك مرة ... أبعده عن رؤياك لا يستجلب

---

(١) اللوذعي : الذكي الذهن ، الحديد الفؤاد كأنه يلذع من ذكائه : الفصيح اللسان . والأدرب العاقل الحاذق بصناعته . المنجد في اللغة .

(٢) أشعب الرجل : أي مات وأشعبت نفسه إذا ماتت . لسان العرب لابن منظور . أقول : المراد من قوله : (فلقد كسي ثوب المذلة أشعب) صاحب الطمع يذل نفسه ويهدر كرامته في سبيل طمعه . وأشعب صفة لكل رجل ماتت نفسه .

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترس من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به ... فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
واحرص على حفظ القلوب من الأذى ... فرجوعها بعد التنافر يصعب
إن القلوب إذا تنافر ودها ... شبه الزجاجة كسرها لا يشعب[1]
وكذاك سر المرء إن لم يطوه ... نشرته السنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً ... والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس يؤتى رزقه ... رغدا ويحرم كيّس ويخيّب
أدي الأمانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
وإذا بليت بنكبة فاصبر لها ... من ذا رأيت مسلّماً لا يُنكب
وإذا أصابك في زمانك شدة ... وأصابك الخطب الكريه الأصعب
فادعو لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقرب
كن ما استطعت عن الأنام بمعزل ... إن الكثير من الورى لا يصحب
واجعل جليسك سيداً تحظى به ... حبر لبيب عاقل متأدب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً ... واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا رأيت الرزق ضاق ببلدة ... وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا ... طولاً وعرضاً شرقها والمغرب

إلى آخر ما في هذه القصيدة التي هي كنظم الدر لما تحويه من معان جليلة ، وحكم وآداب ونصائح مفيدة ، التي لو عمل بها الإنسان لسار في حياته على جادة الصواب وفاز بالأمان والإطمئنان في الدنيا والآخرة .

---

(١) كسرها لا يشعب : لا يلتئم .



بعض ما قيل من الشعر في مدح علي (عليه السلام)

تسابق الشعراء ، وتبارى الأدباء في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أمير البلغاء ، وذكر سجاياه الفاضلة ، وتعداد مناقبه ، وما حباه الله سبحانه وتعالى به من النعم والكرامات . .

فمن الشعراء والأدباء من أطال وأسهب . . . ومنهم من اختصر وأوجز . . ولم يتمكنوا من بلوغ الغاية التي يريدونها من استيعاب مناقبه ومعاليه .

وما قيل في مدح أمير المؤمنين علي من الشعر كثير . . وكثيرٌ . . فما حدّ الواصف أو المادح له (عليه السلام) أن يقول أو يصف رجلاً حباه الله بمميزات جمة . منها : أنه ولد في جوف الكعبة المقدسة . ولم يولد فيها أحد قبله ولا بعده .

ـ ومنها : أنه ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وربيبه الذي تربى في حجره وتخلق بأخلاقه . . .

ـ ومنها : إنه أول من أسلم وآمن برسول الله وصدقه وصلى خلفه . .

ـ ومنها : أنه أخو رسول الله الذي اختاره من بين جميع الناس إذ آخى بينه وبين نفسه يوم آخى بين المسلمين . .

ـ ومنها : إنه صهره ـ زوج ابنته فاطمة (عليها السلام) ـ ووزيره وحامل رايته في أكثر مواقفه وحروبه حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما برز علي لعمرو بن ود العامري يوم الخندق : « برز الإسلام كله إلى الشرك كله » .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً : « ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين » .

لكن لا بد لنا ونحن قد أشرفنا على نهاية سيرته (عليه السلام) من ذكر بعض ما قيل في مدحه ومناقبه وذلك إتماماً للفائدة . وقد توخينا عدم الإطالة مكتفين ببعض الأبيات من بعض القصائد التي قيلت فيه . . .

قال الشيخ صالح التميمي[1] : قصيدة طويلة في مدح أمير المؤمنين علي منها :

غاية المدح في علاك ابتداء ... ليت شعري ما تصنع الشعراء

يا أخا المصطفى وخير ابن عم ... وأمير إن عدت الأمراء

ما نرى ما استطال إلّا تناهى ... ومعاليك ما لهن انتهاء

إلى أن يقول :

يا صراطاً إلى الهدى مستقيماً ... وبه جاء للصدور الشفاء

بُني الدين فاستقام ولولا ... ضرب ماضيك ما استقام البناء

أنت للحق سلم ما لراقٍ ... يتأتى بغيره الإرتقاء

معدن الناس كلها الأرض لكن ... أنت من جوهر وهم حصباء

(١) هو أبو سعيد الشيخ صالح التميمي الحلي الشاعر المشهور : ولد في الكاظمية سنة ١٢١٨ هجرية وتوفي في بغداد في شعبان سنة ١٢٦١ ودفن في الكاظمية . كان من بيت أدب وكمال رُبي في حجر جده الشيخ علي الزيني الشهير في مطارحاته مع السيد بحر العلوم وغيره في النجف الأشرف . انتقل مع جده من الكاظمية إلى النجف فأقام فيها برهة ثم سكن الحلة وبقي بها مدة حتى استقدمه والي بغداد داود باشا فسكنها . وفي ذلك قصة طويلة ذكرها السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة . في ترجمة الشيخ صالح التميمي الحلي .

شبه الشكل ليس يقضي التساوي إنما في الحقائق الإستواء
شرَّف الله فيك صلباً فصلبا أزكياء نمتهم أزكياء
فكان الأصلاب كانت بروجاً ومن الشمس عمهن البهاء
لم تلد هاشمية هاشمياً كعلي وكلهم نجباء
وضعته ببطن أول بيت ذاك بيت بفخره الإكتفاء
أمر الناس بالمودة لكن منهم أحسنوا ومنهم أساؤوا[1]
يا ابن عم النبي ليس ودادي بوداد يكون فيه الرياء
فالورى فيك بين غالٍ وقالٍ وموالٍ وذو الصواب الولاء
وولائي إن بحت فيه بشيء فبنفسي تخلفت أشياء
أتقي ملحداً وأخشى عدواً يتمارى ومذهبي الأتقاء
وفراراً من نسبة لغلو إنما الكفر والغلو سواء

إلى آخر هذه القصيدة التي يتطرق فيها صاحبها إلى ذكر مناقب علي (عليه السلام) ومواقفه وحروبه . من مبيته (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة فادياً له بنفسه مروراً بجهاده في سبيل الإسلام في عهد الرسول وبعده حتى وفاته

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى . . ﴾ سورة الشورى آية ٢٣ وتُسمى أيضاً : حمعسق ذكر الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن بعد سلسلة من الإسناد عن ابن عباس قال : لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجراً . . الآية : قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وولدهما . وفي مجمع البيان أيضاً : عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنَّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخُلقت أنا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى. ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخريه في النار ثم تلا : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** . . ﴾ .
وروى زاذان عن علي (عليه السلام) قال : فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلاّ كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية . وإلى هذا أشار الكميت في قوله :
وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

(عليه السلام) في الكوفة ودفنه في موضع الغريين ـ النجف الأشرف ـ .

قال ابن أبي الحديد[1] قصيدة في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهي من غرر الشعر نذكر بعضها وإن تكن جميعها جيدة . ولنستمع إليه وهو يخاطب البرق الذي يلمع في سواد الليل ويشق الدجى . حيث يقول :

يا برق إن جئت الغري[2] فقل له   أتراك تعلم من بأرضك مودع

---

(١) ابن أبي الحديد : هو عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي . له كتاب شرح نهج البلاغة . . وهو أطول شرح ، وأشمله بالعلوم ، والآداب ، والمعارف . صنفه برسم خزانة مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد العلقمي . . وزير المستعصم بالله العباسي ـ آخر ملوك بني العباس ـ كان ابن أبي الحديد من أعيان أهالي بغداد وفضلائهم مائلاً للآداب ، مقرباً للأدباء معتزلي المذهب . وكانت له خزانة كتب كبيرة فيها عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب . شرع في تأليف كتاب شرح نهج البلاغة في غرة صفر سنة ٦٤٤ وأتمه في صفر سنة ٦٤٩ فقضى أربع سنين وثمانية أشهر في تأليفه . ولما فرغ أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي إلى ابن العلقمي ، بعث إليه ٨٠٠ دينار ، وخلعة سنية ، وفرس . الخ ـ راجع ترجمة ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ١٠ .

(٢) الغري : ظهر الكوفة وقد تقدمت ترجمته . والغري هو الموضع الذي دفن فيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . ويعرف اليوم بمدينة النجف الأشرف .

ـ النجف الأشرف : الأرض التي ضمت في ثراها رفاة علي بن أبي طالب (عليه السلام) أقدس رجل وأشرف ولد آدم (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ـ النجف الأشرف : البقعة التي ضمت رفاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)وضجيعه آدم ونوح ، وجاريه هود وصالح كما ذكر أكثر المؤرخين وأصحاب السير . وقد جاء في كتب الأدعية والزياراة : السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلي ضجيعيك آدم ونوح . . وعلى جاريك هود وصالح . . . الخ .

ـ النجف الأشرف : تلك المدينة التي أصبحت بفضل مقام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) معهد العلم الديني ، وينبوع المعرفة ، ومهوى أفئدة طلاب العلوم على اختلاف أنواعها ، وخاصة العلوم الدينية الإسلامية بجميع فروعها . . ومتفرعاتها .

ـ النجف الأشرف : تلك البيئة العلمية الذائعة الصيت . . التي أخرجت جهابذة =

فيك بن عمران الكليم وبعده عيسى يقفيه وأحمد يتبع
بل فيك جبريل وميكال وأسرا فيل والملأ المقدس أجمع
بل فيك نور الله جل جلاله لذوي البصائر يستشف ويلمع[1]
فيك الإمام المرتضى فيك الوصي المجتبى فيك البطين الأنزع[2]
إلى قوله :
يا من له ردت ذكاء ولم يفز بنظيرها من قبل إلاّ يوشع[3]

= العلماء . . وكبار الفقهاء . . وأعلام المسلمين ومفكريهم . . ولولا مرقد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تلك البقعة من الأرض العراقية لما كانت مدينة النجف يقصدها رواد العلم وطلاب المعرفة . . . ولولا مقام علي (عليه السلام) لما كانت أفئدة الناس تهوي إلى النجف من كل حدب وصوب للتبرك بزيارة المقام الشريف فيها . . .

فسلام الله عليك يا أبا الحسن طبت وطابت الأرض التي فيها دفنت . . ورحمة الله وبركاته .

(١) « أما كون النبيين والملائكة في قبره (عليه السلام) فلأنه حوى ما حووه من الفضل فكأنهم كلهم فيه وذكر موسى وعيسى (عليهما السلام) وهما من أولي العزم ليحصل الإتصال بنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان أفضل الخلائق فإن علياً نفسه بنص القرآن المجيد ـ كما في آية المباهلة : وأنفسنا وأنفسكم ـ والأخبار كذلك . وإنما بدء بالنبيين وثنى بالملائكة لأن الملائكة على رأي المعتزلة أفضل من النبيين . فكأنه ارتقى عن درجة النبين إلى الملائكة . ثم ارتقى إلى الدرجة العليا وهو نور الله الذي لا يطفأ وقوله : يستشف ويلمع : أي ينظر فيضيء وأصل الإستشفاف النظر من وراء ستر رقيق . راجع شرح القصائد السبع العلويات للعلامة السيد محمد صاحب المدارك رحمه الله .

(٢) المرتضى والمجتبى من ألقاب علي (عليه السلام) والبطين في الأصل العظيم البطن والأنزع الذي انحسر الشعر عن مقدم رأسه . ولا يمدح في ذلك . بل بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنك منزوع من الشرك بطين من العلوم » والبطين الأنزع : من ألقاب علي (عليه السلام) أيضاً :

(٣) ذكاء من أسماء الشمس وقد ردت لعلي (عليه السلام) ذكر ذلك المؤرخون وأصحاب السير : ففي الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني : ص ١٢٨ قوله : ومن كرامات علي الباهرة : أن الشمس ردت عليه لما كان رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجره ، والوحي ينزل عليه . وعلي لم يصل العصر . فما سرى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ وقد غربت الشمس . فقال النبي (صلى الله عليه وآله =

يـا هـازم الأحـزاب لا يثنيـه عن — خـوض الحـمام مـدجـج ومـدرع
يـا قالـع الباب الـذي عن هزهـا — عجـزت أكـف أربعون وأربـع[1]
لـولا حدوثـك قلت أنك جـاعل — الأرواح في الأشـبـاح والمنـتزع
لـولا مماتـك قلت أنـك بـاسط — الأرزاق تقـدر في العطاء وتـوسع
مـا العـالم العـلوي إلّا تـربـة — فيهـا لجثتك الشريفـة مضجع[2]
مـا الدهـر إلا عبدك القن الـذي — بنفـوذ أمـرك في الـبرية مـولـع
أنـا في مديحـك الكن لا أهتـدي — وأنـا الخطيب الهبـزري المصقـع

إلى قولـــه :

وتكـاد نفسي أن تـذوب صبـابـة — خلقـاً وطبعـاً لا كمن يتـطبـع
ورأيـت ديـن الإعـتزال وأنـني — أهـوى لأجلك كـل من يتشيـع

ومن القصـائد الشعـرية النفيسـة التي قيلت في مدح أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) القصيدة الهائية المعروفـة ـ بالأزريـة ـ نسبة لناظمها الشيخ كـاظم الأزري . وهي قصيدة طـويلة بلغت الألف بيت وقد فقد أكثرها ولم يبق منها على التحقيق سوى ٥٧٨ بيتاً .

وهذه القصيدة تعتـبر ملحمة من مـلاحم الشعر العـربي إذ بدأهـا الشيخ كاظم الأزري[3] بالغزل على عادة الشعراء القدامى ثم أخـذ بعد

= وسلم) : « أللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس » . فطلعت بعدما غربت وصلى (عليه السلام) وأما يوشع بن نون فـإنه بعثـه الله نبياً بعـد موسى وأمره بالمسير إلى قوم جبارين . فسار إليهم وقـاتلهم يوم الجمعـة حتى أمسوا فـدعا إلى الله تعال فرد الشمس وزيد في النهار يومئذٍ نصف ساعة وهزم الجبارين ومات وعـمره ١٢٠ سنة .

(١) إشارة إلى قلع باب حصن خيبر أمنع حصون اليهود . وقد ذكرنا ذلك عنـد ذكر وقعـة خيبر .

(٢) جعل تربتـه ومحل جسـده الشريف العالم العلوي . لأن قـبره (عليه السـلام) معراج الملائكة ومحل اختلاف الأرواح ، والعالم العلوي عبارة عن ذلك .

(٣) كاظم بن محمد الأزري التميمي نسبة إلى بني تميم القبيلة العربية المعروفة في العراق . وآل الأزري كـما يروى من أشهـر بيوتـات بغداد الـثرية في القـرنين الأخـيرين . ولـد الشاعر كاظم الأزري في بغداد سنـة ١١٤٣ هجريـة وتوفي سنـة ١٢١١ ودفن في مقبرة =

ذلك في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . ثم انتقل إلى مدح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وتعداد صفاته ومناقبه وكراماته . . . إلى أن تطرق إلى مواقفه وحروبه ونحن الآن نذكر بعضاً من هذه القصيدة . . . الأزرية . . . مقتصرين على بعض أبياتها تجنباً للإطالة . . . فمن مديحه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله :

معقل الخائفين من كل خوف ... أوفر العرب ذمة أوفاها
مصدر العلم ليس إلّا لديه ... خبر الكائنات من مبتداها
ملك يحتوي ممالك فضل ... غير محدودة جهات علاها
هو ظل الله الذي لو أوته ... أهل وادي جهنم لحماها
ما تناهت عوالم العلم إلّا ... والى ذات أحمد منتهاها
أي خلق لله أعظم منه ... وهو في الغاية التي استقصاها
قلّب الخافقين ظهراً لبطن ... فرأى ذات أحمد فاجتباها
من ترى مثله إذا شاء يوماً ... محو مكتوبة القضاء محاها
لست أنسى له منازل قد ... س قد بناها التقى فأعلى بناها
ورجالاً أعزة في بيوت ... أذن الله أن يعز حماها
سادة لا تريد إلا رضى الله ... كما لا يريد إلا رضاها
خصها من كماله بالمعاني ... وبأعلى أسمائه سماها
لم يكونوا للعرش إلّا كنوزاً ... خافيات سبحان من أبداها
كم لهم ألسن عن الله تنبي ... هي أقلام حكمة قد براها
وهم الأعين الصحيحات تهدى ... كل نفس مكفوفة عيناها

= بيت الأزري الخاصة التي هي قبالة مدفن السيد المرتضى علم الهدى عليه الرحمة في مدينة الكاظمية التي فيها مقام الإمام السابع موسى بن جعفر وحفيده الإمام التاسع محمد الجواد (عليهما السلام) . والكاظمية قرب مدينة بغداد - وقد أصبحت أبنيتها متلاصقة - درس الشيخ كاظم الأزري العلوم العربية ومقداراً غير قليل من الفقه والأصول على فضلاء عصره ، ولكنه ولع بالأدب وانقطع عن متابعة الدرس ، وأخذ ينظم الشعر ولم يبلغ العشرين . . وكان سريع الخاطر حاضر النكتة . وقاد الذهن قوي الذاكرة . كما كان محترم الجانب لدى العلماء والوجهاء من أبناء عصره . وله أشعار كثيرة لا مجال لذكرها الآن .

علماء أئمة حكماء يهتدي النجم باتباع هداها

قادة علمهم ورأي حجاهم مسمعاً كل حكمة منظراها

ما أبالي ولو أهيلت على الأر ض السماوات بعد نيل ولاها

من يباريهم وفي الشمس معنى مجهد متعب لمن باراها

ورثوا من محمد سبق أولا ها وحازوا ما لم تحز أخراها

وبعد ذلك ينتقل الشاعر إلى مدح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيقول :

ملك شد أزره بأخيه فاستقامت من الأمور قناها

أسد الله ما رأت مقلتاه نار حرب تشب إلاّ اصطلاها

فارس المؤمنين في كل حرب قطب محرابها أمام وغاها

لم يخض في الهياج إلاّ وأبدى عزمة يتقي الردى إياها

ذاك رأس الموحدين وحامي بيضة الدين من أكف عداها

جمع الله فيه جامعة الرسـ ـل وآتاه فوق ما آتاها

وإذا ما انتمت قبائل حي المو ت كانت أسيافه آباها

من ترى مثله إذا صرت الحر ب ودارت على الكماة رحاها

ذاك قمقامها الذي لا يروي غير صمصامه أوام صداها

وبعد ذكر الوقائع التي خاضها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من يوم بدر حتى أحد . . والأحزاب . . وحنين . . الخ ينتقل الشاعر إلى ذكر البيعة لعلي (عليه السلام) يوم غدير خم . . وذلك بأسلوب سلس ، وكلام عذب ، وشاعرية رقيقة .

وبعد جولته في هذا المضمار نجده يلتفت مخاطباً المتجهين نحو أرض الغريين ـ مرقد أمير المؤمنين علي ـ بقوله :

أيها الراكب المجد رويداً بقلوب تقلبت في جواها

إن تراءت أرض الغريين فاخضع واخلع النعل دون وادي طواها

وإذا شمت قبة العالم الأعلى وأنوار ربها تغشاها

فتواضع فثم دارة قدس تتمنى الأفلاك لثم ثراها

قل له والدموع سفح عقيق والجوى تصطلي بنار غضاها

يـا بن عم النبي أنت يـد الـلـ ـه التي عمَّ كـل شيء نـداهـا
أنت قـرآنـه القـديـم وأوصا فـك آيـاتـه الـتي أوحـاهـا
حـسبـك الله في مـآثـر شتى هي مثـل الأعـداد لا تتنـاهى
ليت عيناً بغـير روضـك تـرعى قـذيت واستمر فيهـا قـذاهـا
أنت بعـد النبي خـير الـبرايـا والسـما خـير مـا بها قمـراهـا
لـك ذات كـذاتـه حيث لـولا أنها مـثـلهـا لمـا آخـاهـا
قـد تـراضعتـا بثـدي وصـال كـان من جوهـر التجـلي غـذاهـا
يـا عـلي المقـدار حسبك لا هـو تـيـة لا يحـاط في عـليـاهـا
لك نفس من جوهـر اللطف صيغت جعـل الله كـل نفس فـداهـا
يـا أبـا الـنـيريـن أنت سـماء قـد محا كـل ظلمـة قمـراهـا

ومن القصائدالشعرية التي قيلت في مـدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قصيدة الشاعر الـذائع الصيت أبي تمـام حبيب بن أوس الطائي[1] وهي قصيدة طويلة منها :

---

(١) ولد أبو تمام سنة ١٩٠هـ بقـرية يقـال لها جـاسم من أعمال حـوران من بلاد دمشق . وتوفي بالمـوصل سنـة ٢٢٨هـ وكان عـلى بريـدها ولاه الحسن بن وهب . بنى عليـه أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة قبره خارج بـاب الميدان بـالموصـل . نشأ أبـو تمام في مصر وكان أسمر طـويلاً فصيحـاً حلو الكلام فيـه تمتمة يسيرة جالس في أول أمـره وطليعة عمره الأدباء في مصر . وأخـذ عنهم من النظم والنـثر ، والأدب والفضل مـا لا مزيـد عليـه . وكان فـطناً ذكيـاً محباً للشعـراء وأهل الفضـل حتى سار ذكـره في الآفاق وبلغ المعتصم العباسي إذ ذاك خبره فاستقدمه ولما عـرض عليه قصـائده قـدمه المعتصم عـلى شعراء زمنه . فترقت حاله وبعد مدى صيته . ولأبي تمام من الشعر الجيد الكثير الدال على ذكائه وهو صاحب ديوان الحماسة . وله مجموع آخـر سماه فحول الشعراء جمع فيه طائفة كبيرة من شعراء الجـاهلية والمخضرمـين والإسلام وكتـاب الإختيارات من شعـر الشعراء . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقـه غيره . وقيـل : إنه كـان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيـع . ومدح الخلفـاء وأخذ جـوائزهم . وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

السيف أصـدق أنبـاء من الكتب في حـده الحـد بـين الجـد واللعب

قـالها في مـدح المعتصم العباسي في قصـة فتـح عمـوريـة من بـلاد الـروم حيث كـان المنجمون أشاروا على المعتصم بعدم الذهاب إلى بلاد الروم لفتح عمورية لأن التنجيم لا يقول بالنصر . . وخوفوه العاقبة .

أخوه إذا عد الفخار وصهره فلا مثله أخ ولا مثله صهر
وشد به إزر النبي محمد كما شد موسى بهارونه الإزر
وما زال صباراً دياجير غمرة يمزقها عن وجهه الفتح والنصر
هو السيف سيف الله في كل مشهد وسيف الرسول لا ددان ولا دثر[1]
فأي يد للذم لم يبر زندها ووجه ظلال ليس فيه له أثر
ثوى ولأهل الدين أمن بحده وللواصمين الدين في حده ذعر
يسد به الثغر المخوف من الردى ويعتاض من أرض العدو به الثغر[2]
بأحد وبدر حين ماج برجله وفرسانه أحد وماج بهم بدر
ويوم حنين والنضير وخيبر وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو[3]
سما للمنايا الحمر حتى تكشفت وأسيافه حمر وأرماحه حمر
مشاهد كان الله كاشف كربها وفارجه والأمر ملتبس إمر[4]
ويوم الغدير استوضح الحق أهله بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر
أقام رسول الله يدعوهم بها ليقربهم عرف وينآهم نكر
يمد بضبعيه ويعلم أنه ولي ومولاكم فهل لكم خبر[5]

---

(١) الددان : السيف ، الكهام الغير ماضي . والدثر : بالفتح الرجل الخامل البطيء النؤ . ومراده : أنه سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ليس بالكليل ولا بالخامل .

(٢) يعتاض به الثغر : يقوى ويشتد .

(٣) بدر ، وأحد ، وحنين ، وخيبر ، والخندق مواضع في الحجاز وقع فيها قتال مشهور بين المسلمين والمشركين في بدىء الدعوة الإسلامية وكان فارسها الأوحد الذي جندل المشركين بسيفه علي بن أبي طالب (عليه السلام) . والنضير حي من اليهود والعقوة : الساحة . وعمرو هو : عمرو بن عبد ود العامري الذي قتله علي (عليه السلام) يوم الخندق وقد مر ذكره .

(٤) الإمر : المنكر .

(٥) يمد بضبعيه : الضبع هو العضد ما بين المرفق إلى الكتف . إشارة إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد علي (عليه السلام) يوم غدير خم ورفعها حتى بان ما تحت إبطيهما معلناً بذلك أن علي بن أبي طالب هو مولى المسلمين وخليفته من بعده .

يـروح ويغـدو بـالبيـان لمعشر يروح بهم غمر ويغدو بهم غمر[1]
فكـان لـه جهـر بـإثبـات حقـه وكـان لهم في بزهم حقـه جهر[2]

إلى أن يقول :

لكم ذخـركم إن النبي ورهـطه وجيلهم ذخري إذا التمس الذخر
جعلت هـواي الفـاطميـين زلفـة إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمر

ومن الشعراء الأجلاء المجيدين أبي الطيب المتنبي[3] الـذي عوتب

---

(١) الغمر : الكريم الواسع الخلق . والمراد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يغـدو بالبيان لمعشر بكل خلق كريم .

(٢) الجهر : الكشف والوضوح . وابتزه الشيء : غلبه عليه وسلبـه إياه . والمعنى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين حق علي بالخـلافة جهـراً . . على أنهم تنـاسوا قـول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الواضح وابتزوا حق علي جهراً بسلبهم الخلافة منه .

(٣) أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين المشهـور بحكمياتـه وشعره الجيـد البليغ في معـانيه ومدائحه ، القاسي في هجائه ، الغني بأعدائه وحسـاده . وباختصـار هو أشهـر من أن يعرَّف . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ونشأ بها ، ثم قـدم الشام في صباه مع أبيـه وجال في أقطارها إلى أن ادعى النبوة في بادية السماوة كما يروى ، وتبعـه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيديه ، فأسره ، وحبسه طويلا ، ثم استتابه وأطلقه . ومن ثم سُمي ـ بالمتنبي ـ ثم التحق بالأمير سيف الدولة ابن حمـدان سنة٣٣٧ بحلب ومدحه وما زال عنده حتى وقع بينه وبين ابن خالويـه النحوي كـلام في مجلس سيف الدولة . فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتـاح كان معـه فشجـه . عنـد ذلـك خـرج المتنبي غـاضبـاً وفـارق سيف الـدولـة ، وذهب إلى مصر سنة ٣٤٦ ومدح حاكمها كافور الأخشيدي . وكان يقف بـين يدي كـافور وفي رجليـه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمنـاطق . ولما رأى كافور تعاليه في شعره واعتداده وسمو نفسه خافه ولم يسلمه ولاية ولم يرضـه . عنـد ذلك غضب المتنبي وفـارق كافوراً ليلة عيد النحـر سنة ٣٥٠ وهجـاه بقصيـدتـه المشهورة التي مطلعها :

عيـد بـأيـة حـال عـدت يـا عيـد بمـا مضى أم بـأمـر فيـك تجديـد

ويمضي في هجائه اللاذع لكافور بقوله :

مـا كنت أحسبني أحيـا إلى زمـن يسيء لي فيـه عبـد وهـو محمـود

ولما رحل المتنبي عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولـة ابن بويـه الديلمي فأجزل جائزته . وكذلك مدح ابن العميد . ولما رجـع من عند عضـد الدولـة قاصـداً =

على تركه مديح آل البيت (عليهم السلام) سيما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال :

وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

= بغداد ثم إلى الكوفة عرض له فاتك بن الجهل الأسدي في عدة من أصحابه ، فقاتلوهم . فقتل المتنبي وابنه محسّد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من سواد بغداد عند دير العاقول وذلك سنة ٣٥٤ .

الخـــاتمـة

ذكـرنا القليـل من الكثير عن الأزمنـة التي تعاقبت فيهـا الأحداث عبر القرون المتتالية المملوءة بـالمتناقضـات وقد تخللهـا أحداث عـظام بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ودارت فيها الدوائر عـلى أهل العدل والأيمـان ، والصفوة من البشر الـذين لم يزل ذكـرهم الحسن يـتردد في المسامع ، ونفح عبـير حياتهم يفـوح بين النـاس في كل لحـظة ولحـظة . . . فـالحق يعلو ولا يعلو عليـه شيء . . . حتى ولـو تخلل تلك الأزمنة فترات من التاريخ وجود جبابرة طغوا وبغوا وباعـوا الحق وظلموا أهله . . في حين كان هؤلاء الجبـابرة يضمـرون غير مـا يبدون في سبيـل دنيا زائلة ، وأيام قليلة ، وشهوة عابرة ، سرعان مـا تذهب ويـذهبون ، كأن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، وما بقي من آثارهم سوى العبر أمـام ذوي البصائر كـما في قولـه تعالى : ﴿ **كم تـركوا من جنـات وعيون ـ وزروع ومقام كريم ـ ونعمة كانوا فيها فاكهين ـ كذلك وأورثناها قوماً آخرين ـ فما بكت عليهم السماء ـ والأرض وما كانوا منظرين** ﴾[1] .

سرعان ما ذهبوا وخلفوا ما قاتلوا عليه . . فقد ظلموا وشردوا . . وقتلوا الأبرياء . . ولم يراعوا في السماء ساكناً . .

---

(١) سورة الدخان : الآية ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ .

وفي النهاية ساروا إلى حيث لم ينفع الندم . . .

ساروا إلى الحساب والعقاب .

ساروا إلى يوم : تجزى فيه كل نفس بما كسبت . .

ساروا إلى يوم ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[1] .

ساروا إلى يوم : ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾[2] .

وهيهات للجبابرة الظالمين أن يكونوا في مأمن من الحساب . . . ومن عذاب الله . . .

ذهب علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى لقاء ربه . . راضياً مرضياً . . .

ذهب (عليه السلام) بعدما عمل جهده في سبيل تركيز دعائم الإسلام ، وإحقاق الحق . . ونصرة أهله .

ذهب (عليه السلام) إلى لقائه ربه . . وبقي ماثلاً قي قلوب المؤمنين . . . وفي وعي الزمن . . وفي ذاكرة التاريخ . . لم يذكره أحد على مر الأيام وتعاقب السنين إلّا بالإجلال والإعظام . .

ذهب (عليه السلام) إلى لقاء ربه طاهراً نقياً . . لم يترك صفراء ولا بيضاء . . ولا دوراً ولا قصوراً . . ولا جنائن ولا جواري ولا أي شيء يذكر من متاع الدنيا .

بل ذهب آخذاً معه عمله الصالح تاركاً ذكره الفواح العطر باقياً ما بقي الدهر . . .

وما خاصمه ونصب له العداوة في حياته حتى بعد مماته إلّا

---

(١) سورة الشعراء : الآية ٨٨ .

(٢) سورة الطور : الآية ٢١ .

البغاة .. والطغاة .. وفرسان الضلال .. وعبيد الشهوات .. وأهل الأهواء والأغراض .

حاربه معاوية بن أبي سفيان لقاء دنيا فانية .. ظالماً له .

حاربه معاوية لأجل الدنيا وبهارجها ... حاربه ليفوز بسلطانها .. حاربه ليتربع على عرشها .. ويستمتع في ملذاتها ..

حارب معاوية الحق وأهله بكل من باع دينه بدنياه .. فكان له ما أراد .. ولكن سرعان ما ذهبوا جميعاً حاملين أوزارهم .. مثقلين بخطاياهم وأفعالهم السيئة الظالمة .. وتركوا ما جمعوه وما بنوه وما كانوا به من جاه وسلطان عبرة لمن اعتبر .. كما أسلفنا . وكما قال الشاعر :

أين القصور أبا يزيد ولهوها ... والصافنات وزهوها والسؤدد
أين الدهاء نحرت عزته على ... أعتاب دنيا سحرها لا يخلد
تلك البهارج قد مضت لسبيلها ... وبقيت وحدك عبرة تتجدد

ذهب علي (عليه السلام) إلى جوار رب كريم وبقي معاوية على غرروه وضلاله يعمل الخدع ... ويبذل الأموال الطائلة جاهداً لسلب الخلافة من الإمام الحسن السبط (عليه السلام) الذي بايعه المسلمون بالخلافة بعد أبيه أمير المؤمنين علي وبوصية منه فكانت خلافته (عليه السلام) هي الخلافة الحقيقية وهو الخليفة الشرعي . وسنذكر فيما بعد أن شاء الله عند ذكر خلافة ـ الحسن ـ ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه . وهو الإمام المعصوم من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !

راح معاوية يدس الدسائس ويعمل الحيل ، لانتزاع الخلافة بشتى الوسائل ... تارة بالإشاعة الكاذبة .. بأن الحسن بايعه .. زوراً وبهتاناً .. وتارة بإغراء الناس بالأموال للإنفضاض عنه ... كما فعل مع عبيد الله بن العباس ـ أحد قادة جيش الإمام الحسن ...

لكن الإمام الحسن لم تنطل عليه حيل معاوية وحبائل مكره ،

وخدعه ومكـائده . . وعـرف أن أهل الأطـماع قد بـاعوا دينهم بـدنياهم واستمالهم معاوية إلى جنبه . . .

وأخيراً وحفظاً على المسلمين وحقناً لدمائهم رضي بمصالحه معاوية ومهادنته على شروط كثيرة لا مجال لذكرها الآن مفصلة .

ومن جملة شروط الحسن التي اشترطها على معاويـة عدم التعـرض لأصحاب أمير المؤمنين علي الذين هم من صفوة المؤمنين وخيرة المسلمـين أمثـال حجر بن عـدي الكندي وعمـرو بن الحمق الخـزاعي وغـيرهمـا . الذين قتلهم فيما بعد .

لكن معاوية غدر وخان ولم يفِ بشرط من شروط الصلح كـما ذكر المؤرخـون وأصحاب السـير كأبي الفـرج الأصفهاني في مقـاتل الـطالبـين والشيخ المفيد في الإرشاد وغيرهما .

من أن معاوية بن أبي سفيان بعدما عاهد الحسن (عليه السـلام) وحلف له بالوفاء واستتمت الهدنة بشروطهـا . . سار معـاوية حتى نـزل بالنخيلة ، وكان ذلك يوم الجمعة فخطب وقـال في خطبتـه : « إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ، ولا لتصومـوا ، ولا لتحجوا ، ولا لـتزكوا . . إنكم لتفعلون ذلك . . ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقـد أعطاني الله ذلـك وأنتم له كارهون .

ألا وإني كنت منيت الحسن أشياء وأعطيته أشياء . . وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له . . الخ » .

ثم سار حتى دخل الكوفة .

وذكـر المدائني أن معـاويـة بن أبي سفيـان خـطب النـاس ـ وذكـر الخـطبة ، ثم قـال في آخرهـا أن كل مـال أو دم أصيب في هـذه الفتنـة لمطلول . . وكـل شرط اشـترطتـه للحسن فتحت قـدمي هـاتـين . . . إلخ » .

وهكـذا نرى أن معـاوية بن أبي سفيـان غدر . . ومكـر . . وخان العهـد . . ومـا أخـذه عـلى نفسـه مـن الشروط لـلإمـام الحسن

(عليه السلام) التي سنذكرها مفصلة عند الكتابة لسيرته فيما بعد إن شاء الله .

وعلى هذا يتضح لكل منصف عاقل لا يميل به الهوى من أن الحسن (عليه السلام) صالح معاوية وهادنه على شروط واضحة لصالح المسلمين . . وحقناً لدمائهم وحفظاً لكرامتهم . . لكن معاوية لم يفِ بواحد من الشروط . .

ومن المعلوم الواضح أنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط . .

وعلى هذا يكون الإمام الحسن بقي على إمامته وخلافته للمسلمين ويكون ادعاء معاوية الخلافة وتسلطه على رقاب المسلمين ظلماً وجوراً . . .

وبالختام . . أقول : مهما كتبت في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلا أجد نفسي إلا مقصراً ولا أكون إلا قد أتيت بالقليل من الكثير لأن مقامه (عليه السلام) أعلا وأعظم . . . وقدره أجل وأسمى من أن تفي الكلمات حقه بالغة ما بلغت .

كما وإني أدعو الله سبحانه وتعالى وأنا أكتب الخاتمة من هذا الفصل من كتاب (سيرة الرسول وخلفائه) أن يصلح الأحوال ويرفع كابوس الفتنة عن البلاد والعباد في وطني . . الفتنة العمياء التي ما زالت متحكمة في رقاب الناس حيث ما زال القتل والقتال هو سيد الموقف ينتقل في آرجاء الوطن ـ لبنان ـ من بلد إلى بلد ومن حي إلى حي في معارك وحروب لا فائدة بها . . أجج أوارها الحاقدون والمستعمرون ولم تطفأ حتى الآن من حوالي أربعة عشر سنة في بلادنا الوادعة التي كانت مهد الراحة والطمأنينة . . ومهوى الأفئدة من كل حدب وصوب .

كما وإني أختم مجهودي المتواضع متوسلاً إلى مجد عزته تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم سبحانه . . وأن أنال شفاعة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين

(عليهم السلام) يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم .

وقد فرغت من الكتابة في يوم الجمعة ٢٧ جمادي الثانية سنة ١٤٠٩ للهجرة الموافق ٣ شباط سنة ١٩٨٩ ميلادية وأنا الفقير إلى رحمة ربه تعالى علي بن محمد حسن[1] بن علي بن فخر الدين بن

---

(١) السيد محمد حسن ولد في بلدة عيناثا ـ جبل عامل (لبنان الجنوبي) في سنة ١٣١٠ هجرية من أبوين كريمين تربط بينهما رابطة العلم والدين . فأبوه السيد علي من عائلة عريقة في النسب ترجع إلى الإمام الحسن (عليه السلام) . وأمه إبنة الشيخ محمد مهدي شمس الدين التي ترجع بالإنتساب إلى الشهيد الأول محمد بن مكي . إتجه السيد محمد حسن بعد أن شبّ لدراسة العلوم الدينية فدرس على جده لِأمّه العلامة الشيخ مهدي شمس الدين في مجدل سلم . وفي جويا على عمه والد زوجته السيد العلامة مصطفى نور الدين .

وبعدها هاجر إلى العراق في الربع الأول من القرن العشرين ـ ميلادي ـ حيث أقام في جامعة النجف الأشرف نحوا من خمسة عشر عاما درس فيها على الأقطاب والمراجع من علمائها أمثال : الشيخ أحمد كاشف الغطاء والميرزا حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني وغيرهم من أعلام الدين وأئمة الفقه . وعندما أصبح السيد محمد حسن في حدود الأربعين من عمره رجع إلى بلاده جبل عامل مزوداً بالشهادات التي تنص على اجتهاده المطلق من أساتذته .

وبقي طيلة حياته عالماً كبيراً ومرجعاً من مراجع الدين وفياً لرسالته حريصاً على أدائها لا تأخذه في الحق لومة لائم سواء كان في جبل عامل أو بعد انتقال إقامة سكنه إلى بيروت ـ برج البراجنة .

توفاه الله في صباح يوم الجمعة من السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام ١٣٩٢ هجرية الموافق ٣ تشرين الثاني من عام١٩٧٢ ميلادية في منزله برج البراجنة فأحس الناس بصدمة كبيرة لنبأ وفاته وهرعوا جماعات للإشتراك في تشييع الجنازة من منزله في برج البراجنة إلى مطار بيروت لنقل جثمانه الطاهر ودفنه في النجف الأشرف في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) وذلك حسب وصيته . وفي العراق اشترك في التشييع حشود كبيرة من الشخصيات الدينية والرسمية من العلماء الأجلاء والزعماء والوجهاء والكثير من المواطنين والجالية العلمية اللبنانية ـ من الكاظمية ـ بغداد ـ كربلاء حتى النجف الأشرف وبعد الصلاة عليه دفن في الصحن الشريف في رحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في غرفة خاصة مجاورة للمقام الشريف .

=

يوسف بن يوسف بن محمد بن محمد بن فضل الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن السيد بدر الدين بن علي بن محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيي بن جوبان بن الحسن بن ذياب بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن داود بن إدريس بن داود بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) .

= وكان يوماً مشهوداً أقيمت الإحتفالات التأبينية في لبنان حيث تبارى الشعراء والأدباء في رثائه وتأبينه وفي النجف الأشرف أقيمت له الفواتح في عدة مجالس .



مصادر الكتاب

القرآن الكريم

مجمع البيان في تفسير القرآن	للطبرسي
التبيان	للشيخ الطوسي
الميزان في تفسير القرآن	للطباطبائي
تفسير الجواهر	للطنطاوي
مجمع البحرين	للطريحي
تفسير القرآن العظيم	لابن كثير
الدر المنثور في التفسير بالمأثور	للسيوطي
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان	للنيسابوري
شرح نهج البلاغة	لابن أبي الحديد
شرح نهج البلاغة	للشيخ محمد عبده
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام	للدكتور جواد علي
قصص الأنبياء	لعبد الوهاب النجار
معجم البلدان	ياقوت الحموي
الكامل في التاريخ	لابن الأثير

مروج الذهب	المسعودي
وسائل الشيعة	الحر العاملي
العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي
لسان العرب	ابن منظور
تاج العروس	الزبيدي
المنجد في اللغة	
قصص الأنبياء	الجزائري
موسوعة العتبات المقدسة	الخليلي
السيرة الحلبية	علي بن برهان الدين الحلبي
أخبار مكة	الأزرقي
تاريخ الأمم والملوك	الطبري
تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
الطبقات الكبرى	ابن سعد
نهاية الأرب في فنون الأدب	النويري
السيرة النبوية	ابن هشام
السيرة النبوية	ابن دحلان
بحار الأنوار	المجلسي
المغازي	الواقدي
الفضائل	أبي الفضل شاذان
الروض الآنف	السهيلي
الغدير	الشيخ الأميني
أعيان الشيعة	السيد محسن الأمين
البداية والنهاية	ابن كثير
الأستيعاب	ابن عبد البر
الصواعق المحرقة	ابن حجر
الإصابة	ابن حجر
أعلام النساء	عمر رضا كحالة

الكتاب	المؤلف
حلية الأولياء	لأبي نعيم الأصبهاني
المرأة في ظل الإسلام	مريم نور الدين فضل الله
كشف الغمة	الأربلي
شرح نهج المسترشدين	العلامة الحلي
ينابيع المودة	القندوزي
أنساب الأشراف	البلاذري
الإرشـــاد	الشيخ المفيد
مفتاح الكرامة	السيد محمد جواد العاملي
بلاغات النساء	ابن طيفور
الأخلاق الإسلامية	للمؤلف
في ظلال الوحي	للمؤلف
الشوقيات	أحمد شوقي
فضـائـل الخمســة من الصحـاح الستة	الفيروز آبادي
تاريخ العرب	الدكتور فيليب حتي
العبقريات الإسلامية	العقاد
فدك في التاريخ	السيد محمد باقر الصدر
تراجم سيدات بيت النبوة	الدكتورة بنت الشاطىء
الملل والنحل	الشهرستاني
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة
الإحتجاج	للشيخ الطبرسي
تاريخ الحسين	الشيخ عبد الله العلايلي
حياة محمد	الأستاذ هيكل
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
أحاديث أم المؤمنين عائشة	للسيد مرتضى العسكري
عمدة الزائر	السيد حيدر الحسيني
وقعة صفين	نصر بن مزاحم

الكتاب	المؤلف
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	جمال الدين الأتابكي
علي إمام المتقين	الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي
الأصول من الكافي	للشيخ الكليني
الفروع من الكافي	للشيخ الكليني
إرشاد القلوب	للديلمي
الأغاني	لابن الفرج الأصبهاني
من لا يحضره الفقيه	للشيخ الصدوق القمي
مقاتل الطالبيين	لأبي الفرج الأصفهاني
ديوان أبي تمام الطائي	
ديوان أبي الطيب المتنبي	

المحتويات

الفصل الثالث والستون

الفصل الرابع والستون

الفصل الخامس والستون

الفصل السادس والستون

الفصل السابع والستون

الفصل الثامن والستون

الفصل التاسع والستون

الفصل السبعون

الفصل الواحد والسبعون